

الحسين بن الضحاك حياته وشعره

تأليف

الدكتور شوقي رياض أحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحسين بن الضحاک حياته وشعره

تأليف
الدكتور شوقي رياض أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أستاذي الحبيب الدكتور شوقي ضيف تحية وتبجلة ...

المقدمة

موضوع هذا البحث دراسة شعر الحسين بن الضحاك وتاريخ حياته ، فهو شاعر من الطبقة الأولى في العصر العباسي ، وأحد شعراء الحرر والمجون والفرزل الذين بلغ شعرهم مرتبة رفيعة من الجودة والإبداع الفني ، حتى أنهم قرنوه بأبي نواس ، بل فضله بعضهم عليه لأنه أكثر نقاء وأقل تخلیطاً في شعره منه . ومع ذلك فإنه لم ينل ما يستحقه من اهتمام الدارسين والباحثين في أدبنا العربي ، إذ لم تكتب عنه إلا صفحات قليلة لا توفيه حقه ولا تعطينا صورة واضحة لحياته وشعره . وقد صدر عنه كتيب صغير في سلسلة « اقرأ » باسم « نديم الخلفاء » للأستاذ عبد الستار فراج لم يزد على أن قدم فيه قصة حياته من خلال الأخبار التي رويت عنه في الأغاني والمصادر الأخرى التي ترجمت له ، ولم يدرس حياته دراسة موضوعية تحليلية تشمل جوانبها المختلفة ، وتكشف عما غمض منها . كما كتب عنه الأستاذ الدكتور طه حسين مقالا طريفاً في « حديث الأربعاء » فيه دراسة قيمة للشاعر ولكنها موجزة بطبيعة الحال ، لذلك وجدت أن الميدان الأدبي ما زال في حاجة إلى دراسة موضوعية وفتية لشعر هذا الشاعر مع بحث حياته بحثاً فاحصاً فاخترت هذا الموضوع مستقبلاً برأى أستاذي الدكتور شوقي ضيف وتوجيهه الرشيد .

وسلكت في دراستي نهجاً يتناسب مع طبيعة الموضوع التي اقتضت تقسيمه إلى ثلاثة فصول ، تناولت في الفصل الأول منها سيرة حياته فبدأتها بعرض المصادر التي ترجمت له أو ذكرت أخباراً عنه مبيّناً أهمية كل مصدر وما ورد فيه من المعلومات والأخبار ومدى إفادته للباحث في استجلاء جوانب حياة الشاعر ، ورتبتها ترتيباً تاريخياً بحسب تواريخ وفاة مؤلفيها مبتدئاً بأقدمها وأقربها إلى عصره .

وانتقلت من ذلك إلى بحث نسبه ونشأته وثقافته ، فناقشت ما قيل في أصله ورجحت القول الأقوى بأنه فارسي من موالى باهلة . وحاولت تحديد

التاريخ الصحيح لمولده مستندا إلى شواهد من حياته ومن شعره . ثم عرضت لنشأته بالبصرة وصحبته لأبي نواس في تلقى العلم على يد العلماء المشهورين بها في ذلك العصر ، وتلمذته على يد والبة بن الحباب وعلى شعراء الخجون والخمر المعاصرين له والسابقين عليه واختلاطه بخلعاء الكوفة ، وأخذه بتصيب من الثقافة الأجنبية التي انتشرت إثر نشاط حركة الترجمة في ذلك العصر . ومن ذلك تكونت ثقافة الشاعر وانعكست آثارها على شعره .

ومضيت إلى دراسة شخصيته مستجليا سبآها البارزة في ظرفه وخلاعته ومجونه من ناحية ، وفي رجولته ووفاته وشجاعته من ناحية أخرى ، مع شرح الظروف الاجتماعية التي أنضجت شخصيته وساعدت على تحلقها بهذه الصفات .

وعرضت بعد ذلك لعلاقته مع الخلفاء الذين عاصرهم من الأميين إلى المنتصر ، بعد التحقق من عدم اتصاله بالرشد ، ولما كان هناك خلاف بين المصادر في تحديد التاريخ الذي بدأ اتصاله فيه بالأميين ، فقد ناقشته في ضوء الأحداث التاريخية للتثبت من التاريخ الصحيح ، وأخذت في سرد أخباره مع هؤلاء الخلفاء مستخلصا منها حقيقة صلته بكل منهم ، وكيف كان ينادمهم ويؤنس مجالسهم بظرفه ولطافة معشره ، أو يصحبهم في نزاهاتهم وصيدهم ، ويمدحهم فينال إعجابهم ويحظى بلانعامهم عليه وتقريبهم إياه ، باستثناء ما حدث بينه وبين المأمون الذي حرمه من منادته وقطع أرزاقه عقابا له على هجائه والتعريض به في رثاء الأميين . وما كان من ضعفه وكبر سنه في عهد المتوكل الذي اعتذر الحسين إليه عن عدم قدرته على منادته فقبل عنده ، كما أعفاه المنتصر من المثل بين يديه وطلب منه أن يكذب إليه بحاجته متى أراد بعد أن أكرمه وأجاز له على مدحه أحسن إجازة .

وأثبتت ذلك ببحث علاقته مع معاصريه من الأمراء وكبار رجال الدولة ومن الغلمان والحواري والشعراء وعامة الناس ، وفي هذا الجانب حاولت : استجلاء طبيعة سلوكه الماسجن وخلاعته التي اشتهر بها ، وخاصة في تعشقه للغلمان والحواري وتغزلهم ، وما كان من تمساده في مجونه وتهتكه

وعر بدته كما تدلنا أخباره . وإلى جانب ذلك نراه يحظى بالمكانة الأولى بين الظرفاء والتدعاء حتى إن عليه القوم كانوا يتنافسون في اجتذابه إلى مجالسهم وإغرائه بما يجب إليه منادتهم من ألوان النعيم ودواعي المتعة واللهو . كما بينت صلته بمعاصريه من الشعراء ، وما كان يجمعه بهم من مجالس الأدب والشراب والطرب ، أو صحبته لبعضهم في الزهات ، أو ارتياد الأديرة حيث يقضون أوقاتهم في الاختتاع بألوان السرور واللهو ، ووجهته انتهى بوجه خاص إلى علاقته بأبي نواس ، وما كان بينهما من محبة أو منافسة في قول الشعر ، وأثر ذلك في نفسيهما ، وناقشت رأيه فيه وفي أبي العتاهية الذي كانت تربطه به الألفة والمودة . أما علاقته مع عامة الناس من مخالطيه فقد أهتم الرواة بذكر نوادرها الطريفة التي تلقى ضوءاً قوياً على ظرفه وحلاوة نادرته .

وأنهت هذا الفصل بوفاته التي لم يكن في تحنيد سننها خلاف كبير ، إذ تتفق أغلب المصادر على قوف واحد ، مما يرجح اعتياده والأخذ به .

وخصصت الفصل الثاني لدراسة شعره وأغراضه ، فبدأته بعرض مصادره التي روت له ، مبينا أهمية كل مصدر من حيث انفراد به رواية قصائد له أو أبيات دون المصادر الأخرى ، أو من حيث سبقه في الرواية على غيره وعدد الأبيات التي أوردها ، واتبعت في ترتيبها نفس الطريقة التي اتبعها في عرض مصادر ترجمته ، أي بحسب تواريخ وفاة مؤلفيها .

وكانت المشكلة الهامة التي تعرض لها شعر الحسين هي اختلاطه بأشعار معاصريه ، ولذا كان لزاماً أن أتناولها بالبحث ، فوضعت الأسباب التي أدت إلى هذا الاختلاط ، وخاصة بين شعره وشعر أبي نواس الذي نسب إليه غير قليل من قصائد الحسين ومقطوعاته . وجمعت كل الشواهد التي عثرت عليها بالبحث في المصادر العديدة ، والتي وجدت فيها اختلافاً في نسبة الشعر ، محاولاً التثبت من نسبته الصحيحة ، سواء للحسين أو لغيره من الشعراء .

وفي دراسة أغراض شعره فصلت بين اتجاهين : أحدهما تقليدي ، والآخر تجديدى . وتتمثل أغراضه التقليدية في المديح والرثاء والمجاء

والاعتذار والاحتجاج ، وقد حاولت الوقوف على مدى اتباعه لتقاليد الشعرية القديمة وخاصة في مديحه ومدى خروجه عليها ، كما بينت المناسبات أو الظروف الخاصة التي أنشد فيها قصائده ، وإلى أى حد كان يوفق في التعبير عن مشاعره الحقيقية وفي التأثير على الآخرين ، أو ما كان لشعره من وقع في النفوس ومن إعجاب بإجادته وبراعته .

أما أغراضه التجديدية فهي خمرياته ، ومجونه ، وغزله ، بالغلمان ، وشعره في الديارات وأماكن اللهو . وإذا كان منها ما سبق لشعراء القول فيه كالخمر فإنه قد جدد وأبدع في صفاتها ومعانيها على نحو ما بينته وفصلت الحديث فيه : بينما نجد الأغراض الأخرى وليلة عصره ، وأنه من الشعراء الذين أبدعوا فيها وتفننوا ، ولإثبات مكانته الأدبية في تجديده وتفوقه استأنست بآراء النقاد الذين شهدوا له بذلك ووضعوه في المرتبة التي تليق به .

وأوردت الفصل الثالث لبحث خصائص شعره الفنية ، وأولها : التجربة الحية التي تمثلت في معظم قصائده ، والتي يعبر فيها عن أحداث جرت له أو عانى من تأثيرها في نفسه ، كما وضحت في النماذج التي تناولتها بالتحليل من شعره . وثانيها : وحدة القصيدة ، وقد مهدت لها بشرح لمفهومها قديما وحديثا ، وطبقت مفهومها الحديث على أغلب شعره ، بينما لم ينطبق مفهومها القديم إلا على قصائده في المديح : وثالثها : تعمقه في معانيه وأخيلته ، ولكنني حددت مدى هذا التعمق بأنه لا يصل إلى درجة الغموض والإبهام ، وعرضت الشواهد التي تدل على ذلك مفصلا معانيها تفصيلا دقيقا . ورابعها : رصانة لفظه ونصاعته ، إذ لم يكن يميل إلى التكلف أو الإغراب ، ولم يكن من أمحباب التصنع في البديع ، كما وضح لنا من شعره ، على أنني حاولت إظهار بعض الفروق الدقيقة بين أسلوبه في المديح والثناء الذي يميل إلى القوة والحزالة وبين أسلوبه في غزله ومجونه وخمرياته الذي يميل إلى الرقة والسلاسة ، على أن الخاصية العامة لأسلوبه تتمثل في رصانته ونصاعته . وخامسها : عنايته بالأوزان القصيرة التي شاعت بين الشعراء في ذلك العصر . ورأيت من الضروري أن أشرح الأسباب التي جعلت الشعراء يخلون بالأوزان القصيرة

وبفضلون النظم عليها ، والتي كانت في انتشار الفناء والرقص والطرب في المجتمع العباسي إلى درجة كبيرة ، وتأثير ذلك على الشعراء وخاصة الندباء منهم كالخمين ، إذ أنه كثيرا ما كان يطلب منه أن يصنع أبياتا ليغني بها المغني في المجلس . وفي امتداد الكثرة التي اخترتها من شعره على البحور القصيرة والمجزوءة دليل قوى على تميز شعره بهذه الخاصة الفنية .

وانتهت بحبي بخاتمة ذكرت فيها خلاصة النتائج التي توصلت إليها مبرزا عناصره الهامة في إنجاز لتكون ملخصا مجملا له .

وأمام كثرة المصادر القديمة التي رجعت إليها لم يكن البحث يسيرا فيها الأدبية ومنها التاريخية والجغرافية . ولكل مجموعة أهميتها في تغطية جانب من الموضوع ، وإن كانت المصادر الأدبية تقف في المقام الأول من حيث روايتها لمعظم أخباره وشعره . وأهمها في ذلك كتاب « الأغاني » الذي أورد فيه أبو الفرج ترجمة واسعة من حوالي ثمانين صفحة ضمنها كثيرا من أخباره ونوادره بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من قصائد شعره ومقطوعاته تزيد على خمسمائة بيت . وتأتي بعده مصادر أخرى أفادتنا في إضافة معلومات جديدة عن حياته وأبيات من شعره انقردت بروايتها ، كطبقات الشعراء لابن المعز والزهرة لأبي بكر الأصفهاني ومعجم الأدباء لياقوت وزهر الآداب للقيرواني والمحاسن والمساوي للبيهقي والوفيات لابن خلكان وغيرها .

وتغطي المصادر التاريخية الجانب السياسي في حياته وشعره ، كوقفه في وقت الفتنة بين الأمين والمأمون ووصفه لحال بغداد وبعض المعارك التي دارت فيها ، وراثته للأمين ومدحه للأفشين قائد المعتصم لما انتصر على امبراطور الروم وعلى بابك الخرمي ، كما نرى في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير ، ونجد في بعضها ترجمة له كما في تاريخ ابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وعيون التواريخ لابن شاكر الكشي .

أما المصادر الجغرافية فتتمثل أهميتها في حفظ قصائده التي وردت فيها أسماء الأديرة والبلدان والأماكن ، كما في معجم البلدان لياقوت ومعجم

(ى)

ما استعجم للبكرى ، والديارات للشابشى ومسالك الأبصار لابن فضل الله
العمرى ، بل إننا نجد فى المصليين الأخيرين ترجمة حسنة له تتضمن طائفة
من أخباره ونواجره .

أما المراجع الحديثة التى استعنت بها فى دراستى فهى التى تناول مؤلفوها
فيها دراسة العصر العباسى الأول أدبيا وتاريخيا واجتماعيا ، وهى على قلة
عندهما لا تنكر فائدتها وأذكر منها : « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » لأستاذنا
الدكتور شوقى ضيف ، إذ أفادنى فى دراسة المذاهب الفنية التى ظهرت
فى عصر الشاعر والعوامل التى ساعدت على خلقها ، ووضع الحسين فى مكانه
بين شعراء المدن الذين كان لهم اتجاه بارز فى عصره . وأذكر أيضا « حديث
الأربعماء » لأستاذنا الدكتور طه حسين ، وكتاب « تطور الحمريات فى الشعر
العربى » للدكتور جميل سعيد الذى يتصل موضوعه بدراسة شعر الحمير
عند شاعرنا ، وكتاب « ضحى الإسلام » للدكتور أحمد أمين وغير
ذلك من المراجع بالإضافة إلى كتب النقد الأدبى .

وبعد . . . فإننى إذ أقدم ثمرة جهلى ونتاج بحثى لأرجو أن يكون فيه
ما يحقق الغاية المرجوة منه ، ويفتح أمام الدارسين للأدب العربى صفحة
جديدة من صفحاته الخالدة ، ويلقى الضوء على شاعر من شعرائه كان مغمورا
أو شبه مغمور ، ويضعه فى مكانه المناسب من تاريخنا الأدبى . . . وبالله
التوفيق والسداد .

٢٤ من يناير سنة ١٩٦٧ م

شوقى رياض أحمد

الفصل الأول

سيرة الحسين بن الضحاك

١ - مصادر حياته :

في مستهل بحثنا لسيرة الشاعر ، ينبغي أن نتناول المصادر التي تعرضت لترجمته ، أو ذكر أخبار عن سيرة حياته سواء بالتفصيل أو الإيجاز ، لنعرف مدى اهتمامها بذكره ومدى دقتها في رواية أخباره ، وتواتر هذه الأخبار بينها ، وأهميتها في دراستنا لحياته أو سيرته .

وتختلف هذه المصادر في طريقة ذكرها للحسين أو رواية أخباره ، فمنها ما يأتي بترجمة موجزة ليس فيها شيء من تفاصيل أخباره ، ومنها ما يتوسط بين هذين ، فيذكر ترجمة بسيطة مدعمة ببعض أخباره أو نوادره ، ومنها ما يذكر بعض أخباره دون أن يتعرض لترجمته . وسنتناول كل هذه المصادر على اختلافها حسب الترتيب الزمني لتواريخ وفاة مؤلفيها مبتدئين بأقدمها وأقربها إلى عصر الحسين .

وأقدم المصادر التي وردت فيها أخباره « المحاسن والأضداد » للجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) ، ومع أنه كان معاصرا للحسين ، فإنه لم يرو عنه في كل كتبه سوى خبر واحد في هذا المصدر عن اجتياح بعض الشعراء وهو من بينهم ، إذ أخلوا يتنافسون في أن يدعوا كل واحد منهم لإخوانه شعرا ، ليجتمعوا في داره ويعتقدوا مجلس الشراب واللهو^(١) .

وقد نجب أو تساءل عن السبب في علم اهتمام الجاحظ بذكر الحسين أو رواية بعض أخباره في كتبه التي جمع فيها الكثير من أخبار الشعراء ، ولا نجد الجواب الشافي على هذا السؤال ، أو التفسير المقنع لهذه الظاهرة .

(١) المحاسن والأضداد ص ١٩٥ ط ليدن سنة ١٨٩٨ .

وبعد ذلك برجع قرن يأتي-أحمد بن أبي طاهر طيفور (المتوفى سنة ٥٢٨٠هـ)
 فيروى في « كتاب بغداد » بعض أخباره مع الخليفة المأمون وأخيه صالح
 ابن الرشيد ، أولها^(١) خبر قتل المأمون إلى بغداد وأمره بأن يسرى له قوم
 من أهل الأدب يجالسونه ويسامرونه ، ورفضه أن يكون الحسين من بينهم لما
 قاله في رثاء أخيه الأمين ، إذ عرض بالمأمون وهجاءه ، والخبر الثاني^(٢) هو
 محاولة أخيه صالح استرضاءه على الحسين بإتساده بعض أبيات له في مدحه ،
 وتلاحظ أن هنا الخبر ناقص ، لأنه لم يذكر رد المأمون عليه أو تعليقه على
 قوله لنعرف نتيجة هذه المحاولة ، وسنجد ذلك كاملاً في مصادر أخرى . والخبر
 الثالث^(٣) أن المأمون دخل بيت صالح على حين غفلة فوجده مع بعض جلسائه
 يحاولون محو شعر مكتوب في دفتر ، فلما رأوه ألقوا بالدقتر وقرأه المأمون
 فوجده في هجائه ، فلم يغضب لذلك ، بل أمر بأن يغنى فيه ، وأجاز الغنى .
 والخبر الرابع^(٤) أن الحسين حضر مجلساً لصالح وقال أبياتاً غنى فيها .

وهذه الأخبار وإن كانت وردت بعد ذلك في مصادر أخرى كالأغانى
 وغيره بصورة أكثر تفصيلاً ، فإنها تعطى هنا المصدر أمية غير قليلة بصفته
 أقدم مصدر رواها لنا .

ويلاحظنا بعد ذلك كتاب « طبقات الشعراء » لابن المعتز (المتوفى
 سنة ٥٢٩٦ هـ) ، الذى أورد للحسين ترجمة^(٥) غير وافية ، ولكنها أمدتنا ببعض
 المعلومات المفيدة عن حياة الحسين . فهو لم يذكر شيئاً عن نسبه وأصله ولا عن
 مولده أو وفاته أو أحداث حياته المهمة . إلا أنه ذكر مكانته فى الشعر وقارنه
 بأبى نواس مقارنة خاطفة ضمها رأيه الذى نقلته عنه مصادر كثيرة أنت
 بعده . كما نبه إلى مشكلة هامة تعرض لها شعر الحسين وهى نسبة كثير

(١) كتاب بغداد ص ٥٨ ط ليبيج سنة ١٩٠٨ .

(٢) نفسه ص ٣١٢ . (٣) نفسه ص ٤٢٢ .

(٤) نفسه ص ٣٢٤ .

(٥) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٨ - ٢٧١ .

منه إلى أبي نواس . وقد ذكر ابن المعتز أن والبة بن الحباب كان أسداذا للحسين ، وهذا خبر يحتاج إلى تثبيت وتحقيق لانفراد ابن المعتز بذكره دون المصادر الأخرى.

وأورد ابن المعتز في ترجمته خبرا يوضح لنا جانباً آخر من علاقة الحسين بالمأمون ، إذ سأل عنه أحد القادمين من البصرة ، وأبدى إعجابه بظرفه واستحسن مدحه فيه ، وطلب استقدامه ، ولكن هذا اعتل عن الحسين بأنه عليل ، فكتب المأمون إلى عامله بالبصرة بأن يدفع له ألف دينار . كما أورد نادرة من نوادر الحسين مع أبي نواس أيام كان بالبصرة وهي نادرة جبة الخنز ، التي سنعرفها بالتفصيل فيما بعد ، وترجع أهميتها إلى أنها تؤكد معاصرة الحسين لأبي نواس في فترة نشأتهما بالبصرة ، وهذا مبيدنا في تحقيق تاريخ مولده . وفي موضع آخر من كتاب ابن المعتز نعرف أن الحسين كان له أخ يسمى جعفرا ، إذ أنه أورد يتيين للجماز يهجو فيهما الحسين وأخاه هذا ^(١) .

وفي القرن الرابع الهجري نلتقي بأهم المصادر التي كتبت عن الحسين ، وأولها تاريخ الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ) ، وهو قد عمر طويلا لأن ميلاده كان سنة ٢٢٤ هـ ومعنى ذلك أنه عاصر الحسين حوالي ستة وعشرين عاما ، وهو لا يعطينا ترجمة للحسين ، وإنما يذكر عنه أخبارا مهمة وأشعارا كثيرة ، وخاصة في الفترة التي حاصرت فيها جيوش المأمون بغداد بقيادة طاهر بن الحسين حتى دخلها عنوة وقتل الأمين ، فيعرفنا أن الحسين كان بجوار الأمين في هذه المعركة وأنه كان يتابعها بأشعاره ، فحينما اشتد القتال بين جيش طاهر وأنصار الأمين حتى أوحشت بغداد وخاف الناس أن تبقى خرابا قال في ذلك شعرا ^(٢) ، ولما انتصر رجال الأمين في بعض المواقع قال في ذلك شعرا ^(٣) وأظهر

(١) المصدر السابق ص ٣٧٤ . (٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٨٧٢ طابند .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٨٨٢ .

فرحته بهذا النصر وشجع الأمين، وحين عمل أحد القواد عملا يحقن به الدماء ذكر: ذلك في شعره^(١) ويذكر الطبري أن الحسين الأشقر مولى باهلة كان من ندماء الأمين، وكان لا يصدق بقتله ويطمع في رجوعه^(٢)، ويسجل الطبري له قصيدتين في رثائه. ويذكر بعد ذلك خبرا سبق أن أشرنا إليه في كتاب بغداد لطيفور، وهو محاولة صالح بن الرشيد استرضاء المأمون على الحسين^(٣). وبعد ذلك لا نجد ذكرا للحسين إلا في مدحه للأفشيين قائد المعتصم بعد وفاته مع ملك الروم^(٤). وفي مواضع أخرى يذكره راوية فقط لبعض الأخبار كشاهدته لأول مجلس قعله الواثق^(٥) بعلوفاة المعتصم، وكذلك لسفينة الأمين التي ابتناها على شكل الدلفين^(٦).

بعد ذلك نجد في «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى سنة ٨٣٢٨هـ) خبرا واحدا عن الحسين لما نادى المتوكل وداعب خادمه شفيعا، وقال فيه شعرا^(٧)، وهو خبر سيتكرر كثيرا في المصادر التالية مع اختلاف بسيط في روايته.

ويأتي أبو بكر الصولي (المتوفى ٨٣٥هـ) فيذكر في تقديمه لديوان أبي نواس قضية اختلاط شعر الحسين بشعره، محاولا إثبات بعض ما نحل لأبي نواس من شعر الحسين، ويذكر خبر مقابلهما التي أنشد فيها الحسين أبا نواس قصيدته الكافية وما كان من أخذ أبي نواس بعض معانيها في قصيدته التي أنشدها الحسين بعد أيام^(٨).

ويأتي المسعودي (المتوفى سنة ٨٤٥هـ) فيروى بعض الأخبار عن الحسين في كتابه «مروج الذهب» منها خبر سبق وروده في تاريخ الطبري وهو

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٩٠٥.

(٢) نفسه ج ٣ ص ٩٤١ (٣) نفسه ج ٣ ص ١١٥٨.

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٢٥٤ (٥) نفسه ج ٣ ص ١٣٦٥.

(٦) نفسه ج ٣ ص ٩٥٣.

(٧) العقد الفريد ج ٨ ص ٩٦ طاعة ١٩٥٣.

(٨) ديوان أبي نواس المخطوط رواية الصولي ص ١٠، ١٣.

تشجيع الحسين للأمين بأبيات من الشعر بعد اختصار رجاله على رجال طاهر في إحدى الوقائع^(١) وخبر آخر هو ما ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ولكنه زاد في روايته ، فذكر حضور محمد بن عبد الله ابن طاهر هذا المجلس وتعليقه على عطاء المتوكل للحسين^(٢) أما الخبر الثالث فهو رثاء الحسين للمتوكل والفتح بن خاقان بيتين من الشعر^(٣) وهو المصدر الوحيد الذي انفرد بنسبة هذا الرثاء للحسين .

وللمسعودي كذلك كتابه « التنبيه والإشراف » فيه ذكر مدح الحسين لكل من الأئمة والمعتصم بمناسبة فتح عمورية^(٤) . وقد ذكر الطبري مدحه للأئمة أما مدحه للمعتصم فقد انفرد المسعودي بروايته دون المصادر الأخرى . ولهذا أهميته في توضيح مدى علاقة الحسين بالمعتصم زيادة على ما ذكره المصادر الأخرى .

يأتى بعد هؤلاء أبو الفرج الأصفهاني (المتوفى سنة ٣٥٦ هـ) في سجل كتابه « الأغاني » أوسع ترجمة للحسين ، ويضمنها معظم أخباره ونواصره وأشعاره ، وقد ذكر ما قيل في نسبه وأصله من روايات مختلفة ، وفي أى بيت من القبائل العربية كان ولاؤه ، ولم يورد أبو الفرج سنة ميلاده أو وفاته بالتحديد ، ولكنه أورد رواية عن الحسين بأنه لا يذكر مولده بالضبط وإنما يذكر موت شعبة بن الحجاج سنة ستين ومائة . وهذه الرواية مهمة في تحقيق تاريخ ميلاده . أما عن وفاته فقد ذكر أنه مات في خلافة المستعين أو المنتصر دون تحديد ، وتحدث أبو الفرج عن نشأة الحسين بالبصرة مع أبى نواس ذاكرة قصة جبة الخز التي أشرنا إليها في «طبقات الشعراء» ، لابن المعتز ، ثم ذكر خروجه من البصرة إلى بغداد واتصاله بأعيانها وملحهم وبلده اتصاله بصالح بن الرشيد ثم بالأمين وإخوته إلى أن قتل . وروى بعض

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٤١ ط سنة ١٢٨٣ هـ .

(٢) قصه ج ٢ ص ٣٠٨ . (٣) قصه ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٤) التنبيه والإشراف ص ١٤٤ - ١٤٥ ط ١٩٣٨ هـ .

أخبار منادياته للأمين ونوادره الطريفة معه، وبين رد القمل الذي حدث للحسين بعد مقتل الأمين، وكيف اشتط في رثائه حتى هجا المأمون وما أصابه نتيجة ذلك من إبعاد المأمون إياه ومحاولات الحسين الاتصال بالمأمون لنيل عفوّه ، ثم تابع عودته إلى قصور الخلفاء بعد تولى المعتصم، ومنادته لهولوائى والمتوكل إلى أن كبرت سنّه ، فاعتذر للمتوكل عن عدم قدرته على حضور مجالسه ويورد أبو الفرج خبراً عن اتصاله بالمتنصر بعد ذلك وملحه . وهكذا يعرفنا كثيراً من أخبار منادته لهولاء الخلفاء وعلاقته بهم ، ومصاحبته لإمام فى إقامتهم وترحالهم ، مما يبين لنا بوضوح مكانته الحقيقية عندهم ويفيدنا فى دراسة سيرته .

ولا يمكنى أبو الفرج بذكر ما كان بين الحسين وبين الخلفاء ، بل يذكر كذلك صلته بالأمرء العباسيين كصالح وأبى عيسى وأبى أحمد أبناء الرشيد وإبراهيم بن المهدي ، كما يذكر صلته بأشراف القوم وأعيانهم ، كالحسن بن سهل والحسن بن رجاء والفتح بن خاقان وغيرهم . وكذلك أخباره مع شعراء عصره وأدبائه ؟ كأبى نواس وأبى التهاية وابن منذر وابن خلاد وعمرو بن مسعدة ، وأخباره أيضاً مع بعض المغنين المشهورين كابن بسّخر ومُحارق .

ومن أهم الجوانب التى ذكرها أبو الفرج فى ترجمته للحسين علاقاته بالفنان والحوارى وأخباره معهم ، كإسراخام أبى عيسى بن الرشيد ومقحم خادم ابن شقوق والحارثية فن وغيرهم من الفنان والحوارى، وسجل أبو الفرج مجونه وتهنئة فحفظ لنا بذلك ما يعرفنا بشخصية الحسين على حقيقتها ، وما يفيدنا فى دراستها فائدة كبيرة .

ولم يفت أبو الفرج أن يسجل بعض أخبار الحسين ونوادره مع عامة الناس كتأدبته مع أحد جند الشام ومحبوته « ببصص » ، وغير ذلك ^(١).

(١) انظر ترجمة الحسين فى الأغاني ج ٧ ص ١٤٦ وما بعدها ط دار الكتب ، ج ٦ ص ١٧٠ وما بعدها طبة يولاق والمجلد السابع ص ١٤٢ وما بعدها ط دار الثقافة .

فهى إذن ترجمة وافية عن الحسين لم ترد عليها المصادر الأخرى إلا بعض الأخبار القليلة أو بعض المعلومات اليسيرة .

وبعد أبى الفرج بقليل يأتى حمزة بن حسن الأصفهاني (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) فيذكر فى مقدمة ديوان أبى نواس خبر اجتماع بعض الشعراء وبينهم الحسين ، حيث يدعو كل منهم إخوانه شعرا لعقد مجلس الشراب فى داره^(١) وقد سبق الملاحظ برواية هذا الخبر كما عرفنا . ويذكر أيضا خبر صلاة الجماعة^(٢) ، وإن كان لا يورد اسم الحسين ضمن الشعراء المذكورين فى الخبر ، كما نرى فى المصادر الأخرى .

بعد ذلك يأتى الآملى (المتوفى سنة ٣٧٠هـ) فيذكر فى كتابه «المؤتلف والمختلف» ترجمة موجزة للحسين ، لا تعلق اسمه وكنيته ولقبه الذى اشتهر به ، وأنه كان ظريفا وصاحباً لأبى نواس^(٣) .

ثم يأتى التنوخى (المتوفى سنة ٣٨٤هـ) فيذكر فى كتابه « الفرج بعد الشدة » خبرين^(٤) عن الحسين أولهما خبره مع المأهون ، وقد ذكر أنه نقله عن أبى الفرج . وثانيهما خبره مع المعتصم لما غضب عليه فكتب الحسين إليه أبياتا يستعطفه بها فعفا عنه ، وهذا الخبر موجود كذلك بالأغاني .

ومع التنوخى يأتى المرزبانى (المتوفى سنة ٣٨٤هـ) فيذكر فى كتابه « الموشح » خبرا عن أبى تمام الطائي ينشد شعره فى منزل الحسين^(٥) .

وبعدهما بقليل يأتى الشافعى (المتوفى سنة ٣٨٨هـ) فيكتب عنه فى كتابه « الديارات » بعض الأخبار^(٦) التى تتصل بموضوع كتابه . ويعرفنا بالأديرة

(١) ، (٢) انظر مقدمة ديوان أبى نواس ورواية حمزة الأصفهاني ط آصاف .

(٣) المؤتلف والمختلف للآملى ص ١١٢ .

(٤) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٧١ - ٧٢ .

(٥) الموشح ص ٥٠٢ ط سنة ١٩٦٥ .

(٦) انظر الديارات صفحات ٢١ ، من ٣٥ إلى ٤٠ ، ص ٩٨ ، ١٠١ ، ١٦٦ .

التي كان الحسين يرتادها مع صحبه . ويذكر شهرته في الخلاعة والمجون ومناذمته للخلفاء من الأمين حتى المتوكل ، ويستثنى المأمون ، ذاكرا في إيجاز خبر الحسين معه .

والجديد فيما كتبه الشافعي عن الحسين هو حادثة حدثت له حين كان مصاحبا للمعتصم في بعض زياته ، وقد انفرد بذكرها دون المحدثين الآخرين . وكذلك حضوره للحفل العظيم الذي أقامه المتوكل بمناسبة إعدام ابنه المعتز .

ويذكر عن الحسين كذلك استناره بالخدم فيروي قصته المشهورة مع شفيع خادم المتوكل . كما يذكر منادمته لصالح بن الرشيد ، ودعوة الحسين بن رجاء وابن بسخر إياه لكي يتادماه . وكل هذه الأخبار نجدها في الأغاني وغيره . ومع ذلك ففيما كتبه الشافعي عن الحسين معلومات جديدة تفيدنا في دراسته .

ونجد في مخطوط « الجليس والأنيس » للمعاني بن زكريا النهرواني (المتوفى سنة ٣٩٠ هـ) قصة جبة الخز المشهورة للحسين مع أبي نواس ^(١) .

كما نجد القصة نفسها في « ديوان المعاني » لأبي هلال العسكري (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) والذي ذكر أيضا خبره مع المأمون في محاولة الغزو عنه ، ولكنه يرويه بطريقة تختلف قليلا عن الروايات السابقة . وذكر كذلك رواية عن الخليفة المكتفي بالله بأنه سأل جاساه عن أهلك بيت قائلته العرب ، ثم ذكر هذا البيت للحسين ^(٢) .

وفي القرن الخامس الهجري يقل عدد من كتبوا عن الحسين بالقياس إلى من كتبوا عنه في القرن الرابع ، وتمتاز تراجمهم له بالإيجاز ، ومع ذلك فهي لا تخلو من بعض المعلومات الجديدة عنه . وفي مقالة هؤلاء أبو منصور

(١) انظر الجليس والأنيس (مخطوط رقم ٥٧٤) أدب بدار الكتب ورقة ٢٨ .

(٢) ديوان المعاني ج ٢ ص ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ج ١ ص ٢٠٢ .

الثعالي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) الذي كتب عنه ترجمة موجزة في كتابه «المتحل» ذكر فيها اسمه وكنيته ولقبه وأصله وبيت ولاته ، ومكانته في الشعر واتصاله بالخلفاء ، وعلاقته بأبي نواس ثم حدد تاريخ وفاته بذكر السنة^(١) . وهو أول من ذكره محددا ممن ترجموا للحسين ، ولهذا أهميته في دراسة سيرة حياته .
وبعد بقليل يأتي أبو سعيد العميدى (المتوفى سنة ٤٣٣ هـ) فيكتب عنه في كتابه «الإبابة عن سرقات المتنبى» ترجمة موجزة كالسابقة ، إلا أنه لم يذكر بيت ولاته . أما الجليد فيها فهو تحديد السنة التي اتصل فيها الحسين بالأدين^(٢) .

ثم يأتي ابن رشيقي القيرواني (المتوفى سنة ٤٥٦ هـ) فيذكر في كتابه «العمدة» بعض الأخبار عن الحسين ، يذكر مكانته بين شعراء عصره ويجعله بين المشهورين بنجودة القطع الشعرية من المولدين^(٣) . كما يذكر خبر صلاة الجماعة لبعض الشعراء ومنهم الحسن^(٤) ، وهو الخبر الذي رواه قبله حمزة الأصفهاني^(٥) دون ذكر الحسين فيه كما أشرنا من قبل ويروى كذلك خبره مع أبي نواس لما سطا على بعض معانيه في الخمر^(٦) . وقد سبق ذكره في الأغاني . كما يذكر خبر اجتماعه مع أبي نواس وأبي العتاهية الذي أشدهما أحياتا لنفسه فأعجبتهما وسلما له بالسبق وملاحة القصد^(٧) .

بعد ذلك بقليل نجد الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ) يكتب عنه ترجمة موجزة في كتابه «تاريخ بغداد» كترجمة الثعالي والعميدى ،

(١) للمتحل ص ٣١٩ .

(٢) الإبابة عن سرقات المتنبى ص ١٨٤ .

(٣) العمدة - ١ ص ١٠١ ، ١٨٨ .

(٤) قصه ج ٢ ص ٩١ - ٩٢ .

(٥) انظر مقالة ديوان أبي نواس واية حمزة الأصفهاني .

(٦) العمدة ج ٢ ص ١٨١ .

(٧) قصه ج ١ ص ١٠٦ .

ولكنه زاد قِطْعَيْنِ جَدِيدَتَيْنِ هَامَتَيْنِ لم يذكرهما أحد قبله ، النقطة الأولى أنه حدد تاريخ السنة التي ولد فيها الحسين ، والثانية أنه ذكر تاريخاً آخر لاتصال الحسين بالأمين^(١) غير الذي ذكره العميدى من قبل في «الإبانة» .

وبعد يأتي أبو عبيد البكري (المتوفى سنة ٤٧٨ هـ) فيذكر في كتابه « معجم ما استعجم » بعض أخبار الحسين التي تتعلق بالديارات ، منها خبران^(٢) عن اجتماعه مع بعض أصحابه في عمرُ نصر ، أو عمر مر من رأى ، حيث شربوا وطربوا بالغناء ، وخبر ثالث عن نزوله بدير مران بالشام مع الرشيد^(٣) : وهو نفس الخبر الذي أوردته المصادر الأخرى على أكان مع المتعم لا الرشيد .

وآخر من ترجموا له في هذا القرن أبو إسحاق المصري القيرواني (المتوفى سنة ٤٨٨ هـ) فبروى في كتابه «زهر الآداب» خبرين عن الحسين^(٤) ، أولهما خبر سطو أبي نواس على بعض معانيه في الحمر ، وهو الخبر الذي ذكره ابن رشيقي في العملة وأبو الفرج في الأغاني ، وثانيهما خبره مع المتوكل وخادمه شقيق . وقد سبقت به كذلك عدة مصادر .

ويطلع القرن السادس الهجري فلا نجد فيه غير ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ هـ) الذي يكتب عنه في تاريخه ترجمة متوسطة مدعمة ببعض أخباره ونوادره^(٥) ، وهي تكرار لما ذكره البغدادي ، مع إضافة بعض الأخبار الأخرى المكررة كذلك ، فنها خبر سبق أن رواه البكري في معجمه ، وهو عن خروجه مع الرشيد إلى الشام ونزوله بدير مران ، ولكنه يصححه مرجحاً أن يكون خروجه مع المتعم ، ومنها خبره المعروف مع المأمون ، أو محاولة

(١) انظر تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) انظر معجم ما استعجم ص ١٠٤٩ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ص ٦٠٢ .

(٤) انظر زهر الآداب ج ٢ ص ١١٤ ، ٢١١ .

(٥) انظر تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٧ وما بعدها .

صالح بن الرشيد استرضاء المأمون عليه ، ومنها كذلك خبر جبة الخنز ،
وخبر صلاة الجماعة ، وخبر اجتماعه مع الشعراء وتباريهم في الدعوة إلى
الشراب والمناذمة بالشعر .

وفي القرن السابع الهجري نجد خمسة مصادر كتبت عن الحسين ، أولها
« بدائع البدائه » لعل بن ظافر الأزدي (المتوفى سنة ٨٦١٣) ولم يورد إلا بعض
الأخبار التي تدل على بديهة الشاعر الحاضرة في قرص الشعر ، كنادمته
للمتوكل وما قاله في خادمه شفيح ، وإجازته لأبي العتاهية لما قال بيتا على ياكية
تبكى على قبر ، وقصة صلاة الجماعة مع الشعراء^(١) .

ويأتي بعده بقليل أحمد بن عبد المؤمن الشريشي (المتوفى سنة ٩١٩ هـ)
فيذكر بعض الأخبار المعروفة عن الحسين كنادمته مع الواثق ، وقصة
جاريته ، ومع الحسن بن سهل وغزله بغلامه^(٢) ومع المتوكل وخادمه الشفيح^(٣)
ولعجاب المتوكل بشعره أمام علي بن المههم^(٤) ، وخبره مع خادم أبي عيسى
ابن الرشيد^(٥) وكلها أخبار سبقت في الأغاني وغيره من المصادر .

وبعد سنوات قليلة كذلك يأتي ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ)
فيكتب عنه في كتابه «معجم الأدباء» ترجمة^(٦) جمع معلوماتها من المصادر التي
سبقته ، إلا أنه يختلف مع البغدادى وابن عساكر في ذكر سنة اتصاله بالأمين ،
ويتفق فيها مع العميدى ، ويتفق مع أبي الفرج في ذكر أصله ، ثم يذكر بعض
أخباره المعروفة كخبر غضب المأمون عليه باختصار ، واستقدام المعتصم إياه
ولكرامه بعد مدحه ، كما يذكر غضب المعتصم عليه وكتابة الحسين إليه يسترضيه .

(١) انظر بدائع البدائه ص ١٢٣ ، ١٩٢ .

(٢) انظر شرح المقامات الحريرية ج ٢ ص ١٨٢ ، ٤٢١ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٤١٠ .

(٥) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٥ .

(٦) معجم الأدباء ج ١٤ ص ٥ وما بعدها .

ويذكر مدحه الواثق وللمتضر الذي أظهر لإكرامه والسرور به ، وخبر
مناذته مع عبد الله ابن العباس بن الفضل . وكلها أخبار سبقت روايتها
في الأغاني وغيره .

وبعد ذلك بقليل أيضا يأتي ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) الذي
يكتب عنه في تاريخه « الكامل » بعض الأخبار التي قرأنا معظمها في تاريخ
الطبري ، والمسعودي أو في الأغاني أو في المصادر الأخرى ، كخبر
قطع خزيمة الجسر في حصار بغداد ومدح الحسين لعمله هذا في شعره^(١)
وكرثائه للأمين وخبر مقابله للمأمون وعتابه لإياه ، واعتذار الحسين^(٢) كذكر
تاريخ مولده وتاريخ وفاته^(٣) .

وفي أواخر القرن السابع نجد ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ) الذي
يكتب عنه في كتابه « وفيات الأعيان » ترجمة^(٤) موجزة كترجمة البغدادي
والثعالبي والعميدى . ولكنه يختلف مع البغدادي في ذكر تاريخ اتصاله بالأمين
ويتفق مع العميدى . والجديد في ترجمته أنه أشار إلى أن ابن المنجم قد ذكر
الحسين وأورد كثيرا من شعره في كتابه « البارع » وإن كان هذا الكتاب
من الكتب التي فقدت ولم تصل إلينا .

وفي القرن الثامن الهجري نجد خمسة كتبوا عن الحسين أولهم أحمد بن
عبد الوهاب النويري (المتوفى سنة ٧٢٣ هـ) ولم يذكر عنه في كتابه « نهاية
الأرب » إلا أخبارا قليلة معروفة كخبر غضب المأمون عليه ثم عفو
باختصار . كما ذكر خلاعته ومجونه وصحبته لأبي نواس وحججه معه
بمكة^(٥) وهي أخبار مكررة .

-
- (١) الكامل في التاريخ ج ٦ ص ١٩٤ .
 - (٢) المصدر السابق ج ٦ ص ٢٠٤ .
 - (٣) المصدر السابق ج ٧ ص ٨٩ حوادث سنة خمسين ومائتين .
 - (٤) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٣ .
 - (٥) نهاية الأرب ج ٣ ص ٢٠٦ ، ج ٤ ص ١١٩ .

وبعده يأتي شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ)
فيذكر في كتابه « تاريخ الإسلام » ترجمة موجزة تقرب مما ذكره البغدادى
وابن خلكان ، وإن لم يذكر فيها سنة ميلاده أو سنة اتصاله بالأمين ، بينما ذكر
سنة وفاته عن بضع وتسعين سنة ، كما ذكر خبره المعروف مع المتوكل
وخادمه شفيح^(١) .

ثم نجد في منتصف هذا القرن ابن فضل الله العمري (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ)
الذي كتب عنه في كتابه « مسالك الأبصار » ترجمة دعمها ببعض أخباره
وبكثر من شعره^(٢) ، وترجمته لا تجمع المعلومات التي ذكرتها التراجم
السابقة ، فلم يذكر مثلاً تاريخ ميلاده أو أصله أو بلد اتصاله بالأمين وأخباره
الهامة مع الخلفاء . أما الأخبار التي ذكرها فهي عن منادته للوثن بخانة انشط ،
وعن خروجه مع الرشيد إلى دير مران بالشام^(٣) وقد سبق ورودها في مصادر
أخرى كما أشرنا من قبل .

ويأتي ابن شاکر الكتبي (المتوفى سنة ٧٦٤ هـ) فيكتب عنه في كتابه
« عيون التواريخ » ترجمة^(٤) أدق من السابقة يذكر فيها أصله وسبه وتاريخ
وفاته ، وحديثه عن سنة ميلاده الذي ذكره أبو الفرج في الأغاني ،
ومنادته للخلفاء وصلته بأبي نواس ، وسطوه على معانيه . في الخمر ،
كما ذكر خبره مع المأمون كاملاً وزاد عليه بتعليق هام ، وخبر استقدام
المتنم له وإكرامه بعد أن مدحه ، ومنادته للمتوكل وعبه بخادمه شفيح ،
ويروى كثيراً من شعره مع هذه الترجمة .

وأخيراً من كتب عنه في هذا القرن هو الإمام عفيف الدين اليافعي
(المتوفى سنة ٧٦٨ هـ) الذي كتب عنه ترجمة^(٥) موجزة في كتابه « مرآة

(١) تاريخ الإسلام (مخطوط) ج ١٣ ص ٤٥ ، ٥١ .

(٢) مسالك الأبصار (مخطوط) ج ٩ ورقة ٢٩٠ وما بعدها .

(٣) مسالك الأبصار مطبوع ج ١ ص ٣٩٤ ، ص ٢٥٥ .

(٤) عيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٧٠٩ وما بعدها ، ص ٦٥٩ .

(٥) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ .

الحنان» وتقصها بعض المعلومات الأساسية كيلاده وأصله ونسبه ، كما أنه لم يذكر معها شيئا من أخباره .

أما القرن التاسع الهجري فلا نجد فيه من كتب عن الحسين إلا اثنين ، أحدهما بدر الدين العيني (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ) الذي كتب عنه في كتابه « عقد الحمان » ترجمة^(١) تتفق مع ما كتبه ابن خلكان تماما ، إلا أنه زاد عليه بذكر خبره مع الحسين بن سهل و غلامه ، وقد نقل هذا الخبر من الأغاني بأقفاظه .

أما الثاني فهو ابن تفرى بردى (المتوفى سنة ٨٧٤ هـ) وهو لم يكتب ترجمة عنه ، وإنما ذكر في كتابه « النجوم الزاهرة » خبره مع المأمون فحسب . وفي القرن العاشر لا نكاد نجد شيئا كتب عن الحسين ، اللهم إلا ما كتبه عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) عن خبره مع المأمون باختصار في كتابه « تاريخ الخلفاء »^(٢) .

وفي القرن الحادى عشر لا نجد إلا ابن العماد الخنيلي (المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ) وقد كتب عنه ترجمة موجزة ، تتفق مع ما كتبه ابن خلكان والعيني ، وذلك في كتابه « شذرات الذهب » وإن ذكر تاريخنا آخر لوفاته لم يذكره أحد قبله . ثم أبدى شكه فيه . كما لم يذكر تاريخ ميلاده ولا تاريخ اتصاله بالأمين^(٣) .

وفي العصر الحديث نلتقي ببعض المصادر التي ترجمت له كذلك ، ولا نجد فيها جديدا على ما ذكرته المصادر القديمة ، وإنما نجد معلوماتها مستمدة منها . من ذلك (دائرة المعارف الإسلامية) التي ترجمت له ترجمة موجزة فيها اسمه ولقبه وسلوكه وسنة مولده وسنة وفاته ، واتصاله بالأمين ورثاته ، إلا أن فيها بعض اللبس ، إذ تقول بعد ذكر رثاته للأمين « وقد ظل الباهل بعد هذا

(١) عقد الحمان (مخطوط) ج ١٤ قسم ٢ ورقة ٢٨٨ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ١٢٨ . (٤) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

موضع تقدير كبير في بلاط الخليفة الحديد^(١) ويضهم من ذلك أنه كان موضع تقدير عند المأمون الذي لم توضح الترجمة علاقته به ، وهنا يخالف للحقيقة التي ذكرتها المصادر الأخرى تماما .

ونجد كذلك ترجمة^(٢) موجزة في «الأعلام» للزركلي ذكر فيها لقبه بالخلاط، في أصله دون حسم لهذه القضية ، كما ذكر صلته بالخلفاء وتاريخ مولده ووفاته وإغارة أبي نواس على معانيه في الخمر .

وبهذا نكون قد استعرضنا جميع المصادر التي كتبت عن حياة الحسين وعن سيرته، وعرفنا ما قدمه لنا كل مصدر من المعلومات ولأخبار ومدى أهميتها في استجلاء جوانب حياته .

٢ - نسبه ونسأته وثقافته :

أول ما يصادفنا في تحقيق نسب الحسين بن الفضل أن نعرف حقيقة أصله، هل هو عربي باهلي صليبة أى خالص النسب، كما ذكر محمد بن داود الجراح ، أم أنه مولى لباهلة وليس من أبنائها العرب الأصلاء ؟

هذا السؤال قد يثير الشك في حقيقة أصل الحسين ، ولكننا نجد أيا من التوجاهات الأصفهاني—وهو أول من أثار هذا الشك—ينى قول ابن الجراح هنا فيقول : « والصحيح أنه مولى لباهلة »^(٣) وكذلك يا قوت الذي يقول : « فهو مولى لا باهلي النسب كما زعم ابن الجراح »^(٤) . أما أغلب المصادر التي ترجمت للحسين فهي لا تتعرض لهذا السؤال بالمرة ، وإنما تذكر أنه مولى لباهلة وأن أصله من خراسان^(٥) ما عدا ابن عساكر الذي لم يذكر رأيا قاطعا في هذه

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ٣٢٠ (٢) الأعلام ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٣) أغاني الدار ج ٧ ص ١٤٦ . (٤) معجم الأدباء ج ١٠ .

(٥) انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٤ والمتعل ص ٢١٩ ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٣ ومسالك الأيصار (مخطوط) ج ٩ ورقة ٢٩٠ ومعيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٧٠٩ وعقد الجمان (مخطوط) ج ١٤ قسم ٢ ورقة ٢٨٨ وشفرات الذهب ج ٢ ص ١٢٢ .

المشكلة، فبعد أن ذكر أنه مولى باهلي قال : « وقيل بل هو من باهلة عربي ليس بمولى »^(١) فهو يلقى بهذا القول دون أن يؤكد أو يأتي بما يؤيده ، إلا أنه يذكره بطريقة تدل على تشككه فيه ، يذكره على أنه مجرد قول قيل ، لا على أنه حقيقة مؤكدة . ومن ثم لا نستطيع الأخذ به لضعفه وللإجماع المصادر الأخرى على أنه مولى وليس عربيا . ويؤكد أبو الفرج هذه الحقيقة برواية يذكرها عن جعفر بن قدامة عن علي بن يحيى المنتجم الذي يقول : « كان حسين بن الضحاك بن ياسر مولى لباهلة ، وأصله من خراسان »^(٢) .

بعد أن خرجنا هذه النتيجة ، وهي أنه كان فارسي الأصل و مولى لباهلة ، علينا أن نعرف أيضا في أي بيت من باهلة كان ولأوله . وتتفق المصادر التي ذكرناها جميعا على أنه كان مولى لولد سليمان بن ربيعة الباهلي الصحابي . وإن كان أبو الفرج يذكر رواية أخرى عن الصولي قال « وسألت الطيب بن محمد الباهلي عنه فقال لي : هو الحسين بن الضحاك بن فلان بن فلان ابن ياسر ، قديم الولاء ، وداره في بني مجاشع وفيها ولد الحسين ، أرائها صاحبتا سعيد بن مسلم »^(٣) . ويبدو أن المصادر الأخرى لم تأخذ بهذه الرواية لشكهم في صحتها ، ولعل مبعث هذا الشك هو قوله « ابن فلان بن فلان » دون تحديد لأسماء هؤلاء الخلود . فلو كان صاحب هذه الرواية صادقا لذكر الأسماء على حقيقتها كما هي العادة عند العرب في حفظ أنسابهم . فهي إذن رواية ضعيفة لا يؤخذ بها ، ولهذا رفضتها جميع المصادر الأخرى بل لم تذكرها على الإطلاق ، ولا بد أن أصحاب هذه المصادر قرعوها في الأغاني ولكهم لم يقتنعوا بها . فلا مناص لنا من الأخذ بما اتفقوا عليه .

أما موقف الحسين نفسه بالنسبة لهذا الولاء فكان مانعا ، لأنه كما ذكر أبو الفرج « كان ربما اعترف بهذا الولاء وربما جمعه »^(٤) ولعل موقفه

(١) تاريخ ابن سائر ج ٤ ص ٢٩٧ . (٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٤٦ .

(٣) نفسه ج ٧ ص ١٤٧ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ١٤٦ .

المائع هذا هو الذي أثار بعض الشك في حقيقة ولاته . ولكننا نرى اعترافه به مبنيًا على حقيقة واقعة ، أما وجوده له فهو مجرد إنكار لهذه الحقيقة ، والإنكار لا يجب الاعتراف ، خاصة وأن هناك شهودا كثيرين يؤكدون حقيقة ولاته هذه ، وهم الرواة الذين نقل عنهم أبو الفرج كعلي بن يحيى المنجم وجعفر بن قدامة ، وإبراهيم بن المعلّى الباهلي والصولي . ولعل السبب في وجوده لهذا الولاء يرجع إلى بواعث نفسية كانت تتطوى عليها نفوس الموالي في ذلك العصر والحسين أحدهم ، وهي نفورهم من سيادة العرب عليهم ، فقورا أدى إلى الحقد على العرب عند كثير منهم ، وأصبحت هذه نزعة عامة بينهم عرفت بالشعوبية ، وزادت عند بعضهم إلى درجة الكفر بالعرب وبدينهم الإسلامي فكانت الزندقة التي حاربها الخلفاء وقتلوا كثيرين من أتباعها وخاصة المهدي . فليس غريبا أن تلغ هذه البواعث النفسية الحسين إلى إنكار ولاته لقبيلة عربية ، وأن تجعله يحقد سيادة البيت الذي ولد فيه وترى في رعاية ذويه .

وكان الحسين يكنى بأبي علي ويلقب بالخليع والأشقر^(١) ومنبحث أصباب تلقيبه بهذين اللقبين في دراستنا لشخصيته .

وهو بصرى المولد والمنشأ^(٢) ولكن تاريخ مولده غير معروف بالتحديد ، كشأن كثيرين من شعراء ذلك العصر أو غيرهم . وأول من حدد تاريخاً لمولده هو الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ) وبين وفاته و وفاة الحسين أكثر من مائتي سنة ، وقد ذكره في رواية عن علي بن أبي علي عن أبي عبيد الله المرزباني . وهذا الأخير هو صاحب « معجم الشعراء » ووفاته سنة ٣٨٤ هـ أي بعد وفاة الحسين بأربعة وثلاثين ومائة عام . ومع أنه لم يذكر الحسين في معجمه ، إلا أن البغدادي ينقل عنه رواية تاريخ ميلاده بهذه الصيغة « يقال إنه ولد

(١) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٤٦ ومعجم الأدباء ج ١٠ ص ٥٠ .

في سنة اثنتين وستين ومائة^(١) وكلمة يقال : هذه توحى بالشك وتفتقر إلى التأكيد ، وخاصة إذا وجدنا ما يقوى هذا الشك ، بل وبجعلنا نرفض هذا القول ولا تأخذ به. فأبو القروج الأصمغاني - وهو أقدم من البغدادى والمرزبانى - يذكر رواية عن عمه عن يزيد بن محمد المهلبى قال : «سألت حسين بن الضحاك ونحن في مجلس المتوكل عن سنة ، فقال : لست أحفظ السنة التى ولدت فيها بعينها ، ولكنى أذكر وأنا بالبصرة موت شعبة بن الحجاج^(٢) سنة ستين ومائة^(٣) ورواية أخرى ذكرها أبو القروج عن عمه عن ميمون بن هارون عن حسين ابن الضحاك قال : « كنت أنا وأبو نواس تربين نشأنا في مكان واحد ونأدبنا بالبصرة^(٤) » وقد اختلف في مولد أبي نواس فقيل كان مولده سنة ست وثلاثين ومائة ، وقيل سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين ، وقيل سنة تسع وأربعين^(٥) ؛ فإذا أخذنا حتى بأخر هذه الأقوال وجدنا أنه من غير المعقول أن يكون أبو نواس والحسين تربين وبينهما هذا الفارق الكبير في السن حسب برواية البغدادى أو المرزبانى ، وهو فارق يصل إلى ثلاثة عشر عاما ، وقد يزيد إذا باعدنا ميلاد أبي نواس. أضف إلى ذلك أن قول الحسين عن سنة لا تتفق مع رواية البغدادى وإنما يتفق مع الرواية الأخرى عن نشأته مع أبي نواس ؛ فقد قال إنه يذكر موت شعبة بن الحجاج سنة ستين ومائة ومعنى ذلك أنه كان في هذه السنة طفلا صغيرا ، ولكن في سن تمكنه من أن يذكر حادثة مشهورة كهذه ، أى أنه كان في السادسة أو السابعة تقريبا . وعلى ذلك يكون ميلاده سنة ثلاث وخسين أو أربع وخسين ومائة على وجه التقريب ، وبذلك يتقارب ميلاده مع ميلاد أبي نواس ، ويكون فارق السن قليلا لا يمنع من زمالتهما في النشأة . وإذا أردنا أن نوسع

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢) هو أبو بطلام شعبة بن الحجاج بن الورد الحنكلى الأزدي شيخ البصرة وأمير المؤمنين في الحديث وقد توفي سنة ستين ومائة لثلاث بقين من جمادى الآخرة - انظر شرات الذهب ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) أغانى القار ج ٧ ص ٢٢٥ . (٤) نفسه ج ٧ ص ١٦٢ .

(٥) اخبار أبي نواس لابن منظور ص ٥ .

دائرة الاحتمال في تقدير سنة ميلاده جعلناها بين خمسين ومائة وخمسين وخمسين ومائة كما يقدر الأستاذ عبد الستار فراج ^(١) .

ويمكننا أن نستخلص من شعر الحسين ما يؤكد صحة استنتاجنا هذا ، ويدحض زعم البغدادى والمزربانى . فقد أرسل الحسين إلى المتوكل أبنياتا يمثلن فيها عن علم قدرته على منادته ، وفيها يقول : ^(٢)

أما في ثمانين وفيها عذير وإن أنا لم أعتذر
فكيف وقد جزتها صاعدا مع الصاعدين بنسج آخر

وكما يقول الأستاذ عبد الستار فراج : فلو كانت ولادته سنة ١٦٢ لكان عمره عند مقتل المتوكل (٢٠٦ — ٢٤٧) خمسة وثمانين عاما ، وهذا لا يتفق مع اعتباره في شعره بأن عمره تسعة وثمانون ولا يقال إن ضرورة الشعر ألحاته إلى اختيار لفظة تسع فالوزن يستقيم إذا قال « بخمس ، بست ... » فالذى يفهم من شعره السابق أنه ولد على الأقل في سنة ١٥٦م إذا افترضنا قوله في السنة التي قتل فيها المتوكل ٢٤٧ ^(٣) والذي يمكن أن نثبت به على هذا الاستنتاج أن الحسين لا يمكن أن يكون قد قال هذا الشعر في السنة التي قتل فيها المتوكل كما يفترض الأستاذ فراج لأن الحسين لم ينادم المتوكل إلا هذه المرة المشهورة في أخباره ، وإلى غايل فيها شفيعا خادمه .

وسبب هذه المنادة أن المتوكل « أحب أن يرى ما بقي من شهوته لما كان عليه ، فأحضره وقد كبر وضعف فسقاه حتى سكر . وعمر شفيعا على العبث به » ^(٤) ولعل المتوكل أراد أن تتكرر منادة الحسين بعد ذلك ، فلم يقدر الحسين على ذلك لكبره وأرسل إليه معتبرا كما قرأنا في الأبيات ، وطبعي أن يكون ذلك قد حدث في بداية عهد المتوكل ، أو بعد سنين قليلة من توليه الخلافة ، ولا يعقل أنه ظل طول عهده الذي استمر خمسة عشر عاما

(١) نديم الخلفاء ص ٤٦ . (٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٢٥ .

(٣) نديم الخلفاء ص ٤٧ — ٤٨ . (٤) أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٩ .

لا يذكر الحسين وأنه لم يطلبه للمنادمة إلا في آخر عهده . فلو افترضنا أن ذلك حدث في أواسط عهد المتوكل — وهو اقراض أقرب إلى الصواب — وليكن سنة ٢٤٠ هـ أى بعد توليه بثاني سنوات وقبل قطه بسبع سنوات لكان معنى ذلك أن ميلاد الحسين هو سنة ١٥١ هـ تقريبا .

وفي آيات أخرى يتصلر فيها الحسين كذلك عن منادمة المتوكل فيقول^(١) :

أسلفت أسلافك فيما مضى من خلعتي إحسدى وستينا
كنت ابن عشرين وخمس قد وفيت بضعضا وثمانينا
إني لمعرف بضعف القوى وإن تجللت أحايينا
وإن تحملت على كبرتي خلعة أبناء الثلاثينا

فمن هذه الآيات نفهم أن عمره كان ستة وثمانين عاما في الوقت الذي كان فيه عمر المتوكل ثلاثين عاما أى أنه قالها سنة ٢٣٦ هـ تقريبا . ويؤخذ من هذا الشعر كما يقول الأستاذ فراج « أن الحسين ولد على الأكثر حوالي سنة ١٥٠ هـ^(٢) ولكتنا لا نأخذ قول الحسين :

وإن تحملت على كبرتي لخلعة أبناء الثلاثينا

إن المتوكل كان في الثلاثين من عمره بالضبط ، بل يفهم أن قوله تقريبا ، فربما كان يزيد على الثلاثين سنة أو سنتين ويقال عنه من أبناء الثلاثين . وعلى ذلك يمكن أن نحسب ميلاد الحسين بين ١٥٠ ، ١٥٢ هـ تقريبا . وهذا الاستنتاج يقارب ما أستنتجناه من آياته الأولى

وإذا أضفنا إلى ذلك حجة أخيرة وهي اتفاق معظم المصادر على أن الحسين عمر عمرا طويلا حتى قارب المائة سنة^(٣) لوجدنا أن قولهم هذا

(١) الديارات ص ٣٦ . (٢) تكملة الخلفاء ص ٤٨ .

(٣) أغاني الدار ص ٧ ، ١٤٦ والمتل ص ٣١٩ ومجمع الأدباء ص ١٠ ص ٥ وعيون التواريخ (مخطوط) ص ٧ ص ٧٠٩ - حوادث سنة ٢٥٠ هـ .

يتفق مع ما استنتجناه ، ولا يتفق مع قول البغدادى والمرزبانى ، لأنه على قولها تكون سنة عند موته ثمانية وثمانين عاما .

من كل ذلك يكون قد وضح لنا بجلاء خطأ قول المرزبانى والبغدادى ومن أخذ عنهما ، إذ أنه لا يتفق بحال من الأحوال مع ما رواه الحسين نفسه عن سنة وعن نشأته مع أبى نواس ، كما لا يتفق وما جاء فى شعره عن ذكر عمره ؛ ولا مع ما قبل عن عمره . ويكون ما استنتجناه وما استنتجته الأستاذ عبد الستار فراج ، من أن ميلاد الحسين كان بين سنة ١٥٠ و ١٥٥ هـ هو الأقرب إلى الحقيقة والصواب من ذلك التاريخ الآخر وهو ١٦٢ هـ وإذا أردنا أن نضيق الدائرة الزمنية أكثر من ذلك فيمكننا أن نقول إن ميلاده كان بين سنتى ١٥٢ أو ١٥٣ هـ على أضيق تحديد تشير إليه الشواهد التى ذكرناها .

أما منشأ الحسين الذى عرفنا أنه كان بالبصرة فلا خلاف فيه ، وتتفق جميع مصادر ترجمته على ذلك ، كما عرفنا أن أبى نواس كان زميل نشأته . ولم تكن زمالتهما مجرد اشتراك فى الوطن أو جيرة فى الحى ، بل كانت تريد على ذلك إلى الزمالة فى العلم وفى حضور مجالس الأدباء ، وعلى حد قول الحسين : كنت أنا وأبو نواس تربيين ، نشأنا فى مكان واحد وتأدبنا بالبصرة ، وكنا نحضر مجالس الأدباء متصاحبين^(١) .

ولا نجد أخبارا للحسين فى فترة نشأته بالبصرة إلا خيرا واحدا ، ولكنه يؤكد لنا صحبته لأبى نواس فى هذه الفترة ، وقد روت هذا الخبر عدة مصادر برواة مختلفين : ولكن سلسلة رواياتهم تنهى جميعها إلى عمر بن شبة عن الحسين بن الضحاك الذى يقول : كنت يوما من أيام الشتاء بالمسجد

(١) أغاني الدار - ٧ ص ١٦٣ .

(٢) هذه القصة فى طبقات الشعراء ص ١٦٦ وفى الأغاني - ٧ ص ١٨٣ وديوان المعاني - ٢ ص ٢٢٥ وتاريخ ابن صاكر - ٤ ص ٢٦٨ والجليس والأنيس (مخطوط) ورقة ٢٨ وتختف الروايات فى بعض الألفاظ ولكنها تتفق فى الأحداث وقد اخترت رواية ابن المعتز فى الطبقات لأنها أكملها لفظا .

الجامع بالبصرة ، إذ جاء أبو نواس وعليه جبة خز سرية جيدة جدا ، وما كنت عهدت أنها له ، فقلت : يا أبا علي من أين لك هذه ؟ قال : وما عليك من حيث جاءت منه ، فأفكرت في أمره ، فوقع لي أنه أخذها في تلك الساعة من موسى^(١) بن عمران لأنني كنت رأيته أقبل من باب بني تميم ، فقممت كأني أريد حاجة ، وخرجت من المسجد ، فإذا بمويس قد لبس جبة أسرى من تلك الحبة فقلت :

كيف أصبحت يا أبا عمران ؟

قال : بخير صبحك الله به .

قلت : يا كريم الإخاء للإخوان

قال : أسمعك الله خيرا يا أخي

قلت : إن لي حاجة فرأيتك فيها أنا فيها وأنت لي سيان^(٢)

قال : هاتها على اسم الله

قلت : جبة من جبابك الخز كيا لا يراني الشتاء حيث يراني

فضم يده إلى صدره وقال : خذها على بركة الله ، فخلعها عنه ولبسها ، وجئت وأبو نواس مكانه بعد ، فلما رآها علي قال : من أين جاءتلك هذه الحبة ؟

قلت : من حيث جاءتلك تلك . أعنى ما عليه .

وتفهم من هذه القصة أن الحسين كان في فترة نشأته طالب علم فقيرا ، وأنه استغل موهبته الشعرية في التكبس ، ولو كان من أسرة ثرية لما صعد إلى هذه المنحة ، مع ما في ذلك من قصد التطرف والتفكك بمفاجأة أبي نواس وإثارة دهشته . وعلى كل حال فمعلوماتنا عن أسرة الحسين

(١) هكذا ذكر في الطبقات وفي ديوان الماتى وفي الأليس والجلس . أما في الأغاني فهو موسيقى تاريخ ابن ميناكر يونس وكذا في أصول طبقات ابن المتر .

(٢) في الأغاني وديوان الماتى : اتنا في قصائنا سيان .

لا تكاد تذكر ، فلم يذكر في ترجمته شيء عن أبيه ولا عن أمه ولا عن إخوته سوى ما قيل في هجائه وهجاء أخيه ، فيروى للجواز :^(١)

أبو علي وأبو جعفر أصغر من يعرف بالعسكر
كلاهما طفل بلا داية ، علل باللوز وبالسكر

فيفهم من هذين البيتين أنه كان له أخ يكنى بأبي جعفر ، ولا تعرف حقيقة اسمه ، ومع أن البيتين قليلا في هجائهما وفيهما بعض المبالغة ، إلا أن هذه المبالغة لا تخلو من الحقيقة ، إذ يمكننا أن نستنتج منها شيئا عن طبيعة حياة الحسين في هذه الفترة ، من أنها لم تكن خشنة جافة ، أو فقيرة شاقة ، وإنما كانت على جانب من النعمة والرفاهة ، ولا أريد أن أقول إنها كانت نعمة ثراء أو رفاهة جاه ، وإنما أقصد بها نعومة الحياة الملائمة لللاهية ، التي اختارها الحسين لنفسه بين أصحابه ونلمائه من أهل الخلاعة والمجون ، وما أكثرهم في تلك الأيام . والذي يجعلنا نرجح أن « الجواز » قال هذين البيتين عن الحسين وأخيه في فترة وجوده بالبصرة ، لا بعد نزوحه إلى بغداد — أن الجواز جمع الأخوين في هجائه ، ومعنى ذلك أنهما كانا وما يزالان مرتبطين برباط الأسرة أو المعيشة ، ولم يكونا قد افرقا بعد برحيل الحسين إلى بغداد تاركا أخاه بالبصرة .

أما ثقافة الحسين التي تلقاها في فترة نشأته ، والتي كان لها أثرها الكبير في تكوين شخصيته الشعرية ، واتجاهه هذا النهج الذي يتسم بالمجون والخلاعة فلأنها تعتبر صورة حية لثقافة ذلك العصر عامة ، ولجانب المجون واللهو والحر منها خاصة .

وينبغي أن ننظر أولا نظرة عامة إلى الحالة العلمية بالبصرة في ذلك العصر الذي نشأ فيه الحسين في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري . والواقع أنها كانت مدينة زاهرة حافلة بالعلماء والأدباء حتى أنها وصلت إلى أرقى

درجات الكمال ، وصارت من أكبر مدن الإسلام ، ومركزا للعلماء العظام ، ومهداً للعلوم والفنون والآداب^(١).

التقت في البصرة عدة ثقافات مختلفة من عربية وأجنبية ، فالثقافة العربية تتمثل في جمع التراث الأدبي والديني لحفظه ودراسته ، من شعر وخطب وحديث وتفسير ، وتاريخ وأخبار ، وفقه ونحو ، مالم إلى ذلك . وكان من أبرز علمائها المشتغلين بالأدب في تلك الفترة الأصمعي وخلف الأحمر وأبو عبيدة . وكانوا على علم واسع بلغة العرب وآدابها وأشعارها ، وأخبارها وأنسابها ، وغنم أخذ الحسين وغيره من الشعراء الذين نشأوا بالبصرة في ذلك الوقت ، وخاصة خلف الأحمر الذي يعتبرونه معلم أهل البصرة .^(٢) والذي عرف بمجونه وزندقته وشعوبيته ، فهو لاشك كان له تأثيره على طائفة المجان من أمثال أبي نواس والحسين .

وقد تنوعت الثقافات الأجنبية بالبصرة في ذلك العصر ، نتيجة لنشاط حركة الترجمة عن اليونانية والفارسية والهندية . ويرى أستاذنا الدكتور شوقي ضيف أنه لم يحدث — تحت تأثير العناصر الأجنبية تحول واسع في الشعر رغم وراثات الشعراء ورغم إلمام طائفة منهم باللغات الأجنبية^(٣) ويرجع السبب في ذلك إلى : أنهم كانوا يتزودون باللغة العربية تزوداً لم يدع فضلاً لسلاتهم الموروثة^(٤) كما يرى أن هذه الثقافة الأجنبية التي لم تؤثر التأثير المظنون في لغة الشعر وصياغته كان لها تأثير أوسع مدى في صياغة الذهنية الباطنة^(٥) إذ أن الثقافة في ذلك العصر قد نظمت تنظيمًا جيدًا ، وأصبحت الترجمة عملاً أساسياً في الحياة العقلية فقد نقلت الثقافات المختلفة ، وشارك فيها العرب وظهر المعتزلة والنظام ، وبدا أثر ذلك واضحاً في كتابات الجاحظ ونماذج الشعراء^(٦) :

(١) مختصر تاريخ البصرة ص ٦٨ .

(٢) انظر نزعة الألباء ص ٧٠ ، ١٣٨ ، ١٧١ .

(٣) (٤) ، (٥) فتن ومذاهب في الشعر العربي ص ٩٨ .

(٦) (١) ، (٢) المرجع السابق ص ٩٩ .

ولاشك أن الحسين كان من هؤلاء الشعراء الذين أثرت فيهم الثقافة الأجنبية، وظهر تأثيرها واضحاً في شعره على نحو ما سنرى ، وبتطبيق رأى أستاذنا المذكور شوق عليه بصفته فارسي الأصل نجده فضلاً قد تزود من الثقافة العربية تزوداً لم يدع فضلاً لما ورثه عن آبائه من سلفية فارسية ، إذ أن جودة شعره ورصانة ألفاظه وتقاء لغته من التخليط والركاكة ، يدل دلالة واضحة على هذه الحقيقة . وستوضح لنا هذه الخصائص في دراستنا لشعره . وقد شهد بها له جميع من كتبوا عنه من العلماء والأدباء والدارسين ، فأسابوب شعره يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأسابوب الشعراء العرب من قبله ، وأفكاره تتصل اتصالاً قوياً بالثقافة العربية الموروثة من جاهلية وإسلامية ، ومن دنيوية ودينية ، برغم تأثرها بالثقافة الأجنبية .

ولإذا نظرنا إلى أهم جانب في ثقافة الحسين وهو ذلك الذي يتصل بشعره في الخمر والمجون والفزل ، وجدناه يتصل اتصالاً وثيقاً بشعر الشعراء السابقين عليه من أمثال الأعشى ، والأخطل ، والوليد بن يزيد ، ومطيع ابن إياس ، وأبي المنذر ، ووالبة بن الحباب وغيرهم ممن برعوا في هذه الفنون الشعرية . فالأعشى هو الرائد الأول لشعراء الخمر وهو كما نعرف جاهلي أدرك الإسلام في أواخر حياته . وبعده الأخطل الذي عاش في العصر الأموي وبلغ أعلى مرتبة في أيام عبد الملك بن مروان . ويجمع بعض العلماء بين هذين الشاعرين ، وبين الحسين وأبي نواس بصفتهم أوائل المبدعين في [شعر الخمر ، يقول الصولي : « سمعت بعض العلماء بالشعر يقول : أول الشعراء المتفلسفين في صفة الخمر الأعشى ثم الأخطل ثم أبو نواس ثم الحسين بن الضحاك »^(١) فالحسين بلا شك قد استفاد بشعر هذين الرائدتين ، وحفظ لهما الكثير ليزيد من ثقافته في هذا اللون الشعري الذي اختاره وأحبه ، وأبدع فيه ، وجدد في معانيه .

أما الوليد^(١) بن يزيد فهو في رأى القدماء يعد أستاذاً لكل من جاء بعده من الشعراء في وصف الخمر ، يقول أبو الفرج « والوليد في ذكر الخمر وصفها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم ، سلخوا معانيها .. »^(٢) ويذكر دليلاً على ذلك قصيدته التى مطلعها :

اصدع نجي الموم بالطرب وانعم على الدهر بآبنة العنب

ثم يعلق عليها بقوله : « وهذا من بديع الكلام ونادره ، وقد جود فيها منذ ابتداء الى أن ختم ، وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما ، »^(٣)

أما مطيع بن إياس فقد كان من مخضرى الدولتين الأموية والعباسية ، وكان ظريفاً خليعاً ، حلوا العشرة ، مليح النادرة ماجناً منها في دينه بالزندقة ، وكان من نعماء الوليد بن يزيد ، بل كان منقطعاً إليه ، وهو يعتبر تلميذه .
ملذه به يجرى في فلكه ، ويدور في دائرته ، تلمح بينها تشابهاً كبيراً في المزاج والميل إلى اللهو والمرح والظرف والخلاعة والمجون والغزل والخمر . وقد تادم بعد الوليد كثيرين من رجالات الدولة وكبرائها ، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر بن أبي جعفر المنصور ، فكان معه حتى مات^(٤) . ونلاحظ أن وجه الشبه كبير بين حياة مطيع وأخلاقه وبين حياة الحسين وأخلاقه : فكلاهما كان خليعاً ماجناً ، وكلاهما كان نديماً ناجحاً ظريفاً حلوا العشرة ، مما يجعلنا نرجح أن الحسين تأثر به في أسلوب حياته ، كما تأثر به في أسلوب شعره ، وإذا كان الزمن لم يسمح بتلاقيهما فإن الحسين قد أدركه في أواخر حياته لأنه مات سنة ١٦٩ هـ في الوقت الذى كان الحسين فيه صبيّاً يافئاً ، ولا شك أنه عرف الكثير عن أخباره وصبرته كما حفظ الكثير من شعره ، وأنه كان موضع إعجاب ، لأنه سار على نهجه واتبع مذهبه سواء في الشعر أو في المجون .

(١) الأغاني - ٦ ص ١٠٢ ط بولاق .

(٢) الأغاني - ٦ ص ١٠٧ ط بولاق .

(٣) الأغاني - ١٢ ص ٧٦ ط بولاق .

وأبو الهندي وهو عبد الله أو غالب بن عبد القدوس ، كان شاعراً فصيحاً جيد اللمعة حاضر الجواب ، وقد أدرك اللولتين ، وكان منبهاً بالشراب مستهتراً به ^(١) ويقول عنه أبو الفرج « وكان جزل الشعر حسن الألفاظ لطيف المعاني وإنما أخمله وأما ذكره ، بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخارستان وشغفه بالشراب ، ومعاقرته إياه وفسقه ، وما كان يتم به من فساد الدين ، واستفروغ شعره بصفة الخمر . وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وكده وقصده » ^(٢) ويعده ابن المعتز رائداً لمن جاء بعده في شعر الخمر فيقول « وكان جماعة مثل أبي نواس والخليع وأبي هنان وطبقتهم إنما اقتبلوا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبي الهندي ، وبما استنبطوا من معاني شعره » ^(٣) فهو إذن شاعر له مكانته في هذا الميدان ، وله أثره في شعراء الخمر بعده ومنهم الحسين :

أما والبة بن الحباب فقد ذكر ابن المعتز أنه كان أستاذاً للحسين حين قال في ترجمته « وهو غلام أستاذه والبة ابن الحباب » ^(٤) وقد عرف والبة بأنه « أستاذ أبي نواس : وكان ظريفاً شاعراً غزلاً ، وصافاً للشراب والغلمان المرء » ^(٥) واشتهر بالفسق وسوء الخلق ، حتى إنه لما رشح لمندمة الخليفة المهدي أبي ذلك إنكاراً منه لخلقته ^(٦) :

ولا نجد في أي من المصادر الأخرى التي كتبت عن الحسين أو والبة ما يدل على اتصالهما ، أو على هذه الأستاذية التي ذكرها ابن المعتز . وهذا ما جعل الأستاذ عبد الستار فواج يرفض قوله ، وإن كان يحلل رفضه أيضاً بأن ابن المعتز حدث بأن الحسين وأبا نواس نشأ معاً ، فحسب أن الخليع تعلمذ على والبة كما تعلمذ عليه أبو نواس ، الذي اتصل به في الكوفة أو الأهواز ، ويقول إن عبارة ابن المعتز ربما تكون مقحمة على كتابه من المعلقين ^(٧) :

(١) طبقات الشعراء ص ١٣٦ . (٢) الأغاني - ٢١ ص ١٧٧ ط بولاق .

(٣) طبقات الشعراء ص ١٤٢ . (٤) طبقات الشعراء ص ٢٧١ .

(٥) ، (٦) الأغاني ص ١٦ ، ١٤٢ - ١٤٣ ط بولاق .

(٧) قديم الخلفاء ص ٦١ .

ولا يمكننا أن نقبل هذا الرفض لرأى ابن المعتز بسهولة ، فلا يضعفه أنه المصدر الوحيد الذى ذكره ، لأنه من ناحية أخرى أقدم المصادر الأدبية التى ترجمت للحسين ، ولعل الذى جعل المصادر الأخرى لم تذكر قوله ، أو لم تنقله عنه ، أن كتابه ظل بعيداً عن الأيدى مدة طويلة . فلم يطلع عليه أحد ممن كتبوا بعده عن الحسين ، أما القول بأن عبارته مقحمة من المعلقين فهو ظن مردود ، لأن المعلقين لا يرضون أن يقدحوا مثل هذا القول على كتابه فى كثير أو قليل . ولو أنهم ذكروها كتمليق منهم أو حاشية لما خفى ذلك على المحققين ، ولا سيما أن الأستاذ عبد الستار فراج نفسه هو الذى حقق كتاب ابن المعتز ، وكان يمكنه أن يتأكد من حقيقة هذا الظن ، فيصدر حكمه بإثباته أو نفيه . أما حجته فى أن أبا نواس اتصل بوالبة فى الكوفة أو الأهواز وأن الحسين كان مقبياً بالبصرة ، ولهذا لم يتصل به ، فهى حجة واهية ، لأنه يجعل إقامة الحسين بالبصرة دائمة فى فترة نشأته لايبرحها إلى الكوفة ، ولو كل حين وحين وهنا ما لا يمكن أن نأخذ به ، لأن الاتصال بين البصرة والكوفة كان دائماً لا يتقطع وخاصة بين طلاب العلم والشعراء ، إذ يريد كل منهم أن يتزود بما فى البلدة الأخرى من علم وشعر ، وإذا عرفنا أن الكوفة كانت مركزاً هاماً للشعر فى ذلك الوقت ، وأنها كانت تفوق البصرة فى هذا الميدان ، هنا بالإضافة إلى أنه كانت بها طائفة من الخلاء المشهورين الذين كان لهم أثرهم فى نشأة المحون والخلاعة وفى نشر هذا المذهب بين كثير من شعراء العصر العباسى ، ومن هؤلاء الخلاء كان والبة بن الحباب كما كان مطيع بن لياس ، وكذلك الحمادون الثلاثة : حماد عجرد وحامد الراوية وحامد بن الزبرقان^(١) وغيرهم ممن عرفوا بمجونهم وفسقهم ، وكانوا لا يتورعون عن الجهر بأنامهم والتعبير عنها فى أشعارهم . ولا شك أن الحسين سمع عنهم وأعجب بملهم الذى اتبعه وتماذى فيه . مما يرجح أنه ارتحل إلى الكوفة ليلتقى بهؤلاء الحبان ويحضر مجالسهم ، ويشاركهم لموهم ، ويسمع شعرهم ،

وهذا ما يجعلنا لانستبعد التقاءه بوالبة وغيره منهم ، ولعل محبة أبي نواس لوالبة كانت دافعا له إلى محاولة لقائه والأخذ عنه ، فأبو نواس صديق صباه ولا غرابة في أن يغريه بالذهاب معه الى أستاذه، ويمكننا أن نقول إن صحبة الحسين لوالبة ربما لم تطل أو لم تشهر كما كانت محبة أبي نواس . فهذه الاحتمالات يمكن أن تكون سببا في عدم ذكر أخبار اتصاله به في المصادر التي ترجمت له . ولا مجال إذن لتكذيب ابن المعتز أو رفض قوله ، وإنما نأخذ لنبنى عليه وجود تلك الصلة بين الحسين ووالبة بل بينه وبين خلعاء الكوفة الآخرين ، وإن لم نجد سنداً لتلك في مصادر حياته . . .

ويمكننا أن نعد هؤلاء الشعراء الذين رأينا تأثير الحسين بهم أساتذة له في الحمر والمجون: من الأعشى إلى والبة، سواء كانوا منبئيين له أو معاصرين ، وسواء التقى بالمعاصرين منهم أو لم يلتق ، فإنه مما لا شك فيه أن أشعارهم كان لها أثرها الفعال في شاعريته ، وأنها هي التي ألهمته القول ومهدت له سبيله ، وأنه لم يكن ليصل إلى هذه الدرجة من الإبداع والإبداع إلا على أساس قوى من الثقافة الأدبية والشعرية والإلمام الواسع بشعر السابقين له في هذا الميدان .

وإذا كنا قد توسعنا قليلا في الحديث عن ثقافته الماجنة ، فإن هذا لا يعنى أنه كان يقصر اهتمامه عليها ، ويهمل الجوانب الأخرى من الثقافة العربية إذ أننا نجد في شعره الشواهد الكثيرة على تثقفه بعلوم الدين التي هي في الجانب المضاد للمجون ، وكذلك بالتاريخ وغيره من علوم العربية من ذلك مثلا قوله في الغزل :^(١)

دعاني بعينيه فلما أجيتسه رمانى بأسباب القطيعة والمجر
وكلفني صبرا عليه فلم أطق كالم يطق موسى اصطبارا على الخضر
شكوت الهوى يوما إليه قال لي مسيلمة الكتاب جاء من القبر

فراه يشير إلى قصة موسى والخضر التي ذكرها القرآن الكريم ، كما يشير إلى مسيئة الكتاب الذي ادعى النبوة بعد موت الرسول . (ص) وقاد المتردين في الجامة .

ومن ذلك أيضا قوله في قصيدته التي يعتلر فيها للمتوكل عن علم منادته لكبره وضعفه^(١) .

وقد رفع الله أعلامه عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة وأخذ في دينه أو كفر
وإني لمن أسراء الإله في الأرض نصب صروف القدر

فهو يشير في آياته إلى الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم « إذا بلغ العبد ثمانين سنة فإنه أسير الله في الأرض ، تكتب له الحسنات له وتمحى عنه السيئات »^(٢) .

من ذلك نرى أن ثقافته العربية كانت غير قاصرة على جانب المحون والحمر فحسب ، وإنما كانت أوسع مدى وأكثر شمولاً .

أما ثقافته الأجنبية التي ذكرنا أنها كان لها أثارها الواضحة في شعره فلأنها صورة مصغرة لثقافة العصر التي عرفناها ، والتي أمدتها الترجمة بالكثير من الأفكار والمعلومات الجديدة على الفكر العربي ، على أنه ينبغي أن نقف على حقيقة هامة ذكرها أستاذنا الدكتور شوقي ضيف وهي أن أهم هذه الثقافات الأجنبية تأثيراً في الفن العباسي وصياغاته هي الثقافة اليونانية ، فقد صبغت عقلية الفنانين من الأدباء والشعراء بأصباغ خاصة من العمق والدقة والتحليل وطرافة التقسيم ، والبعد في التفكير والخيال ، حتى أصبحنا يلزأ صفات عقلية جديدة^(٣) . هذه الصفات الجديدة نجدها متمثلة في شعر الحسن وسيبويه ذلك لنا بوضوح في دراستنا له ، ويتأكد لنا تأثير تلك الثقافة الأجنبية عليه وأخذ منها بنصيب غير قليل .

وبهذا نكون قد أخذنا فكرة واضحة عن ثقافة الحسين نستطيع على ضوءها معرفة شخصيته ودراسة شعره .

(١) أغاني العار - ٧ ص ٢٢٥ ومجم الأدباء - ١٠ ص ١٣

(٢) انظر مجم الأدباء - ١٠ ص ١٥ .

(٣) انظر الفن ومذاهب في الشعر العربي ص ١٠٠ الطبعة الثالثة .

٣ — شخصيته :

شخصية الحسين ليست غامضة أو معقدة ، ولكنها واضحة يمكن استجلاء ملامحها من أخباره ومن شعره ، ولكي يتحقق لنا ذلك ينبغي أن ننظر إليها من عدة زوايا ، ونبحث جوانبها المختلفة ، وصفاتها المتعددة ، من جسمية وخلقية ونفسية وغير ذلك .

أما صفاته الجسمية فلا سبيل إلى معرفتها تفصيلا كما نعرف من تراه بعينك ، وإنما يمكن معرفتها إجمالاً ، ورسم خطوطها الرئيسية ، وتسلط عرفنا من هذه الصفات أنه كان أشقر اللون ، وأن هذه الصفة صارت نقباً له ، ونعرف من قصة له أو نادرة حدثت مع الأمين أنه كان ضليعا قوى البنية ولا مجال هنا لذكر هذه القصة أو النادرة ، ونكتفي بأن نذكر منها ما يدل على ذلك ، فقد كان من عادة الأمين في ساعات لهو أن يختار أحد ندمائه ليركبه ثم يصله ، ووقع اختياره في هذه المرة على الحسين ، وقال له : أنت أضلع القوم^(١) ، ليستطيع تحمل ثقله ، ونفهم من ذلك أنه كان طويل الجسم متين البنية ، وخاصة إذا عرفنا أن الأمين كان قويا شديدا ، فلا بد أن يكون الحسين على درجة من القوة بحيث يستطيع حمل ربه

وإذا أردنا أن نرسم ملامح وجهه ، وجدنا أنه لا يمكننا أن نتصور قبيحة أو منفرة وإلا لما اختاره الخلفاء لناديتهم ، ولا شك أن هذه الملامح كانت على درجة من الوسامة بحيث تكون محمية إلى نفوس جلسائه ، وبحيث تتلاءم مع درجة ظفره وخلاعته التي بلغت حد الشهرة وحازت إعجاب الجميع . هذا استنتاج بدعي لا خلاف عليه ، ونجد شاهدا يؤيده من شعره في بيتين قالهما حين أعرض عنه فتى جميل الوجه من أولاد الموالي كان الحسين يغارله وهما^(٢) :

فتيه علينا أن رزقت ملاحه	فهلا علينا بعض تيهك يا بدر
لقد طالما كنا ملاحا وربما	صلدنا وتها ثم غيرنا الدهر

فهو هنا يذكر أنه كان مليحا في أيام شبابه ملاحه يقيه بها كما يقيه هلا
القنن الحميل ، ويصد مغازليه كما يصد القنن . ولكن الشيخوخة طمست
هذه الملاحه .

هذه صورة تقريبية لأوصاف الحسين الحسنية تعيننا إلى حد كبير في معرفة
الجوانب الأخرى من شخصيته .

والخطوط الأولى في ملامح شخصيته المعنوية أنه شاعر ظريف ،
وخلع ماجن وتديم ناجح ، لا يفوقه أحد من شعراء عصره في هذه الصفات ،
ولا ينكر أحد عليه شهرته بها ، وجميع من ترجعوا له يذكرونها تعريفا به .
كان الحسين شاعرا ظريفا إلى أبعد حدود الظرف ، يشهد له بذلك
كل من عامله أو عاشره ، فهذا الرياشي ^(١) ، وقد سمعه أحدهم يشد هذين
البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدا وهما :

إذا ما المساء أسكنني وصدف سلافة العنب
صبيت القضة البيضاء فوق قراصة السندب

فقال له : من يقولها يا أبا الفضل ؟ قال أرق الناس طبعاً وأكثرهم ملحاً
وأكلهم ظرفاً حسين بن الضحاك ^(٢) .

وهذا الخليقة المأمون — وهو على ما نعرفه من بعض الحسين لأنه هجاه —
يسأل أحد القادمين من البصرة : « كيف ظريف شعرائكم وواحد مصركم ؟ »
قال : ما أعرفه فقال المأمون : ذلك الحسين بن الضحاك أشعر شعرائكم
وأظرف ظرفائكم ^(٣) . وهذه شهادة لها قيمتها لأنها من خاتمة ، ولأنه مبغض
للحسين ، غاضب عليه ، لا يندى أبداً ما قاله معرضاً به هاجياً له ، حين
رثى أخاه الأمين .

(١) هو أبو الفضل العباس بن الفرج القنن ، كان عالماً وروية ، ثقة عارفاً بأيام العرب
روى عن الأصمعي وأبي مبيدة ، قتل في فتنة الزنج سنة ٢٥٧ هـ (انظر أعيان الأعلام ص ١١٨
للإستاذ محمود مصطفى) .

(٢) أغاني الدار ص ٧٠ ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٣) نفسه ص ٧٠ ص ١٥١ .

ونوادر الحسين مع من خالطهم من الناس تدل على ظرفه وخفة ظله ،
وميله إلى السخرية والمزاح ، وينبغي أن تسوق بعضا منها ليتكشف لنا بوضوح
هذا الجانب من شخصيته ، روى أبو الفرج على لسانه قال : « كان يألّفني
إنسان من جند الشام عجيب الخلقة واثرى والشكل ، غليظ جلف جاف ،
فكنت أحتمل ذلك كله له ، ويكون حظي التعجب به ، وكان يأتيني
يكتب من عشيقته له ما رأيت كتابا أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغ ولا أشكل
من معانيها ، ويسألني أن أجيب عنها ، فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف
مناياي إليها على علمي بأن الشاع يجعله لا يميز بين الخطأ والصواب ، ولا
يفرق بين الابتداء والجواب . فلما طال ذلك على حسدته وتذهبت إلى إفساد
حالته عندها . فسألته عن اسمها فقال : « بصيص » فكتبت إليها عنه في جواب
كتاب منها جامعي به :

أرقصني حبك يا بصيص والحب يا صـيلقي يرقص
أرمصت أجفاني بطول البكا فما لأجفانك لا ترمص ^(١)—
وابأبي وجهك ذاك السـلي كأنه من حسنه عصـص

فجامعي بعد ذلك فقال لي : يا أبا علي ، جعلني الله فداك ، ما كان
ذني اليك وما أردت بما صنعت بي ؟ فقلت له : وما ذاك عفاك الله ؟
فقال : ما هو والله إلا أن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثت إلي : إني
مشتاقة إليك ، والكتاب لا يؤب عن الروية فتعال إلى الروشن ^(٢) — الذي بالقرب
من بابنا فقف بجياله حتى أراك ؟ فترينت بأحسن ما قشرت عليه وصرت
إلى الموضع . فبينما أنا واقف انتظر مكلما أو مشيرا إلى ، إذا شيء قد صب
على فلائتي من قرني إلى قدمي ، وأفسد ثيابي وسرجي ، وصيرني وجميع ما على
ودائقي في نهاية السواد والتن والتنمر ، وإذا به ماء قد خلط بيول وسواد
سرجين ^(٣) فانصرفت بخزي . وكان ما مر بي من الصبيان وسائر من مررت به

(١) الرمص والتحريك : وسخ يجمع في الموق .

(٢) الروشن : النافذة .

(٣) السرجين : الزبل الذي تدمل به الأرض .

من الضحك والظفر^(١)— والصياح بي أغلظ مما مر بي ، ولحفني من أجلي ومن في منزلي شر من ذلك وأوجع وأعظم من ذلك أن رسلها انقطعت عني جملة .

قال : فجعلت أعتذر إليه وأقول له : إن الآفة أنها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأنا أحمد الله على ما ناله ، وأمر الشجاعة به^(٢) .

وهذه القصة الطريفة لا تدلنا على ظرفه فحسب ، ولكنها تدلنا كذلك حتى ميله إلى النادرة وإلى السخرية والمزاح ، وهذه كلها صفات يتحلى بها الظرفاء والندماء من أمثاله ، وخاصة في مثل هذا المجتمع الإلهي الآخذ بلذات الدنيا ومتع الحياة . فجالس لهم وشراهم لم تكن تخلو من المرح والضحك ، وهو ظريف هذه المجائس الذي يدير براجم ذوها ومرحها ويستثير إعجابها وضحكها بتأديته الطريفة ، وسخريته المرحية ، نذكر مثلاً من ذلك ما رواه أبو الفرج دلي لسان محمد بن عبد الله بن عبد الملك قال : كنا في مجلس ومعا حسين بن الضحاك ونحن دلي نبيذ ، فعبث بالمغنية وجشها فصاحت عليه واستخفت به فأشأ يقول :

لها في وجهها عكن وثلاثا وجهها ذقن
وأسنان كريش البط بين أصولها عفن

قال : فضحكنا وبكت المغنية حتى قالت قد عميت ، وما انتفعنا بها بقية يومنا ، وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلهما ، وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتجن ، ثم هربت من سر من رأى فما عرفنا لها بعد ذلك خبرا^(٣) .

وإذا استلزم الأمر أن يسخر من نفسه ويجرحها ، ويصنفها بالوهم والنلالة لينال إعجاب سيده ، وليعتذر إليه عما بدر منه في مجلسه إرباسلوب شيق لطيف ، فلا مانع عنده أن يفعل ، بل هو يفعل ذلك إظهارا لظرفه . يروى

(١) الظفر : السخرية .

(٢) أغاني الدار ٧ ص ١٩٩ - ٢٠٠٩ .

(٣) أغاني الدار ٧ ص ٢٢٤ .

أبو القرج على لسان ابن عجلان قال : غنى بعض المغنين في مجلس محمد المخلوع بشعر حسين بن الضحاك ^(١) . . فأمر بأخبار حسين فأحضر ، وقد كان محمد شرب أرطالا . فلما مثل بين يديه أمر فسقى ثلاثة أرطال ، فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف ، فأمر بحمله إلى منزله فحبل . فلهذا أفاق كتب إليه ^(٢) .

إذا كنت في عصبية	من المعشر الأخيب
ولم يك لي مسعد	ندم سوى جمـ
فأشرب من رملـة	وأمر من قطرب ^(٣)
ولمـا جـباني الزما	ن من حيث لم أحسب
ونادمت بـدر السما	ء في فلك الكسوك
أبت لي غضوضيق ^(٤)	ولو لم من المنصب
فاسـكرني مسرعا	قسوى من المشرب
كذا التـلل ينـبو به	منـمادة المنجـب

وهذا الظرف كان عاملا أساسيا من عوامل نجاحه كندم للخلفاء والأمراء وسراة القوم . بالإضافة إلى هذه السخرية اللطيفة التي تزيد من إعجابهم . وتهافتهم عليه .

ولكى نكون أكثر فهما لسخرية الحسين وأدق تحديدا لما ينبغي أن نعرف مدى ما وصلت إليه من اللذع أو الإقناع ، وإلى أى حد كان يلجأ إليها أو يستعملها والحقيقة أنه لم يكن كثير المجاه أو وقاعا في أعراض الناس ،

(١) الأبيات التي غنى بها في أغاني الدار - ص ٧٢ ص ٢١٢ .

(٢) أغاني الدار - ص ٧٢ ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٣) نص المثل في المدياق : أشرب من رمل . والقنطرب : طائر يحول الليل كله لا ينام ، و به يضرب المثل (انظر حياة الحيوان للسيروي وأشغال المدياق) .

(٤) الفوضوية : غشاعة الشباب ونضارته . والمراد بها هنا الطيش والتزق وهما من حظ الشباب ولوازمه .

أو سلبط اللسان يسلمهم به ويفضح عيوبهم ومثالبهم ، كما نجد مثلاً عند بشار أو أبي نواس . ولكنه كان معتدلاً في هجائه وسخريته ، لا يتأذى ولا يسرف ، وقد ذكر أبو الفرج أنه هاجى مسلم بن الوليد وانتصف منه ^(١) ولكن شيئاً من هذا الهجاء لم يصل إلينا ، كما أنني لم أجِد في ديوان مسلم شيئاً يدل على وقوع هجاء بينهما . وإذا كان هجاء الحسين لمسلم قد ضاع فيما ضاع من شعره ، فهل يمكن أن يكون قد ضاع كذلك هجاء مسلم لحسين ؟ والرد على ذلك هو ترجيح ضياعه أيضاً ، لأن شعر مسلم لم يصل إلينا كاملاً ، والمعروف أنه حاول التخلص من شعره ، ومع هذه المحاولة يكون شعره المجهائى في مقدمة ما يجب أن يتخلص منه ، وعلى أى حال لا يمكننا الاعتماد على قول أبي الفرج دون الرجوع إلى الشعر نفسه ، وهو مفقود كما عرفنا . أما هجاؤه للمأمون فهو لا يبدو أن يكون تعريضاً به أو تنقيساً عن حزن الحسين لمقتل الأمين . وكل ما للحسين من هجاء هو أبيات أو مقطوعات قليلة لا يمكننا أن نعتبرها بها هجاء وقد تكون مخبئة فيها لاذعة أحياناً كما رأينا في هجائه للمغنية ، ولكن ذلك أيضاً قليل ، بل إن هذه السخرية قد لا تسغه في أحيان أخرى ، وتقاس عنه لتتركه هو هدفاً لسخرية غيره ، وهذا ما نجده في ملاحظاته لأبي شهاب الشاعر إذ « كانا في مجلس ، وانصل الحديث في ذكر الدواب إلى أن تلاحي حسين وأبو شهاب في دابتهما ، وتراخنا على المسابقة بهما ، فتسابقا ، فسبقه أبو شهاب فقال حسين في ذلك .

كلوا واشربوا هنتمو وتحتوا وعيشوا وذموا الكودنين ^(٢) جميعاً
فأقسم ما كان الذى نال منهما مدى السبق إذا جاز الجراء سريعاً
وهي قصيدة معروفة في شعره ^(٣) . فقال أبو شهاب بحجبه :

أيا شاعر الحصيان حاولت خطة سبقت إليها وانكفأت سريعاً
تحاول سبقي بالقريض سفاهة لقد رمت جهلاً من حياى منياً

(١) أغاني الدار ٧ ص ١٤٦ .

(٢) الكودن : الفرس المجين والبغل ، وهو أيضاً الثعلب والبليد .

(٣) لم نشر على هذه القصيدة فيلوجندانه من شعر الحسين ، ولعلها ضاعت فيما ضاع من شعره .

وهي أيضا قصيدة . فكان ذلك سبب التباعد بينهما . وكنا إذا أردنا العبث بحسين نقول له : أيا شاعر الخصيان ، فيجن ويشتمنا ، ^(١) :

من ذلك نفهم أن محورية الحسين لم تكن لازمة مقذعة ، لم تكن سيفاً مصلتاً على رقاب الناس تزعجهم وتسلبهم الأمن والسكينة كشأن الشعراء المحجائين ولكنها كانت محورية هيئة لطيفة تتلام مع ظرفه وخفة روحه ، وتستدعيها مجالس اللهو والشراب والمرح مع الخلان والصحاب . لا يهدف بها إلى الإيذاء والإيلام بقدر ما يهدف إلى التعارف وإثارة الإعجاب بمقدرته على لطيف الفعل وبديع الكلام .

ثم ننظر إلى الصفة المقابلة لظرفه أو المكحلة لها في تكوين شخصيته فنجدها صفة الخلاعة : فيها اشتهر الحسين وبها لقب ، وسبب توقيه بالخليع لا خلاف عليه وهو كثرة مجونة وخلاعته .

وإذا غاب عليه هذا اللقب حتى صار لا يعرف إلا به ، ولا يذكر اسمه إلا ملازماً له . وهو نفسه كان لا يجد غضاضة في تناثبه به ، ولا نجد في أي خبر عنه أنه أظهر استياء منه ، بل نجد أنه كان يتز به ويرى فيه صفة يمتاز بها على أمثاله من الخان والنماء ويفوقهم في الظفر بجميع قوماتها . فحين يصف الحمر يقول إن شدة حبه لها وولاه بها وصل إلى درجة كبيرة حتى إنهم لقبوه بهذا اللقب المساجن :

تلك التي وسمتني غير محتشم وسم المجنون وسمتني بأسماء
وهو يذكر لقبه في شعره دون حرج أو خجل ، وإنما بما يشبه القبح والاعتزاز ، فيقول لإخوانه من الشعراء المساجنين ، داعياً إليهم لعقد مجلس الشراب واللهو في داره :

أنا الخليع قدوهوا	إلى شراب الخليع
إلى شراب للذي	وأكل جسد رضيع
ونيل أحوى رخم	بالخنس ليس صريع

ولكننا نلاحظ أن الانصاف بالخلاعة ، في ذلك العصر لم يكن أمر مشينا كما قد يتبادر إلى أذهاننا ، لأن المحبون وشرب الخمر ، وحياة الترف واللهو بما فيها من الجوارى والغلمان والطرب والغناء والرقص وغير ذلك من متع الحياة ولذائنها ، كان ظاهرة شائعة في مجتمع ذلك العصر ، حتى إن بغداد لم يعد فيها مكان للمتيقن ؛ كما قال بعض علماء الدين . وكانت الطبقة الأرستقراطية في المجتمع — بطبيعة الحال — صاحبة التصيب الأكبر في هذا الترف واللهو ، وهي الطبقة التي كان الحسين يتادها ويخالها بمعظم وقته ، ويشاركها هواها ومجونها ، ولم يكن يرشحه لهذه المكانة ، ويجعله أهلا لهذه المئادة إلا صفة الخلاعة هذه ، وكأنها الشهادة أو الإجازة لشغل هذه الوظيفة والوصول إلى قلوب القوم ونفوسهم وتلبية رغباتهم وأهوائهم .

في هذه المجالس كان الحسين ينطلق على صحبته ، ويشتم في مجونه وخلاعه ويستعرض آيات ظرفه وشاعريته ، فيتغزل بالساق ويحمشه ، وتغني القيان بشعره ، فتعالى صيحات الاستحسان والإعجاب ، ويزداد هياج الخلان والأصحاب ويقضون ليالهم في مرح ما بعده مرح ، ومتعة لا تفوقها متعة ، وجميع الجلوساء والنعمان شركاء في هذا اللهو منغمسون في هذا المحون ، ولكن الحسين يفوقهم جميعا ، فهو شاعر الجلوس الذي يغني بشعره ، وظريفه الذي يشيع المرح في جوه ، لا يتحرج في عبته ، ولا يتورع في مجونه ، ويحكى ما حدث شعرا بأسلوب سهل حلو ، له قبول ورواق صاف ^(١) كما يقول أبو الفرج . وأكثر الحسين من هذا المحون في شعره ، يرى الغلام الساقى الخليل الأمر دأبى يخفف أصداغه ويصف شعره ويرخي منه قصاصته على شكل العنبر على كل صدغ من صدغيه ليلدو أكثر وسامة وجمالا ، ويتطيب بالمسك ليكون بين سادته مقبولا ومحبا ، فيشبهه وينجذب إليه ، ويجمسه ويعتب به ، بل قد يزيد الأمر على ذلك إثمًا ومجونًا ، ولم يكن هذا المحون قاصرا على الحسين وحده ، بل يأتيه كل جلسائه وكل من يتادهم ، ويخادشا أبو الفرج عن بعض ما يقع بين هؤلاء السادة والغلمان ، كالذي حدث بين صالح بن الرشيد وبين يمر غلام أخيه أبي عيسى ^(٢) إذ لم يتورع أن يطلب

(١) أغاني الدار ترجمته ٧ ص ١٤٦ . (٢) الأغاني ترجمته ٧ ص ١٨٩ .

من الحسين أن يصف ما حدث بشعره ، ويلبي الحسين طلبه فينظم ما حدث بينهما في قصيدة ، وكأنه المستول عن تسجيل ما تم مجونهم في سجل الشعر ، أو كأنه صحيفة المجون والخلاعة في هذا المجتمع .

وتلقب الحسين بالخليج يدعونا إلى التساؤل . لماذا اختص هو بهذا اللقب في هذا المجتمع المليء بأمثاله من الخلفاء والمجان ؟ . .

وليس من جواب على ذلك إلا ما عرف عنه من كثرة مجونه وخلاعته : ولا بد أنه تفوق على غيره من الخلفاء والمجان ، وربما ساعده على هذا التفوق ما أوتي من ظرف وخفة ظل ، وما امتاز به شعره من رقة وحلاوة ، وما اتصف به جسمه من رشاقة ، ولونه من شقرة ، ووجهه من وسامة ، ربما ساعدته هذه الميزات على التفوق في الخلاعة فصارت لقباً عليه لا ينافسه فيه أحد ، ولا يتفوق عليه فيه شاعر أو نديم .

وهم ينسبون للحسين أهتك بيت شعر قيل ، ويعتبرونه أفجر قائل ، فقد ذكر أبو هلال العسكري رواية عن الصولي قال : « قال لنا المكتنى بالله يوما : ما أهتك بيت من الشعر وأفجر قائل أتعرفونه ؟ فقال يحيى بن المنجم : قول أبي نواس :

الا فاسقني نحرًا وقل هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

فقلت له : إن المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان ، وقال : من عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول : ألا اسقني خرا ، ولكن الحسين بن الفضل الخليل قد قال ما هو أهتك من هذا ؛ قال : وما هو ؟ فأشدته :

اتبعت سكرًا بسكر وابتعت خمسًا بعمس

قال : « هذا لعمري أهتك من ذلك »^(١)

فالحسين إذن قد شوق في الهتك والمجون ، ولهذا اختصوه بهذا القرب دون غيره من الخلفاء ، وكأنهم بذلك قد بوعوه منزلة رفيعة ، ومنحوه شهادة لها قيمتها ، وكان هذا هو الواقع في مجتمعهم ، فلم تكن الخلاعة عيبا ولا قبيصة ولم يكن الخلفاء منبوذين بين الناس ، بل كان الأمر على عكس ذلك ، وكان الخليج هو الشخص المحبوب ، وهو الذى يتلهفون على منادته ، ويشغفون بظرفه ، ويستمتعون بمجالسته وخلاسته . ولهذا لا نهجب إذا كان الحسين قد نجح في أن يكون نديما للخلفاء من بنى العباس وأن يتصل في مجالستهم ومنادتهم إلى ما لم يتصل إليه أحد إلا اسحاق بن إبراهيم الموصلى النديم فإنه قاربه في ذلك أو ساواه ^(١) على حد قول من ترجموا له .

فشخصية الحسين قد اجتمعت لها صفات من الظرف والخلاعة والسخرية المجون جعلته أهلا لمنادمة الخلفاء والأمراء وغيرهم من وجهاء القوم .

وقد تلونت حياة الحسين بهذا اللون المساجن ، فلم يعد عنده ما يشغله عن هذه الخبال ، ولم يكن له من عمل يقوم به سوى منادته لحولاء القوم . حتى صار ذلك مذهبه الذى اختاره لنفسه في الحياة واعتقه اعتقا . وفي ذلك قول ^(٢) :

ألا إنما الدنيا وصال حبيب	وأهلك من مشمولة بنصيب
وعيشك بين المسمعات ممتمعا	بفتين من عزف وشلو مصيب
ولم أر في الدنيا كخلوة عاشق	وبذلة معشوق ونوم رقيب
وعدى ساعات النهار ورقبتي	إلى الشمس لما آذنت بمغيب

تلك دنياه التى أحبها وعاش ينعم بمتماعها ، ليلى غرام وشرب مدام ، وسماع موسيقى وغناء يطربه ويشجيه ، وأحلى الأوقات عنده خلوته بحبيبه في غفلة عيون الرقيباء وتمتعه بوصاله وبذله ، وإن ساعات النهار لتر عليه قبيلة

(١) انظر الإبانة ص ١٨٤ والمتحل ص ٣١٩ وابن خلكان ص ١٢٣ .

(٢) الأرب ص ٤٠ ومعيص الأدباء ص ١٠٠ ص ١٦ البيان الأول والثالث .

متباطئة بعدلها عدا ، وينتظر غروب الشمس وإقبال الليل ليعاود متعته فيه ويجتمع بمنادميه ومحبيه . وهو بذلك يعبر عن حقيقة حياته التي عاشها ، وبين فلسفته فيها إذا جاز لنا أن نسمي هذه فلسفة . وكيف يمكننا أن نتصور مذهب الخلقاء والتلماذ إلا بهذه الصورة التي رسمها الحسين ؟ . . . هو مذهب حسي خالص . وفلسفة لا ترى الحياة إلا لذات جسدية ومتما حسية :

على أننا نجد شخصية الحسين على الرغم مما عرف به من خلاعة ومجون ، لا تخلو من رجولة وقوة وخلق كريم . فهو لم يكن مخنثا كما قد يتبادر إلى أذهاننا ، ولم نقرأ في أخباره أى شئ يدل على هذه الصفة ، ولم يتحدث الرواة عنه بمثل ماذكروه عن أبى نواس الذي كان لا يتورع أن يذكر عن نفسه الأحداث الفاحشة في غير حياء ولا خجل . .

ونجد مصداق ذلك في بعض أخباره بالأغاني مع صالح بن الرشيد ، فقد عارضة صالح في شراء غلام كان يحبه الحسين واختلسه منه ، وفي هذا الخبر ينسب الحسين عن نفسه هذه الصفة ، ويلصقها بصالح بالفاظ صريحة لا يمكننا ذكرها هنا بنصها ، ويمكن الرجوع إليها في مكانها لمن يريد التحقق من ذلك ^(١) وربما يظن أن الحسين كاذب في قوله ، وأنه ينسب عن نفسه هذه الصفة وينكرها حتى لا تعرف عنه . ولكن هذا الظن يقبلد إذا عرفنا أنهم كانوا لا يتخرجون من ذكر هذه الأمور عن أنفسهم ، ولا يرون في ذلك عيبا أو تقيصا ، كما أن إنكار الحسين لا يفيد ولا ينفي الحقيقة ، لأنه إذا أنكر فهناك من يقول الحقيقة عنه من الرواة دون واردة أو حرج ، ولم نجد في أقوال الرواة عن الحسين ما يكذبه أو يثبت غير ما يقول .

وخلاصة القول أن الحسين لم يعرف عنه التخنث أو فقدان الرجولة كما عرف عن أبى نواس ، وأنه كما قال ابن فضل الله العمري « كان خليعا إلا أنه أفضل من الحديد ، ماجنا ولكنه إذا جد بجيد ، ظريفا إلا أنه لا يوصف برشاقة قد وجيد ^(٢) » وكما يقول عنه الدكتور طه حسين « كان

(١) أغاني الدر ٧ ص ١٨٧ .

(٢) مسالك الأبصار (مخطوط) ٩ ص ٢٩٠ .

خطيباً بل كان يعرف بالخليع ، وكان كثير المحون مسرفاً فيه ، وما أحسب أن أبانواس سبقه إلى لذة ، أو تفوق عليه في مآثم ولكنه على خلاعته وإسرافه في المحون وتهالكه على اللذات ، احتفظ طول حياته بشئ من كرم الخلق وطهارة النضر ، وجودة الأصل كأنما كانت هذه اللذات والآثام تغرق على نفسه وأخلاقه ترفقا دون أن تترك فيها أثراً باقياً ، وإنما كانت الآثار التي تركها لياليه الساهرة وأيامه المملوءة بالعبث هذه الأشعار الجميلة الحلوة (١)

ولعل الذي جعل ابن فضل الله العمري والدكتور طه حسين يذكران الحسين بهذه الصفات الطيبة - على رغم إسرافه في مجونه وخلاعته - ذلك الموقف المعروف للحسين مع سيده الأمين وقت محنة حصار بغداد ، وبعد مقتل الأمين ؟ ففي وقت الحصار نجد الحسين بجوار الأمين في المعركة يتابعها بشعره ، ولا يتوانى عن نصرته وشد أزره . وقد حدث أن أوقع أهل بغداد المزعمة بأصحاب طاهر عند قصر صالح وعلى باب أم جعفر . ففرح الحسين أشد الفرح وأسرع إلى الأمين ينشده شعره ويهتف فيه بالنصر : ويشجعه على الحرب ويبعث في نفسه الأمل والثقة بالله وبعونه (٢) .

وظل الحسين بجوار الأمين يناصره ويؤيده إلى أن قتل ، فجزع الحسين جزعاً شديداً : وحزن لفقده أوجع الحزن ، وبلغ من جزعه عليه أنه خولط فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول : إنه مستر وإنه قد وقف على تفرق دعائه في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه (٣) وظهرت لوعة الحسين وفجيئته بصورة واضحة في مراثيه للأمين ، كما سنرى في دراسة شعره بل إنه اشتط في رثائه وتمادى حتى عرض بالملأون وهجاء ولم يزل كذلك حتى نصحه أبو العتاهية بالكف

(١) حديث الأربعاء - ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) انظر الطبري - ٣ ص ٨٨١ .

(٣) أغاني الدار - ٧ ص ١٥١ .

عن هذا الرثاء^(١) الذى يهجو فيه المأمون ابقاء على حياته من بطشه ، فماد الحسين إلى وعيه وراجع نفسه ، بعد أن كانت هذه الفجيرة قد أفقدته توازن فكره وهزت نفسه هزا عنيفا .

هذا الموقف من الحسين إن دل على شئ فإنما يدل على عظيم إخلاصه وبالغ وفائه ، ويكشف لنا الجانب الوضاء فى شخصيته الذى ، تتمثل فيه رجولته الحققة وخلقه الكريم وشجاعته الوفية ، لم يراجع عن نصرة الأمين فى أشد أوقات المحنة ، ولم يهرب من الخطر الذى حاق به وبأنصاره جميعا ، ولم يخش بطش المنتصر ، وإنما أطلق لسانه العنان يريث الأمين فى توة وصراحة بلغت حد التعرض للمأون وهجائه . لم ينافق ولم يتملق كشأن الكثيرين فى مثل هذه الظروف ، ولم يضعف أو يتخاذل كما كان ينتظر من شاعر خطيع مثله ، بل ظهر بهذا المظهور الكريم ، ووقف هذا الموقف المشرف الذى جعلنا ننظر إليه نظرة تقدير ، وغير الصورة السيئة التى تصور بها فى العادة شخصية الخليفة ، فأضنى عليها غير قليل من الرونق والبهاء .

ونستطيع أن نقول إن هذا الجانب الطيب فى شخصية الحسين — وإن كان يبدو متناقضا مع جانب الخلاعة والمجون — يكمل لنا شخصيته ندما نأجحا وحتى هذا التناقض يمكن تخفيفه بشئ من الملاءمة والتنسيق ، فهو خايح ، أجن ولكن بلا نخس أو ميوعة ، وظريف قادر على أن يملأ جو المجالس بهجة وأنا ، ويستحوذ على إعجاب نداءه وجلسائه الذين هم عليه القوم وأعظم الناس ، والذين يقدرونه ويظاونه بنعمتهم وكرمهم ، ولكي يحتفظ الحسين بمكانته ونجاحه ينبغى عليه أن يكون وفيا لحولاء المنعمن عليه ، ومخلصا فى حبه لهم ، ليكون موضع ثقتهم ومأمن أسرارهم ، تلك هى صفات النديم التاجع التى تتمثل فى الحسين وتلونت بها شخصيته ، وليس فيها ثمة تناقض كما قد يقادى إلى أذهاننا ، وإنما هى مقومات أساسية لا بد من توفرها فى شخصية النديم .

وحقيقة أخرى يجلبها لنا شعر الحسين عن شخصيته ، ويزيدها أمامنا وضوحا ، وهي تعالج هذا التشويه الذى أصابها نتيجة تلقيه بالخليع ، وتخفف من الصورة السيئة التى يعكسها له هذا اللقب ، وقد أوضحها الدكتور طه حسين فقال عنه : « وهو مع ظرفه وإسرافه فى المحون قليل الفحش فى اللفظ غير مهالك على القول الآثم والألفاظ المنكرة ، لا يبتئرها ولا يقصد إليها ، وإنما يعرض لما إذا اضطر إليها اضطرارا » ويعمل هذه الظاهرة بأن الحسين كان طول حياته متصلا بالأمراء والخلفاء والوزراء والكتاب : مقصورا عليهم لا يكاد ينظم الشعر إلا لهم أو بمحضر منهم . فكان بحكم منزله من القصور مضطرا إلى أن يصطنع هذه اللغة المختارة النقية التى تصلح للاستقرارية فقل الفحش فى شعره ^(١) وهو بذلك يخالف أبا نواس الذى كان مستهترا مهتكا ، يتمدح بهذا الاستهتار والتهتك ، ويتخذها مذهبا ودينا ^(٢) . هذه الحقيقة التى يبرزها شعر الحسين تتلاءم إلى حد كبير مع ما عرفناه عنه من رجولة ووفاء ، وتوضح لنا شخصيته على حقيقتها دون تشويه أو غموض .

وتبقى بعض اللامسات الأخيرة فى رسم شخصية الحسين ، نراها فى بدايته الحاضرة وفطنته الباردة ، التى كفلت له استمرار النجاح فى مناداة كبراء عصره ، وجعلته قادرا على إرضائهم وفهم أهوائهم وطباعهم . فإذا حدث منه ما يغضب أحدهم سارع معتبرا إليه بطريقة لبقة لطيفة تجعله يرضى عنه وقبل علنه ويعيله إلى منادته ، كما عرفنا فى حادثة غضب الأمين عليه ، وكما نرى فى حادثة غضب المعتصم عليه فى شىء جرى على النيذ ، إذ كتب الحسين إليه أبيتا يسترضيه فيها ويعتذر إليه ، فلما قرأها انفض إلى الواثق وقال : يمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ما هو إلا أن سمعت أبيتا حسين هذه حتى أزال ما فى نفسى عليه . فقال له الواثق : هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه ^(٣) فرضى عنه وأمر بإحضاره .

(١) ، (٢) حديث الأريبعه - ٢ ص ١٨١ .

(٣) أغاني للدار - ٧ ص ١٦٧ والفرج بعد الشدة - ١ ص ٧٢ ونعيم الأدباء - ١٠

ص ٢٢ ويذكر سبب الأبيت فقط .

هكذا كان الحسين يحسن لإصلاح أخطائه ، كما يحسن فهم نفوس مناديه ، ويعرف كيف يعاملها وكيف يرضيها ، وكيف يصبر ويتحمل منهم ما لا يمكن أن يتحملة من عامة الناس ، ويقبل منهم إساءاتهم وسفاهاتهم بصدر رحب ونفس راضية على خلاف ما عرف عنه من حق وسرعة غضب في معاملاته مع الناس . وقد عرفنا ما أغاظه من قول أبي شهاب له «يا شاعر الحصيان»^(١) ، وأنه كان يكاد يجن إذا ناداه أحد بذلك ، وكذلك إغاظه ابن منذر إياه حين هزأ بشعر له قاله في بلد حياته^(٢) ، بل وغضبه من إبراهيم بن المهدي حين دعا بالنطع والسيف في مناداة له معه^(٣) فهو في كل ذلك كان يفعل ويفضب بصورة طبيعية كإنسان عادي ، ولكنه مع مناديه لم يكن لنفسه أن تتأدى في حقها ، بل كان يكبح جماحها ويمسك زمامها ويربما عرف هؤلاء هذه الصفة في شخصية الحسين ، فكانوا يتعمدون إثارته ليضحكوا منه بل يضربونه أحيانا على سبيل الولع به ، وهو يقول في ذلك «ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي ولده ، ثم ضربني الأمين بالميلة ابنة عبد الله ، ثم ضربني المأمون لميل إلى محمد ، ثم ضربني المعتصم بأودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكل ، وكل ذلك يجري مجرى الولع بي والتحذير لي ، ثم أحضرنى المتوكل وأمر شفيعا بالولع بي ، فتغاضب المتوكل علي ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك فاعلم أن آخر ضرب ضربته بديك ، فضحك وقال : بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك»^(٤).

وفي علاقة الحسين بأبي نواس نجد بعض الملاحظات التي كان يلجأ إليها أبو نواس ليغيط الحسين ، فيسبه هنا ويشتمه وقد يتأبذان أحيانا ، ولكن الأمر لم يكن يتعدى ذلك إلى العناوة الصريحة أو الهجاء الذي يترجم عادة

(١) راجع الملاحاة التي حدثت بينهما في الأغانى ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) انظر أغانى الدار ص ٢١٤ . (٣) نفسه ص ٧ من ١٦٣ .

(٤) نفسه ص ٧ من ٢٢٦ .

عن مثل هذه العلامات بين الشعراء ، ولا تلبث أن تعود بينهما علاقة الود والصفاء . وهنا يدلنا على أن الحسين لم يكن حاقدا أو شديد العداء ، ولم يكن غضبه أو حقه يؤثر في نفسه أكثر من التأثير الوقتي الذى يزول مريحا ، وينتهى دون أن يترك في نفسه شيئا من حقد أو عدا .

هكذا كانت شخصية الحسين كما عرفتنا بها أخباره وأشعاره ، وجملة القول فيها أنها شخصية شاعر ظريف ، ماجن خليج ، ولكن في غير نخس أو إفحاش ، فيها من الرجولة والوفاء حظ غير قليل ، وفيها من الفطنة والذكاء حظ موفور فيها كل المقومات التى أهلته لمنازمة الخلفاء وعلية القوم ، وجعلته محبوبا عندهم مقربا إليهم ، وفيها شئ من الحق الذى يمكن أن نعتبره عاملا من عوامل ظرفه وبعض المسخرية التى تكمل هذا الظرف ، وفيها من صفاء النفس ولطافة المعشر ما جعله محبوبا لدى الجميع لا يحمل عداوة لأحد ولا يحقد على أحد ، دنياه فى اللهو والشراب وسماع الغناء والطرب ، ومغازلة الغلمان والجواري لا يرضى بها بديلا ولا يبنى سواها سيلا .

٤ — مع الخلفاء :

عرفنا أن الحسين نشأ بالبصرة وقضى بها صدر شبابه ، وأنه كان تربا لأبى نواس وزميلا فى تلقى العلم ، يحضران معا مجالس الأدباء ، ويتلأكران معا شعر العرب وأدبهم ، ولم يقطع هذه الصبغة إلا خروج أبى نواس عن البصرة ، واتصاله بالخلفاء والأمراء فى بغداد ، وإقامته مدة فاع فيها شعره ونمت شهرته ، وآثره السلطان وخاصته ، فصار مقربا عندهم محبوبا لديهم . وبلغ الحسين مالآ إليه أمره ، وما وصلت إليه مكانته ، فخرج عن البصرة إلى بغداد ، ولقى الناس وملحهم وأخذ جوائزهم وعد فى الشعراء ^(١) .

كان خروجه عن البصرة وذهابه إلى بغداد إذن بدافع الغيرة من صاحبه ، الذى سبقه إلى الشهرة والجاه وحياة الرفاهية والتعمة بين تصور بنى

العباس وعلية الناس . فأسرع بالذهاب إلى هذه المدينة العامرة ، لعله يحظى بمثل ما حظى به صاحبه ويبلغ مثل ما بلغه ، وقد آتس في نفسه موهبة شعرية وهزايا شخصية تؤهله للوصول إلى هذا الجاه الأدبي وانعيم الدنياوى .

حدث هذا كله فى أيام الرشيد كما يقول الحسين ، إلا أنه لم يصل إليه ، واتصل بابنه صالح فكان فى خدمته ^(١) . وكانت هذه بداية اتصاله ببني العباس ، فهو لم يتصل بالرشيد أو لم يصل إليه على حد قوله ، وإنما اتصل بالأمرء من أبنائه ، ولعله حاول الوصول إلى الرشيد ولكنه لم يفلح ، أو لعل نزوحه المتأخر إلى بغداد فى أواخر عهد الرشيد لم يتح له تحقيق هذه الأمنية التى حققها صاحبه أبو نواس ، وإن كان الدكتور طه حسين يرى أن اتصال أبي نواس بالرشيد كان قليلا ، أو أنه اتصل به « كما كان يتصل به الشعراء الذين كانوا يصلحون إلى ذلك ، ويحذرون فيه ، حتى إذا نالهم هذه الخطوة أنشدوا الخليفة شعرهم : وانصرفوا وقد نالوا من جوائزه ما أتبع لهم ^(٢) . ويعمل الدكتور طه فلة اتصال أبي نواس بالرشيد وعدم اتصال الحسين به : بأنهم لم يكونا من هؤلاء الذين يصلحون لمصاحبة الرشيد ، فقد كان فى الرشيد شئ من اليبث وحب اللهو ، ولكن عبث الرشيد وطوه لم يكونا قوام حياته ، وإنما كانا ضربا من الترفيه عن النفس ، ولم يكن أبو نواس والحسين من الذين يصلحون لغير اللهو ، فلم تنفق بضاعتها عند الرشيد ، وإنما نفقت عند الأمرء من أبنائه ، وعند الوزراء وأشباه الوزراء من رؤساء الدولة وأشرفها ^(٣) .

ولكن هذا التعليل لا يفسر لنا تلك الظاهرة تفسيراً كافياً ، وخاصة بالنسبة للحسين ، لأنه لم يصل إلى الرشيد على الإطلاق ، أما أبو نواس فقد اتصل به ومدحه ونادحه وإن اعتبر الدكتور طه ذلك الاتصال قليلا . فليست الظاهرة واحدة بالنسبة للشاعرين ، ومن ثم لا يمكن أن تكون العلة أيضا واحدة .

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١٦٤ .

(٢) حديث الأربعاء ج ٢ ص ١٧٤ . (٣) نفسه ج ٢ ص ١٧٤ .

ولست القضية منحصرة في مناداة الرشيد وحضور مجالس لموه وعبيته ، وإنما هي في الاتصال به على أية حال سواء لمنادته أو لمديحه . وهذا ما تحقق لأبي نواس ولم يتحقق للحسين . وإذا كان الحسين لم يصل إلى الرشيد لأنه خفيج ماجن لا يصلح لمنادته ، فهل هذا السبب يمنعه كذلك من مدحه ونيل جازته كغيره من الشعراء ؟ لا أظن ذلك ، لأن أبا نواس كان ماجنا مثله ، ومع ذلك وصل إلى الرشيد ومدحه ونال عطاؤه . إذن هناك أسباب أخرى هي التي منعت الحسين من الوصول إلى الرشيد . منها ما ذكرناه عن نزوحه إلى بغداد في أواخر عهده أي قبل وفاته بحوالي خمس أو ست سنوات لأن اتصاله بالأميين كان سنة ثمان وثمانين ومائة على ما ذكر البغدادى ^(١) والرشيد توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة ^(٢) . فإذا قلنا أنه قضى سنة ببغداد قبل اتصاله بالأميين يعرف فيها بنفسه ويثبت وجوده ، أو يلقي الناس ويمدحهم حتى عد في الشعراء كما يقول ، لكان تقدير مجيئه إلى بغداد قبل وفاة الرشيد بست سنوات أقرب إلى الحقيقة . وقد يقول قائل إن هذه السنوات كانت كافية لتحقيق هذا الوصول ، وهذا صحيح إذا كان الشاعر في هذه الفترة يحاول الوصول ويكرر محاولاته حتى ينجح ، ولكن يبدو أن الحسين لم يحاول أو لعله حاول وفشل . وربما كان الحسين لا يأنس في نفسه النضوج الكامل أو النبوغ الذي يؤهله للمثول أمام الرشيد لمدحه ، أو أن هيئة الرشيد وما أوقعه في قلوب الناس من رعب بعد نكبة البرامكة جعلت الحسين يتحاشى الوقوف أمامه ، ويكتفى بما وصل إليه من مناداة أبنائه والانتفاش في نعيمهم وخرمهم ، وهذه عنده غاية ما بعد ما غاية ، ونعمة لا يبغي سواها نعمة ، فلماذا يعرض نفسه لهذا الموقف الصعب والامتحان العسير أمام الرشيد ، وقد وجد بغيره في قصوره ومع أبنائه يؤاكلهم ويشاربهم ويلهو معهم ، إنه ليس بحاجة إلى مدح الرشيد أو الوصول إليه مادام غارقا في النعيم والمتعة ، ومادام قد وجد عند هؤلاء الأمراء كل أسباب الترف والحياة الرغيدة . كل هذه العوامل تقصر لنا عن وصول الحسين إلى الرشيد :

(١) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٥ .

(٢) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامبور ص ٢٤ .

وحديث الحسين عن علم وصوله إلى الرشيد يجعلنا نرفض الرواية التي ذكرها البكري^(١) والعمرى^(٢) وابن عساكر^(٣) عن نزول الحسين مع الرشيد بدير مران بالشام وشربه معه ، وأنه طلب منه أن يقول فيه شعرا فقال أبياتا منها :

يادير مران لا عريت من سكن قد هجيت لي شجنا يادير مرانا

والذي يؤكد رفضها ما ذكره أبو الفرج وياقوت ، من أنها حدثت مع المعتصم لما خرج غازيا إلى الشام . فقد نزل به ومعه حسين ، وبعد أن أكل ونشط للشرب دعا بمن معه فأكلوا وشربوا ثم قال الحسين بن الضحاك : أين هذا المكان من ظهور بغداد . فقال لا أين يا أمير المؤمنين ، والله لبعض الغياض والآجام هناك أحسن من هنا ، قال : صدقت والله ، وعلى ذلك قل أبياتا يغني فيها عمرو ، فقال : أدا أن أقول شيئا في وصف هذه الناحية بحير فلا أحسب لساني ينطق به ولكني أدول متشوقا إلى بغداد : فضحك وقال : قل ماشئت .^(٤)

ويعلق ابن عساكر على هذه الرواية بقوله : « وهذه أشبه إلى الصوبع من الأولى »^(٥) .

وقد ذكر الشافعي^(٦) وياقوت^(٧) هذه الأبيات في دبر ميدان^(٨) لادير مران^(٩) . ونقل عنهما محققو أغاني الدار اسم الدبر لاتفقه مع سياق الخبر وسنعرض لتتبع ذلك في مكانه .

(١) مجمع ما استجمع ص ٦٠٢ . (٢) مسالك الايبصار ج ١ ص ٣٥٥ .

(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٧ . (٤) أغاني الدار ج ٧ ص ١٩٢ .

(٥) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٧ . (٦) الديارات ص ٢١ .

(٧) مجمع البلدان ج ٢ ص ٥٢٣ ط بيروت .

(٨) ذكر الشافعي أن هذا الدبر يقع على نهر كرخايا ببغداد وأنه دبر حسن ثراه ، حوله بساتين وعامرة ، ويقصد التزده والشرب ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة التزده (ديارات ص ٢١) .

(٩) ذكر العمرى عن دبر مران أنه يقع بالقرب من دمشق على تل في سفح قاسيون ويتلوه بالجص الأبيض وأكثر فرش بالبلاط المألون . وكان في هيكله صورة عجيبة دقيقة الماني وقلايه دائرية به وأشجاره متراكبة وماءه يتلحق (مسالك ج . ص ٣٥٣) ، كما ذكره أبو الفرج فقال : « وهو دبر على قلعة مشرفة عالية تحتها ثروج ومياه حسنة » . (أغاني ج ٧ ص ١٩٢) .

والذى يهتما الآن هو إثبات علم اتصال الحسين بالرشيد ، وأن حقيقة هذه الرواية كانت مع المتعصم لا مع الرشيد ، اعتماداً على هذه الدلائل التى سقناها .

مع الأمين :

اتصل الحسين بأبناء الرشيد وأولهم صالح كما ذكرنا ، ثم الأمين ، وهو يقول :
 « واتصلت بمحمد بن زبيدة فى أيام أبيه وخلمته ثم اتصلت خلمتى له ،
 فى أيام خلافته »^(١) وهذا القول يفيدنا فى تحديد التاريخ الذى اتصل فيه بالأمين
 لأننا نجد فى ذلك قولين مختلفين ، وأولهما قول البغدادى الذى نقله عن
 على بن أبى على عن أبى عبيد الله المرزبانى بأن الحسين صحب الأمين سنة ثمان
 وثمانين ومائة^(٢) . وثانيهما قول العميلى بأنها سنة ثمان وتسعين ومائة^(٣)
 وهى السنة التى قتل فيها الأمين ، وقد أخذ بالقول الأول ابن عساكر^(٤) ،
 أما الثانى فقد أخذ به ابن خلكان وياقوت وغيرهما^(٥) . وفى رأى أن القول
 الأول هو الصحيح ، لأنه يتفق مع قول الحسين نفسه الذى ذكره أبو الفرج ،
 وهو اتصاله بالأمين فى أيام أبيه . وبناء على هذا القول تكون المدة التى قضاها
 الحسين فى صحبته عشر سنوات ، وهى مدة كافية لتكوين هذه العلاقة الوثيقة
 التى كانت بينهما . أما القول الثانى فيجعل هذه المدة لا تبلغ العام الواحد ،
 إذ قتل الأمين فى نفس السنة التى اتصل به الحسين فيها ، بل إن هذه المدة
 لا تصل إلى شهر إذا عرفنا أن مقتل الأمين كان ليلة الأحد لخميس بقين من

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٥ .

(٣) الإبادة عن سرقات المتنبى ص ١٨٤ .

(٤) انظر تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٧ .

(٥) انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٢ ومعيهم الأدباء ج ١٠ ص ٥ ودائرة المعارف

المحرم^(١) أى فى أول شهر فى العام ، فكيف إذن تكون العلاقة بينهما قد وصلت إلى هنا الحد فى مدى شهر أو أقل ؟ . وكيف حدثت كل هذه الحكايات والخواص ، الى جاءت فى ترجمته بينه وبين الأمين ؟ . وكيف يكون قد أحبه هذا الحب الحارف ، الذى أنطقه برثائه الملىء بالحزن والقصبة ، والذى أفقده توازن فكره وسلامة عقله فجعله يهجر المأمون ، كيف يكون ذلك قد حدث فى أيام ؟ . إن كل هذه الدلائل نجعلنا ترفض قول العميدى ومن أخذ به ، لأنه لا يتفق مع منطق التاريخ ولا منطق العقل . ونأخذ بالقول الأول الذى يتفق مع المنطق السليم ومع قول الحسين نفسه وما جاءت به أخباره .

وكانت للحسين مع الأمين نواذر وحكايات لطيفة ذكرها أبو الفرج ، ونقلها هنا لا للطافتها فحسب ، ولكن لتنبف منها أيضا على حقيقة العلاقة بينهما ، ولنعرف طبيعة حياة هؤلاء الخلفاء وما يلور فى قصورهم وفى مجالس طوهم وشرايهم ، ولترى صورة صادقة لهذه الحياة التى شاركهم فيها الحسين وقام بلور التديم المقرب إليهم .

روى أبو الفرج على لسان الحسين قال : « شربنا يوما مع الأمين فى بستان فسقانا على الريق ، وجد بنا فى الشرب ، وتحرز من أن ننوق شيئا فاشتد الأمر على ، وقمت لأبول ، فأعطيت خادما من الخدم ألف درهم على أن يجعل لى تحت شجرة أومأت إليها رقاقة فيها لحم فأخذ الألف وفعل ذلك . ووثب محمد فقال : من يكون منكم حاررى ؟ فكل واحد منهم قال له : أنا ، لأنه كان يركب الواحد منا عبثا ثم يوصله ، ثم قال : يا حسين ، أنت أضلع القوم ، فركبني وجعل يطوف وأنا أعذل به عن الشجرة ، وهو يمر بي إليها حتى صار تحتها فرأى الرقاقة فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري ، وقال : هذه جعلت لبعضكم ، ثم رجع إلى مجلسه وما وصلنى بشيء . فقلت :

لأصحابي : أنا أشقى الناس ، ركب ظهري ، وذهب ألف درهم مني ، وفاتني ما يمسك رمي ولم يصلني كما دقي ، ما أنا إلا كمال قال الشاعر :

ومطم الصيد يوم الصي لمطمعه أنى توجه والمحسروم محروم^(١)

فهذه القصة ترينا كيف كان الأمين يتصرف في مجالس لوه مع من دمية . وكيف كان يفعل أفعالا لا تتصور صدورها من خليفة أو أمير . ولكنها التحمر التي تذهب بالعقول ، وتجعل شاربها يأتي من الأفعال ما يحلو له دون حرج أو حياء . كما ترينا ما كان بقاءة الحسين معه من عنت في بعض الأحيان ما دام ذلك يضحكه ويسليه .

وقصة أخرى رواها أبو الفرج على لسان أبي محمد بن النشار قال : وكان لابي صديقا للحسين بن الضحاك ، وكان يعاشره ، فحملني معه يوما إليه ، وجعل أبي يجادته إلى أن قال له : يا أبا علي ، قد تأخرت أرزاقك وانقطعت موادك ، وتفقتك كبيرة فكيف يمشي أورك ؟ فقال له : بلى والله يا أخي ، ما قوام أدرى إلا ببقايا هبات الأمين محمد بن زبيدة وذخائره وهبات جارية له — لم يسمها — أغنتني للأبد لشيء طريف جرى على غير تعد ، وذلك أن الأمين دعاني يوما فقال لي : يا حسين إن جليس الرجل عشرين وثقته وموضع سره وأمنه ، وإن جاريتي فلانة أحسن الناس وجها وغناء ، وهي مني بحال نفسي ، وقللم كدرت على صفوها ونهضت على النعمة فيها يعجبها بنفسها ، وتجنيها على ، وإدلالا بنا تعلم من حيي إياها ، وإني محضرها ومحضر صاحبة لما ليست منها في شيء لتعني معها ، فإذا غنت وأومأت لك إليها — على أن أمرها أبين من أن يخفى عليك — فلا تستحسن الغناء ولا تشرب عليه ، وإذا غنت الأخرى فاشرب واطرب ، واستحسن واشفق ثيابك ، وعلى مكان كل ثوب مائة ثوب . فقلت : السمع والطاعة . فجلس في حجرة الخلوة وأحضرني وسقاني وخلع على . وغنت المحسنة وقد أخذ الشراب مني ، فما نمالكت أن استحسنط وطربت وشربت ، فأومأ إلى وقاطب في وجهي :

ثم غنت الأخرى فجعلت أتكلف ما أقوله وأفعله . ثم غنت المحسنة ثانية فأنت بما لم أسمع مثله قط حسنا ، فما ملكت نفسي أن صحت وشربت وطربت ، وهو ينظر إلى وبعض شفثيه غيظا ، وقد زال عقلى فما أفكر فيه ، حتى فعلت ذلك مرارا ، وكلما زاد شربى ذهب عقلى وزدت مما يكره ، فغضب فأمنى وأمر بجر رجل من بين يديه وصرفى ، فجرت وصرفت فأمر بأن أحجب وجاءنى الناس يتوجسون لى ويسألون عن قصتى فأقول لهم : حمل على التبيذ فأست أدنى فقومنى أمير المؤمنين بصرفى وعاقبى بمنى من الوصول إليه : ومضى لما أنا فيه شهر ، ثم جاءتنى البشارة أنه قد رضى عني ، وأمر بإحضارى ، فحضرت وأنا خائف . فلما وصلت أعطانى الأمين يده فقبلها ، وصحك إلى وقام وقال : اتبعنى ، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيرى . وغنت المحسنة التى نالتى من أجلها ما نالتى فسكت . فقال لى : قل ما شئت ولا تخف ، فشربت واستحسنتم ثم قال لى : يا حسين ، لقد خار الله لك بخلافى وجرى القدر بما تحب فيه ، إن هذه الحارية عادت إلى الحال التى أريد منها ورضيت كل أفعالها ، فأذكرتنى بك وسألتنى الرضا عنك والاختصاص لك ، وقد فعلت ووصلتك بعشرة آلاف دينار ووصلتك هى بدون ذلك . والله لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود إلى مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألنى ألا تصل إلى لأجبتها . فدعوت له وشكرته وحمدت الله على توفيقه ، وزدت الاستحسان والسرور لى أن سكرت وانصرفت وقد حمل معى المال ، فما كان يمضى أسبوع إلا وصلاتها وألطافها تصل إلى من الجوهر والنياب والمال بغير علم الأمين ، وما جالسته مجلسا بعد ذلك إلا سألته أن يصلى . فكل شئ أنفقته بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالها وما ذخرت من صلاتها^(١) .

فمن هذه القصة نعرف مكانة الحسين من الأمين وكيف كان موضع ثقته ، وأميناً على أسراره ومطلعا على علاقته بجواريه . كما نعرف مدى ما كان لهؤلاء الجوارى من تأثير على الخليفة ، وأن رضا الأمين عليه جاء وفقا لرغبة جاريته ، وقد كانت صلاتها لا تنقطع عنه حتى فى أيام محنته بعد :

مقتل الأمين وغضب المأمون عليه . وملاحظة أخرى نراها في هذه القصة وهي أن وجود الحسين وأمثاله بقصر الخليفة كان رهن القلعة ، فمن أسعده الحظ هيا له الظروف التي تجعل الخليفة راضيا عنه ، بل وتجعل جاريته أيضا باعثة هذا الرضا ، كما حدث بالنسبة للحسين . ومن ساء حظّه كان موضع السخط وطريد الغضب من غير أن يكون قد ارتكب ذنبا أو اقترف إثما .

ولم يصل إلينا فيما وصل من شعر الحسين أية قصيدة بمدح بها الأمين ، ولا بد أن يكون الحسين قد مدحه بقصائد لا تقل جودة عما مدح به المعتصم والواثق ، ولكنها ضاعت فيما ضاع من شعره ، ولعل هذا ما جعل جورجى زيدان يقول عن الحسين « وله في الأمين مدائح كثيرة » .^(١) إذ ليس لهذا أقول ما يؤيده في شعر الحسين أو أخباره ، ولا تفسير له إلا أن يكون قد أطلقه المتخمين .

وقد عرفنا موقف الحسين مع الأمين وقت محنة حصار بغداد ، وكيف كان يشجعه ويشد أزره ، ولا يتوانى عن نصرته والتضحية من أجله ، واستمر في خاسته وتعصبه للأمين حتى بعد مقتله ، إذ تمكنت منه الصلعة واشتدت به الفجعة ، حتى قيل إنه خوطب في عقله وراثؤه بقطار حزنا ولوعة وقد ذكرنا منه بعض الأبيات في حديثنا عن شخصيته . ونذكر منه هنا أبياتا أخرى لئلا نرى مدى لوعته وحزنه أكثر وضوحا . فيقول متمنيا لإياب الأمين الذي كان ذهابه ذلة له واستكانة .

سألونا أن كيف نحن أقفلنا من هوى نجمة فكيف يكون
نحن قوم أصابنا حدث الدهر فظلنا لربيه نستكيسين
تمنى من الأمين لإيابنا دفع نفسى وأين منى الأمين^(٢)

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٨١ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١

وهذه الآيات تفسر لنا ما قيل عن الحسين بأنه خولط بلخرعه عليه وكان ينكر قتله ويقول إنه مستر وإنه قد وقف على تفرق دعائه في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه ^(١) .

لقد كان الأمين بالنسبة للحسين أملا دافيا يغنيه ، ونعيا مقيما يستظل به وقد مضى هذا الأمل وذلك النعيم ، ولم يبق له إلا الأسف العتيق والحزن الدفين يقول (٢) :

قد كنت لي أملا غنيت به ففضي وحل محله الأسف

ولا يفنا الحسين يذكر الأمين وأيامه السعيدة ، يرى قصوره خاوية فتهيج في نفسه الأشجان وينطلق لسانه برثاء يقطر حزنا ولوعة .

وتنادى الحسين في رثائه الأمين حتى عرض بالمأمون وهجاء . وكأنما استبدت به فجيعته فيه فلم يقدر نتيجة هذه الحماقة . ولولا أن أبا العتاهية نصحه مخلصا لكانت عاقبته وخيمة ، فهو يقول : كنت عازما على أن أرثي الأمين بلساني كله ، وأشئى لوعتي ، فلقيني أبو العتاهية فقال لي : يا حسين أنا إليك مائل ، ولك محب ، وقد علمت مكانك من الأمين ، وإنه لحقيق بأن ترثيه إلا أنك قد أطلقت لسانك من التلief عليه ، والتوجع له بما صار هجاء لغيره ، وثلبا له وتحريضا عليه وهذا المأمون منصب إلى العراق قد أقبل عليك فأبق على نفسك ، يا ويحك أتجسر على أن تقول :

تركوا حريم أبيهم تفلأ والمحصنات صوارخ هتف
هيات بعلك أن يلوم لهم عز وأن يبق لهم شرف

أكفف غرب لسانك واطوما انتشر عنك ، وتلاف ما فرط منك : فعلمت أنه قد نصحنى فجزيته الخبر ، وقطعت القول فتجوت برأيه وما كدت أن أنجو ، ^(٣)

(٢) الطبري ج ٢ ص ٩٤١ .

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١٥١ .

(٣) أغاني الدار ج ٧ ص ٢١١ .

مع المأمون :

ومرت بعد مقتل الأمين ست سنوات ، والمأمون مقيم بخراسان ، حتى قدم إلى بغداد في الخامس عشر من صفر سنة ٢٠٤ هـ . ولعل هذه الفترة الطويلة التي مكثها المأمون بعيدا عن بغداد كانت من العوامل التي مهدت للحسين حرية القول ، فانطلق لسانه في رثاء الأمين بما شاء دون خوف من بطش أو عقاب ، ولو كان المأمون ببغداد لما استطاع الحسين أن يقول ما قال ، ولكان له معه شأن آخر كما أن هذه الفترة أعطت الحسين فرصة الإقلاع عن قوله عملا بتوصية أبي العتاهية ، ومحاولة إصلاح ما اقترفه في حق المأمون والتكفير عن ذنبه بملء فيه . وليس بعيد أن يكون لهذه السنين أثرها في تهدئة غضب المأمون وإطفاء نار الانتقام في نفسه ، فكان عقابه للحسين أخف مما كان ينتظر له . يروى أبو الفرج لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد أمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الفضل ، وكان من جلساء محمد المخلوع قرا أسمائهم حتى بلغ إلى اسم حسين ، فقال :

أليس هو الذي يقول في محمد :

هلا بقيت لسيد فائقنا أبدا وكان لغيرك التلطف
فلقد خلفت خلافتنا سلفوا ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لي فيه ، والله لا يراني أبدا إلا في الطريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به قال : وانحدر حسين إلى البصرة فأقام بها طول أيام المأمون ^(١)

هكذا نجما الحسين من بطش المأمون الذي عفا عما سلف ، وصفح من الأخطاء التي ارتكبها أمثاله من أصحاب أخيه ، وكان حزنه لمقتله وتأثره مما أحدثته هذه الحرب من خراب ودمار وإراقة دماء جعله يحاول نسيان هذه

(١) أغاني البدر ج ٧ ص ١٤٨ والديارات ص ٣٦ وكتاب بغداد ص ٥٨ - ٥٩ .

المحنة العصبية وكل ما يذكره بآلامها ، فلم يكن في نفسه استعداد لانتقام من أحد ، وإنما أراد جمع الشمل من جديد ، فعفا عن كثير حتى اشتهر بعفوه العظيم ، وتسامح في كثير حتى عرف بتسامحه التليل .

وكان عقاب المأمون للحسين بامتناعه عن استخدامه وحرمانه من مجالسته أو حتى مجرد المثل بين يديه كبقية الشعراء للحدح وأخذ عطائه ، بالإضافة إلى قطع أرزاقه التي كانت تعطى له من بيت مال الدولة . كان هذا العقاب شديد القسوة على الحسين ، إذ تركه فريسة للفقير والفاقة لا مورد له يرتزق منه إلا ما يصله من بعض الأمراء الذين كان يناديهم كصالح بن الرشيد وأبي عيسى أخيه ، أو ما ذخره من عطايا الأمين أو صلات جاريته التي عرفنا قصتها . ولكن ذلك كله لم يكن يعوض عنه النعيم والترف الذي عاش فيه أيام الأمين ، ولم يكن يهيئ له حياة رغيدة كذلك الحياة . وأهم من ذلك أن عقاب المأمون كان بمثابة حكم بالموت الأدبي على الحسين لأن قصر الخليفة كان في ذلك العصر هو متنفس الشاعر إلى الشهرة وإلى المكانة المرموقة في المجتمع ، وكلمة منه تحمل معنى الإعجاب بالشاعر أو استحسان قوله تعتبر شهادة الامتياز التي يعتز بها ويته على الناس ، ومشعل النور الذي ينير أمامه سبيل الشهرة والمجد ، وشحنة التشجيع التي تدفعه إلى الإجابة في القول . فكيف يعيش الحسين وقد فقد كل هذه المميزات ؟ . إنه لاشك كان يعاني ضيقا شديدا وآلاما نفسية موجعة . وما أصدق هذه الأبيات التي يترجم فيها عن سوء حاله فيقول ^(١) :

كم لك لما احتمل القطبين	من زفرة يتبعها الأنسين
وعبرة تحملها الشئون	إني ببغداد لمستكسين
حظ الغريب الشوق والشجون	يا لائمي لسكل يوم هون
إليك عني إنني مفتون	الشعر مني كاسد ودون
وحان من تحريكه تسكين	قد ركبت أربابها الديون
بضاعة أكسدها المأمون	إمام عطل للتي أمين

ولم يستطع الحسين أن يبقى على هذه الحالة المؤسفة ، فلجأ إلى بعض رجال المأمون وإخوته يستشفع بهم لديه ، لعله يرضى عنه ، ويفك من رقبته قيود الإهمال والحرمان ؛ لجأ إلى الحسن بن مهمل وزير المأمون فقد طمع أن يصلحه له لمكانته عنده ومدحه بقصيدة لم يصل إلينا منها سوى تسعة أبيات ^(١) . وذكر أبو الفرج أن الحسن استحسنها ، ودعا بالحسين فقربه وآتاه ووصله وخلع عليه ، ووعد إصلاح المأمون له فلم يمكنه ذلك لسوء رأى المأمون فيه ، ولما عاجل الحسن من العلة ^(٢)

لم تغلح وساطة الحسن ، فلجأ الحسين إلى صالح بن الرشيد أخى المأمون وكان على صلة وطيدة به ، إذ كان من نعمائه المقربين . ويروى أبو الفرج على لسان صالح قال : « دخلت يوما على المأمون ومعى بيتان للحسين بن الضحاك ، فقلت يا أمير المؤمنين أحب أن تسمع منى بيتين ، فقال أنشدتهما فأنشدته :

هدنا الله شكرا إذ جباننا بنصرك يا أمير المؤمنين
فأنت خليفة الرحمن حقا جمعت ساحة وجمعت دينا

فقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلت : لعبك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحاك .

: قال : قد أحسن . فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا ، فقال : وما هو ؟

فأنشدته قوله :

أيخل فرد الحسن فرد صفاته على وقد أفردت بهوى قسرد
رأى الله عبد الله خير عباده فلكه والله أعلم بالعباد

(١) الأبيات في أغاني النداء ج ٧ ص ١٧٧ وسجع الأديب ج ١٠ ص ١٦ - ١٧ .

(٢) أغاني النداء ج ٧ ص ١٧٨ .

قال : فأطرق ساعة ثم قال : « ما تطيب نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمد وقال » . (١)

ولكن ابن عساكر يروى هذا الخبر نفسه دون ذكر قول المأمون الأخير بل يذكر أن المأمون وجه إليه بخمسة آلاف درهم وخمس خلع^(٢) على قول صالح . وهذا يعني أنه عفا عنه ولو عفووا جزئياً ، إذ أمر له بهذا العطاء بعد أن كان قد قطع أرزاقه كما عرفنا . إلا أن تناقض الروایتين في قول المأمون أو فعله يخلط الأمر علينا . ولكني أرجح رواية أبي الفرج على رواية ابن عساكر ، لأن الحسين لما بعد ذلك إلى غير صالح ، ولو كانت شفاعته نجحت لأغنته عن الاستشفاع بغيره .

ولما الحسين كذلك إلى عمرو بن مسعدة كاتب المأمون ، فيروى أبو الفرج أن الحسين « لما أعيته الحيلة في رضا المأمون عنه ، رمى بأمره إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه أبياتاً يستحثه فيها على الاستشفاع له لدى المأمون حتى يرضى عنه ويعفو ، فلم يزل عمرو يلطف للمأمون حتى أوصله إليه وأدر أرزاقه » . (٣) . ولكننا لم نعرف الطريقة التي أوصله بها عمرو إليه ، ولم نجد في أخبار الحسين ما يدل على ذلك ، وربما يكون له يد وتدبير مع ابن البواب في محاولته إدخاله على المأمون والاستشفاع له .

روى أبو الفرج عن لسان ابن أبي الأزر . قال : « كنت بين يدي المأمون واقفاً فأدخل إليه ابن البواب رقعة فيها أبيات وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها ، فظنّها له فقال : هات ، فأشده :
أجرتني فإني قد ضممت إلى الوعد متى تنجز الوعد المؤكد بالمعهد

(١) أغاني النار ج ٧ ص ١٤٩ . وقد علق أبو الفرج على هذه الرواية بقوله « وهذه الأبيات تروى لابن البواب ، ويذكر في أبوابه إن شاء الله تعالى » وعلى أن الذي رواها غلط في روايته غلطاً بيناً لأنها مشهورة من شعر الحسين بن الفضل . وقد روى أيضاً في أخباره أنه دفعها إلى ابن البواب . فأوصلها إلى المأمون وكان له صديقاً ولعل الغلط وقع من هذه الجهة .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٨ وروى طيفوز الطبري هذا الخبر بدون تعليق

لمأمون على الأبيات انظر كتاب بغداد ص ٣١٢ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ١٥٨

(٣) انظر الأبيات والخبر في أغاني النار ج ٧ ص ١٦٦ - ١٦٧ .

أعينك من خلف الملوك وقد بدا تقطع أنفاسى عليك من الوجد
أيضل فرد الحسن عني بنائل قليل وقد أفردته هوى فرد
إلى أن بلغ قوله :

رأى الله عبد الله خير عباده فلكه والله أعلم بالعباد
ألا إنما المأمون للناس عصمة مميزة بين الضلالة والرشد

فقال المأمون أحسنت يا عبد الله . فقال : يا أمير المؤمنين ، أحسن قائلها
قال : ومن هو ، فقال : عبدك حسين بن الفضحك ، فعضب ثم قال :
لا حيا لله من ذكرت ولا يباه ولا يقربه ولا أنعم به عينا . . أليس القائل :
أعني جودا وإبكيالى عمدا ولا تذخرا دمعاً عليه وأسعدنا
فلا تمت الأشياء بعد محمدا ولا زال شغل الملك فيه مبدا
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

هذا بذلك ، ولا شيء له عندنا ، فقال له ابن البواب : فأين فضل إحسان
أمير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العقو ؟ . فأمره بإحضاره ، فلما حضر
سلم ، فرد عليه السلام ردا جافيا . ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك :
هل عرفت يوم قتل أخى محمد هاشمية قتلت أو هتكت : قال :
لا قال : فما معنى قولك ^(١) :

ومما شجى قلبي وكفكف عبرى عارم من آل النبي استحللت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدلت
إذا خفرتها روعة من منازل لها المرطعادت بالخشوع ورنث
وصرب ظباء من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يدا في إذا ما ذكرته على كبدي حرى وقب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالهم ما تمست

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٦ ذكر الأبيات الثلاثة الأخيرة وفي الفرج بعد الشدة ج ١
ص ٤ وابن الأثير ج ٦ ص ٢٠٤ ذكرت الأبيات كاملة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن غمرتني ، وإحسان شكرته فأنطقني ، وسيد فقدته فأقلقتني ، فإن عاقبت فبحقك وإن عفوت فبفضلك . فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوت عنك وأمرت بإحراز أرزاقك وإعطائك ما فاتك منها ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخلامك ^(١) .

ويروى التويري هذا الخبر بطريقة مختصرة ويقول آخر للمأمون ، إذ قال للحسين بعد أن أنشده أبياته الأولى في مدحيه — « هذه بتلك وقد عفونا عنك فقال : يا أمير المؤمنين ، فأتبع عفوك إحسانك فأمر برد أرزاقه عليه وكانت في كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمون : لولا أنني نويت عفوا عنه ، وجعلت ذلك وعدا له من قبل ، ما فعلته ، وإنما ذكر الوعد في تشبيهه بكرنيه ^(٢) .

هذا القول الذي ذكره التويري للمأمون يجعلنا نتساءل . هل كان المأمون حقا قد وعده من قبل بهذا العفو ، أو حتى بمجرد المتول بين يديه لإشاد شعره ؟ أم أن التويري استند إلى معنى البيتين الأول والثاني فاستنبط هذا القول ؟ إننا نلاحظ أن التويري يذكر أن المأمون لما كلم في الحسين رد بما قاله الحسين في هجائه ، فما زالوا يتلففون معه في القول إلى أن أذن له أن ينشده فأنشده ^(٣) مدحه الذي ذكرناه ، ومعنى ذلك أن المأمون لم يقبل دخول الحسين إلا بعد تحايل وتلطف فهل هذا يتفق مع وعد سابق منه ؟ هل نفهم أنه وعده بالعفو ويقبول مثوله أمامه ثم عاد فرفض دخوله حتى تحايلا وتلففوا معه في القول فقبل ؟ إن الرواية بهذه الصورة تحمل تناقضا لا يلتفت مع

(١) الأغاني ج ٧ ص ١٦٥ - ١٦٦ وقد نقل عنه الخبر كاملا التنوخى في الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٧٤ ورواه ابن شاعر الكشي كاملا كذلك في عيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٢١٨ وابن تقيي برقي في النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢٥ مع نقص في بعض الأبيات والألفاظ وبعض المصادر ذكرت جزءا من الخبر كالنويري في نهاية الأرب ج ٣ ص ٢٠٦ وابن الأثير في الكامل ج ٦ ص ٢٠٤ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٢٨ .

(٢) نهاية الأرب ج ٤ ص ٣ ص ٢٠٦ . (٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

المنطق ، ونجعلنا نشك في صحة قول التويرى بأن المأمون جعل ذلك وعدا له من قبل ، ولكن البيهقي الأولين يرجحان صحة هذا القول . فكيف تفسر ذلك ونخرج من هذا التناقض؟ هناك احتمال بأن المأمون ربما يكون قد وعد الذين يتشفعون للحسين كعمرو بن مسعدة وابن البواب وصالح أخيه بأن يعفو عنه ويرد أرزاقه ، ولكنه نسي هذا الوعد فلم يقبل دخوله بسهولة . أو أن وعده هذا لم يكن يتضمن قبول مثوله بين يديه ، وإنما كان وعدا بمجرد العفو ورد الأرزاق فحسب ، وأن أمر دخوله هنا جاء بتلك الحيلة التي دبرها ابن البواب كما رأينا ، ولهذا قابله المأمون بجفاء ، بل كان يرفض دخوله في أول الأمر لولا تلمظ ابن البواب .

وعلى كل فإن الحسين اتخذ من هذا الوعد ركنه التي يستند إليها في وقوفه أمام المأمون ، ويحتج بها من غضبه ، فجعلها مطلع قصيدته ، وذكره ؛ بأن وعد المالك لا يخلف وكلمتهم لا ترد ، فطوقه بوعده وأجره على إنجازها .

ولم يكن عفو المأمون عن الحسين عفوا كاملا . لأنه وإن كان قد رد عليه أرزاقه فإنه ما زال عند كلمته بعلم استخدامه ، وقد ظل الحسين مبعدا عن قصر المأمون مدة خلافته كلها . وقد عرفنا أنه رحل إلى البصرة وأقام بها طوال هذه المدة . ولعل الحسين وجد في ابتعاده عن بغداد أمنا لنفسه من بطش المأمون ومع أنه نال منه العفو ، فإنه لم يأمن البقاء بها ، لشعوره بأن نفس المأمون ما زال فيها شيء ، وبأنه لم يرض عنه الرضا الكامل كما لم يعف عنه العفو الكامل . وكان الحسين يمكنه أن يبقى في صحبة الأمراء والأعيان الذين عرفوه وأجبه واستمتعوا بظرفه وحلاوة منادته من قبل ، ولكن هؤلاء أيضا ربما خرجوا من منادته بعد أن عرفوا رأى المأمون فيه . فأحس الحسين أنه لم يعد التديم المحبوب الذي يتهاقون عليه ، وشعر بأنه غدا غير مرغوب فيه ، وبأن خلان الأمس يتباعدون عن صحبته اليوم . بل إن بقاءه في مثل هذه الظروف قد يعرضه لوشاية الواشين ، ويجعله عرضة للمحاسبة على كل صغيرة

وكبيرة ، وما أسهل تلمس الأخطاء له وهو الخليج الماجن . كل هذه العوامل دفعت الحسين إلى المسارعة بالرحيل نجاة بنفسه وأمانا لما . ووجد الحكمة في البعد عن موطن الخطر وتجنب أسباب البلاء .

وقضى الحسين بالبصرة زمنا يزيد على عشرة أعوام لم نعرف كيف قضاه ، ولم نجد في مصادر ترجمته أى خبر عنها . ويبدو أنه قضاه في هدوء واستكانة محتززا أن يأتي من الأفعال ما يعرضه للعقاب ، أو يرتكب من أفعال المجنون والخلاعة ما يجعله هدفا لبطش ولاية المأمون .

ومرت الأيام والسنوات ، وكان الزمن كفيفا نحو آثار ذنبه من نفس المأمون فغير رأيه فيه ، وطابت نفسه له . وترددت معاني شعره الذى مدحه في خاطره فتركت أثرا طيبا ، وهذا ما نجده في خبر يرويه كل من ابن المعتز وأبو الفرج على لسان محمد بن عباد المهلبى قال : « قال لى المأمون وقد قدمت من البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مصركم ^(١) ؟ قلت : ما أعرفه ؟ قال : ذاك الحسين بن الضحاك ، أشعر شعرائكم وأظرف ظرفائكم ^(٢) أليس هو الذى يقول :

رأى الله عبد الله خير عباده فلكه والله أعلم بالعبد

قال : ثم قال لى المأمون : ما قال فى أحد من شعراء زماننا بيتا أبلغ من بيته هذا ، فاكذب إليه فاستقدمه ، وكان حسين عليلا ، وكان يخاف بؤادر المأمون لما فرط منه ، فقلت للمأمون : إنه عليل يا أمير المؤمنين ، علته تمنعه من الحركة والسفر . قال : فخذ كتابا إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يعطيه ثلاثين ألف درهم . فأخذت الكتاب بذلك وأنفذته إليه فقبض المال ^(٣) .

(١) فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٩ « كيف خلفت ظريف مصركم ومن يدار لى على حكيمكم » - يعنى أبا نواس .

(٢) فى الطبقات لم يذكر هذه العبارة بعد اسمه .

(٣) فى الطبقات لم يذكر هذه الرواية وإنما قال بيت الشعر « ثم قال : أكتب إليه واستقدمه . قلت : يا أمير المؤمنين إن علته تمنعه من ذلك قال : فخذ كتابا إلى عاملنا بالبصرة يألف يفتل بنفسه إليه » وقد نقلت الخبر كله من رواية الأغاني لأنها أكل ألقاظا . انظر ج ٧ ص ٥٠ .

ولم يعد هجاء الحسين للمأمون يترك في نفسه ذلك الأثر السيئ الذي كان يتركه من قبل . وأصبح قوله الذي أغضب المأمون سالفا لا يفضبه بعد قوات الزمن ، بل يطلب من المغنى أن يغنى به أمامه ويردده على مسامحة مرات ، دون أن يتغصه أو يكدره ، وهذا ما تجده في خبر يرويه أبو الفرج مجمله أن عمرو بن بانة المغنى كان عند صالح بن الرشيد ، فطلب منه أن يرسل إلى منزله من يحضر دفاتر الغناء ليختار منها صالح ما يستجيده ، فلما جرى بها وجد فيها أبياتا للحسين في هجاء المأمون ، فدعا بسكين وجعل يحكها خشية أن يأتى المأمون إليهم فيراها ، وكان ما توقعه صالح ، إذ حضر المأمون فرمى صالح بالدفتر ، ولاحظ المأمون ذلك فأمر باحضاره ، ونظر فيه فوقف على الحك وعرف ما كانوا فيه ، ومع ذلك أمر عمرو بن بانة أن يغنى في أبيات الحسين ، بل طلب ترديدها ثلاث مرات ثم أمر له بثلاثين ألف درهم وقال له : « حتى تعلم أنه لم يضرك عندى » (١)

ونعود فنتساءل لماذا لم يرجع الحسين إلى بغداد بعد أن طابت نفس المأمون له ، ونسى ما كان منه ، أو لم يعد يتأثر به ؟ بل أصبح يردد قول الحسين في مدحه بإعجاب ورضا نفس ، ويصفه بأنه أباغ بيت قيل فيه من شعراء زمانه . لماذا لم ينتهز الحسين هذه الفرصة فيعود إلى مكانه في قصر الخليفة وفى مجالسه ؟ ونجد جواب هذا السؤال في كلام محمد بن عباد راوى الخبر بأن الحسين كان يخشى بوادى المأمون فهذا هو السبب الحقيقي لعدم ذهابه . أما القول بأنه كان عليلا فيه يمكن أن يؤخذ على أنه سبب وقى يزول بزوال العلة . وأنه كان يمكن أن يلجأ طلب المأمون بعد شفائه . ولكن الحقيقة كانت في عدم ارتياحه إلى دعوة المأمون وخشيته من أن يحدث شيء يتكأ الجرح القديم ، ويوقظ حفيظة المأمون عليه فتكون العاقبة وخيمة ، وعلى أقل تقدير فإنه لو ذهب لظل دائما في خوف وترتب ، ودلنا الشعور كقيل بأن ينغص عليه

حياته ويكثر عليه صفاءه ، وهو الذى تعود حياة الأتس والهجة وأشربت نفسه حلاوة ليالى السرور والقبطة . لقد وجد أنه لن يطيق صحبة المأمون ، ولن ينعم أبدا بمناجسته ومجالسته ما دام بينهم هذا الحاجز النعيج .

مع المعتصم :

وانقضى عهد المأمون وتولى المعتصم الخلافة فى السادس عشر من رجب سنة ٢١٨ هـ ففتح باب الأمل من جديد أمام الحسين ، ونحطمت أغلال المواجه إلى أقضت مضجعه زما طويلا . ووجد الطريق ممهدة أمامه إلى قصر الخلافة ليستأنف نشاطه الأدبى ، ويأخذ مكانه فى مجالس الخليفة . فقد سأل عنه المعتصم فأخبر بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه ، فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدم ، فلما دخل وسلم واستأذن فى الإنشاد فأذن له ، فأنشده قوله ^(١) :

هلا سألنا تلذذ المشفق ومننت قبل فراقه بشفاق
إن الرقيب ليس تريب نفس الصعدا إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة عبرى عليك سخينة الآفاق
نفسى الفداء لخائف مرقب جعل الوداع إشارة بغفاق
إذ لا جراب لمفحم متحير إلا الدموع تصان بالإطسراق

وهى قصيدة طويلة ، ولكن ما وصل إلينا منها يبلغ واحدا وعشرين بيتا فقط .

ونلاحظ فى مطلعها هذا أن الحسين عبر عن شدة شوقه إلى بغداد وإلى نعيم الخلافة وظلها الوارف ، كما عبر عن قلقه العظيم وحيرته البالغة وخوفه الزائد ، وكل هذه المواجه إلى ملأت حياته قبل تولى المعتصم ، وإنه لييكى لما كان فيه ، وييكى من فرحته إذ تخلص منه . فى عباراته انفعال شديد وتأثر بالغ ، فيها صورة صادقة لحالته النفسية وترجمة أمينة لمشاعره وأحاسيسه .

(١) الأغاني ج ٧ ص ١٥٢ - ١٥٣ ومجمع الأدباء ج ١٠ ص ٧ - ١١ والزهرة ص ١٨٨ وحيون التواريخ حوادث سنة ٢٥٠ ج ٧ ص ٧٠٩ (مخطوط رقم ١٤٩٧)

وقد أجازته المعتصم على هذه القصيدة إجازة طيبة فيروى أبو الفرج أنه
« لما أتمها قال له المعتصم : ادن مني فدنا منه ، فلأ فمه جوهرًا من جوهر كان
بين يديه ، ثم أمره بأن يخرج من فيه فأخرجه وأمر بأن ينظم ويدفع إليه ،
ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله . فكان
أحسن ما مدح به يومئذ » (١)

وبعد أن يذكر أبو الفرج عددا آخر من أبيات القصيدة يروى أن
المعتصم « أمر له لكل بيت ألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حسين أن هذا
أكثر ما مدحني به مادح في دولتنا فقبل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال
معه » (٢) . وقد يبدو لنا أن هناك خلافا بين الروايتين في الطريقة التي
أجازها بها المعتصم . ولكن يمكننا أن نفهمهما على أنهما مكملتان بعضهما لبعض ،
إذ أن أبا الفرج يرويهما على لسان قائل واحد ويلمسنا واحد . فينهم أن
المعتصم أدماه وملأ فمه بالجواهر كتعبير مباشر عن شدة إعجابه ، ثم أمر له
بالجائزة المالية أيضا في الوقت الذي أمر فيه بنظم الجواهر . وأن الحسين حمل
الجائزتين معه وخرج .

ونرى أن المعتصم أكرمه إكراما عظيما وأعجب بشعره إعجابا شديدا
واعتبره أكثر ما مدحه به مادح في دولته . وهذا تعظيم الحسين ما بعده تعظيم
وإعلاء لمكانته بين الشعراء ، ورد لاعتباره الذي كان قد فقدته في عهد
الأمم .

وانصلت منادمة الحسين للمعتصم بعد ذلك . فقام بمهمته خير قيام ،
وملأ مجالسه بهجة وأنسا بما عرف عنه من ظرف ولطافة معشر . نذكر من
ذلك ما يرويه أبو الفرج على لسان الحسين قال : « دخنا أنا ومحمد بن عمرو
الروى دار المعتصم فخرج علينا كالحيا قال : فتوهنا أنه أراد النكاح فعجز

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٣ وحيون للتواريخ (غلوطة) ج ٧ ص ٢٠٩ وسيم
الأدباء ج ١٠ ص ١١ .
(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٣ .

عنه . قال : وجاء إيتاخ^(١) فقال : تخارق وعلوية وفلان وفلان من أشباههم !
بالباب . فقال له المعتصم : اغرب بئى عليك وعليهم لعنة الله . . قال :
فتبسمت إلى محمد بن عمرو ، وفهم المعتصم تبسمى فقال لى : مم تبسمت ؟
فقلت : من شئ . حضر فى ، فقال : هاته فأنشده :

أنف عن قلبك الحسزن باقتراب من الســـــــــــــــــكن
وتمتع بكر طـــــــــــــــــرر فك فى وجهه الحســـــــــــــــــن
إن فى شفاء صـــــــــــــــــد رك من لادج الحســـــــــــــــــزن

قال : فدعى بألف دينار : ألف لى وألف لمحمد ، فقلت : أشعر لى .
فما معنى الألف لمحمد بن عمرو ؟ قال : لأنه جاءنا معك . ثم أذن تخارق وعلوية
فدخلا ، فأمرهما بأن يغنيا فيه ففعلا . فما زال يعيد هذا الشعر ، ولقد قام
ليبول فسمعته يردده^(٢) .

ومن هذا الخبر نعرف براعة الحسين فى تسريته عن سيده وإزالة ألم من
نفسه . وكيف يستطيع بظرفه ولطيف شعره أن يحيل غضب المعتصم إلى بشاشة
وسرور .

وكان المعتصم يستصحب الحسين معه إذا رحل إلى أى مكان . وقد عرفنا أنه
كان معه لما خرج إلى الشام غازيا ونزل بدير مران ، وأن هذا الخبر روى
خطأ عن الرشيد . ويروى الشافى خبرا آخر على لسان عزون - وكان من ندماء
المعتصم - قال : « كنا مع المعتصم فى بعض متزهاته ، فاحتجنا أن نخوض
نهر ، وكان معنا حسين بن الضحاك ، فكأن أن يفرق . فقبض المعتصم على
عضده وحمله من السرج حتى عبر به النهر إشفافا عليه^(٣) . وهذا يدل على

(١) هو إيتاخ التركى قائد المعتصم . كان غلاما غزويا لسلام الأبرش طباخا ، فاشتراه
مته المعتصم ثم رضعه من يده الواثق ووجا إليه من أعمال السلطان أعمالا كثيرة وكان من أراد المعتصم
أو الواثق قتله فعنده كان يقتل ويده يحبس . تولى الحكم بالديار المصرية من سنة ٢٣٠ إلى
سنة ٢٣٥ - من أمر المتوكل اسحق بن إبراهيم أن يحتال فى قتله ففعل . انظر الطبرى ج ٣ ص ١٣٨٢ - ١٣٨٦

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٤ - ١٨٥ . (٣) للديارات ص ٣٦ .

مدى اهتمام المعتصم به وجهه له ، فقد أنقذه بنفسه لما رآه يفرق ، لم يسأل أحد أتباعه أن يقوم بذلك . ولم تمنعه كبرياء الخلافة من أن يتخذ نديمه وصانع البهجة في مجالسه .

ولما أراد المعتصم بناء مدينة « سر من رأى » أقطع الناس الدور بها وأعطاهم النفقات لبنائها ، ولم يقطع الحسين شيئاً . فدخل عليه فأنشده أبياتاً يشكو فيها من ذلك ويطلب منه أن يقطعه داراً كما أقطع أصحابه ، ومطلعها :
يا أمين الله لا خطــــوة لي ولقد أفردت صهي بخطــــط

فأقطعه داراً وأعطاه ألف دينار لنفقته عليها^(١) . ولا يفسر عدم إقطاع المعتصم داراً للحسين في أول الأمر إلا على أنه من قبيل النسيان .

وظلت علاقة الحسين بالمعتصم على أحسن حال . لم يحدث ما يكبرها إلا خطأ بسيط منه أغضب عليه المعتصم فأبعده عن مجلسه بعض الأيام . واختلف في تفسير هذا الغضب وفي الخطأ الذي سببه . فيروى أبو الفرج في ذلك روايتين مختلفتين ، وإن كان الذي حدث بهما واحداً وهو الصولى . ففي الرواية الأولى يحدثه عن عون بن محمد عن الحسين بن الضحاك قال : « غضب المعتصم على في شيء جرى على النيزد ، فقال : والله لأؤدبه . » وحججني أياماً .

فكبت إليه :

غضب الإمام أشد من أدبه	وقد استجرت وعذت من غضبه
أصبحت معصياً بمعصم	أنت الإله عليه في كبه
لا والذي لم يبق لي سبيها	أرجو النجاة به سوى سبيـه
مالى شنيع غير حرمته	واكل من أشنى على عطبهـه

قال : فلما قرئ عليه التفت إلى الواثق ثم قال : يمثل هذا الكلام ، يستعطف الكرام ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزال ما فى نفسى عليه . فقال له الواثق : هو حقيقة بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه . فرضى عني وأمر بإحضارى ^(١) .

وفى الرواية الثانية قال الصولى : « فحدثني الحسين بن يحيى أن هذه الأبيات إنما كتب بها إلى المعتصم لأنه بلغه عنه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يدى الواثق ، فأوصلها وشنع له . فرضى عنه وأمنه ، فظهر إليه وهجا العباس بأبيات بدأها بقوله :

خل العين وما اكتسب لا زال متقطع السب (٢) »

فأى الروایتين أحق بالتصديق ؟ إننى أميل إلى قبول الرواية الأولى لعدة أسباب ، أولها : أنها رويت عن الحسين نفسه ، وثانيها : أن الأبيات التى كتبها إلى المعتصم يسترضيه لا تحمل أية إشارة لحدوث شيء بينه وبين العباس . ولو كان قد تمنى له الخلافة لما كانت هذه الأبيات كفيلاً بمحو ذنبه ونيل العفو من المعتصم بهذه السهولة ؛ لأن مثل ذلك الذنب ليس بسيطاً عند الخلفاء وليس غفرانه بالأمر الحين . وقد قتل المعتصم العباس ابن أخيه من أجل هذه المحاولة فى الاستيلاء على السلطة . فكيف تكون معاملته لمن ينصره أو يتمنى له ذلك ؟ إنه بلا شك سيعامله أقصى معاملة ويعاقبه أشد عقاب إن لم يقتله . صحيح أننا نجد فى حديث للحسين أن المعتصم ضربه « لمودة كانت بينه وبين العباس بن المأمون ^(٣) » ولكنه لم يذكر أن هذه المودة وصلت إلى أن يتمنى له الخلافة . وثالثها : أن الحسين كما تذكر الرواية الثانية — كتب بأبياته على يدى الواثق الذى أوصلها لأبيه واستشفع له عنده . وفى هذا تناقض يدل على أن الواثق كان ولى العهد المرشح للخلافة . وأنه لا بد كان سيغضب من فعل

الحسين كما غضب أبوه ، فكيف يلجأ إليه الحسين ليشفع له ؟ وكيف يقوم الوائى بدور الشفيع ؟ من الواضح أن هذا أمر غير معقول ، وأن التناقض فيه يدل على تفتيقه . ورابعها : أن راوى الخبر الثانى كان يمكنه أن يروى الآيات التى مدح فيها العباس وتمنى له الخلافة ليؤكد صحة روايته ، قبل أن يروى آيات الحسين فى هجائه ، لأن هذه لا تدل أبداً على واقعة المدح وتمنى الخلافة ، ولا تتصل بها بسبب من الأسباب . وأى شاعر يمكنه أن يهجو العباس لما فعله تقرباً إلى المعتصم وإرضاء له . أما السبب الخامس : فيرجع إلى تجربة الحسين السابقة فى السياسة وما تركته فى نفسه من أثر عميق . فقد كاد تعصبه للأمين يودى بحياته وهو لا ينسى ما عاناه من مشقة وبلاء لمجرد امتناع المأمون عن استخدامه . فكيف يعرض نفسه مرة أخرى لخطر السياسة وبلائها ؟ وكيف ينسى إكرام المعتصم إياه واستقدامه من البصرة بعد أن كان فيها مغموراً منسياً ؟ وهو الذى عرفنا عنه الوفاء النبيل والإخلاص الجميل ، إنه ما كان لينكر فضل المعتصم عليه أو يخون معروفه الذى طوقه به . لكل هذه الأسباب أرى عدم الأخذ بالرواية الثانية وقبول الرواية الأولى .

مع الوائى :

واستمرت العلاقة الحسنة التى كانت بين الحسين والمعتصم إلى أن توفى وولى بعده ابنه الوائى ، فلما بويج بالخلافة دخل عليه الحسين معزياً فى موت أبيه ومهنتاً فأثقله قصيدته التى أولها :

ألم يرع الإسلام موت نصيره بلى حق أن يرتاع من مات ناصره

فقال الوائى : « إن كان الحسين لينطق عن حسن نية ويمدح بمأوص طوية ، ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم ، فأعجبته الآيات حتى أمر فصنعت فيها عدة ألحان ^(١) » .

ويذكر الرواة قصيدة أخرى قالها الحسين في تهينة الوائى بالخلافة :
فبروى أبو الفرج أنه لما ولى الوائى « جلس للناس ودخل إليه المهثون والشعراء
فدحوه وهتوه » ثم استأذن حسين بن الضحاك بعدهم في الإنشاد وكان من
الجلساء فرفع عن الإنشاد مع الشعراء ، فأذن له فأنشده ^(١) قصيدته التى
مطلعها :

أكأنم وجدى فما ينكم بمن لو شكوت إليه ربح

وهى أطول ما وصل إلينا من قصائد الحسين في المديح ، إذ روى أبو الفرج
وياقوت منها سبعة وعشرين بيتا ، ويبدو أنها كانت ثلاثين بيتا لأن الوائى
أمر له بعد إنشادها بثلاثين ألف درهم . وكانت العادة أن يعطيه لكل بيت
ألف درهم ، كما ذكر بعد القصيدة السابقة .

فنحن أمام قصيدتين للحسين في مدح الوائى بعد توليه الخلافة ، الأولى
لم يصل منها إلا خمسة أبيات . والثانية وصلت شبه كاملة لم يتقص منها إلا ثلاثة
أبيات إذا صح هذا التقدير . ويبدو أن الحسين أنشد قصيدته الأولى في أول
دخول له على الوائى بعد وفاة أبيه لأنه يبدو أنها بتعزيتة فيه ويواسيه في فقدته .
أما القصيدة الثانية فقد أنشدتها بعد ذلك ، وبعد أن أعدها إعدادا حسنا .

ونلاحظ في تعليق الوائى على مدح الحسين بأنه عن حسن طوية وخلوص
نية ، ما يدل على حسن رأيه فيه وحب له . كما نلاحظ في جلوس الحسين مع
الجلساء وترفعه عن الإنشاد مع الشعراء ، ما يدل على مكانته الطيبة عند الوائى
وأنه ما كان ليقبل منه ذلك في مجلسه لولا وجود هذه المكانة . وربما يكون
جلوس الحسين ليس نتيجة ترفعه عن الوقوف مع الشعراء . والإنشاد معهم
كما ذكر راوى الخبر ، وإنما هو لكبر سنه وشيخوخته ، وخاصة إذا عرفنا
أنه في السنة التى تولى فيها الوائى وهى سنة ٢٢٧ هـ ^(٢) كان الحسين قد جاوز

(١) أغاني الفار ٧ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) سيم الأنساب والأسرات الحاكمة ص ٣ .

السبعين بما يقرب من خمس سنوات . ولهذا ضمح الواثق له بالجلوس . إلا أنه مع وضع هذا السبب في اعتبارنا لا يمكننا أن ننكر ما كان للحسين في نفس الواثق من حب وإعزاز . وقد عرفنا أنه كان شقيقه لدى أبيه لما قضب عليه ، وأنه كان يذكره بخير ويدافع عنه وسنعرف من أخباره معه مدى توثق العلاقة بينهما ، وما كان يتمتع به الحسين من عطفه عليه وتقريبه إياه .

اتصلت منادمة الحسين للواثق طوال مدة خلافته . وهي وإن كانت مدة قصيرة لا تزيد على خمس سنوات ، إلا أنها كانت مليئة بليلالي اللهو ومجالس لشراب ورحلات الصيد والترهة . وقد روت المصادر عنها كثيرا من الأخبار والقصص والنوادر وأعتقد أن منادمة الحسين للواثق كانت قبل توليه الخلافة ، وأن الصلة كانت معقودة بينهما منذ كان وليا للعهد ، وقد عرفنا ذلك من أخباره مع أبيه ، ومع ذلك فلم ترد من أخبار منادته له في هذه الفترة إلا خبر واحد ، وكل ما روته المصادر هو مما حدث في أيام خلافته .

من ذلك ما يرويه أبو الفرج على لسان الحسين قال : « دخلت على لوائق ذات يوم وفي السماء لطح غيم ، فقال لي ما الرأي عندك في هذا اليوم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حكمك به وأشار إلي قبل أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصواب لا يرد وجعله في شعر لا يعارض ، فقال : وما قال ؟ فقلت ، قال :

أرى غيا تولفه جنوب وأحبه سيأتيينا به طل
فبين الرأي أن تدعسو برطل قشربه وتدعسو لي برطل

فقال : أصبنا ، ودعا بالطعام والشراب والمغنين والجلساء واصطحبنا^(١)

ويروى أيضا أن الحسين كان ليلة عند الواثق ، وقد شربوا إلى أن مضى ثلث من الليل فأمر بأن يبيت مكانه . فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون

فقال الحسين : هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها ؟ فقال : لم يمض شيء وأنا أقول الساعة ، وفكر هنية ثم قال :

و طاب يومى بقرب أشباهى	حت صبوحى فكاهة اللاهى
من قبل يوم منغص ناهى	فاستر اللهو من مكانه
مؤزر بالمجنون تباه	بابنة كرم من كف متطق
سقى لطيف مجرب داهى	يسقيك من طرفه ومن يده
حيران بين الذكور والساهى	كأسا فكأسا كأن شاربها

قال فأمر الواثق برد مجلسه كهيشته ، واصططح يومه ذلك معهم ، وقال :
نحقق قولك يا حسين ونقضى لك كل أرب وحاجة ^(١) .

وفى رواية أخرى يذكرها أبو الفرج أيضا أن هذه الأبيات قالها الحسين فى يوم دخل فيه على الواثق فى خلافة المعتصم ، فحثه على الصبوح فلم ينشط له فأنشده الأبيات السابقة فنشط الواثق وقال : إن فرصة العيش لحقيقة أن تنهز واصططح ووصل الحسين ^(٢) . ولا يكاد يكون هناك خلاف بين الروايتين إلا فى تاريخ حدوثهما ، إذ أن الأبيات قيلت فى الحث على الصبوح واللهو عند الواثق الذى استجاب لما فعقد مجلس الشراب واللهو ، وإن زادت الرواية الأولى ذكر مبيت الحسين فى قصر الواثق وأنه لما أصبح سأله إن كان قد قال شيئا فى وصف ليلتهم الماضية ، ولكن الحسين قال أبياته فيما تقتضيه الساعة من شرب الصبوح والتمتع باللهو قبل أن يدخل عليهم يومهم بموادته المنغصة وما فيه من كد الحياة وتعبها .

أ . على أن أبا الفرج يذكر هذه الأبيات فى رواية أخرى عن الحسين . قال :
« كنت عند عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع وهو مصططح وخادم

(١) أغاني الفارج ٧ ص ١٦٠ .

(٢) أغاني الفارج ٧ ص ٢٢٢ وقد ذكر أبو الفرج هذه الأبيات فى مناداة أخرى لحسين مع

عبد الله بن العباس وكره مرتين ٧ ص ١٩٠ ، ص ٢١٦ .

له يسقيه ، فقال لى يا أبا على ، قد استحسنستنى هذا الغلام فإن حضرك شئ .
فى قصبتنا هذه قفل ، فقلت (الأبيات) قال : فاستحسنه عبد الله ، وغنى
فيه لحنا مليحا وشرينا عليه بقية يومنا^(١) .

وهذه الرواية قد تشككتنا فى الرواية الأخرى مع الواثق . ولكن تفسر
ذلك أمر سهل فيمكن أن يكون الحسين قد قالها عند الواثق ، ثم أعادها عند
عبد الله لما طلب منه أن يقول شيئا وبهذا لا يكون هناك ثمة تناقض بين
الروایتين .

ووصل الحسين من الواثق إلى درجة الثقة والاطلاع على أسرار قصره ،
وما يحدث بينه وبين جواريه . فيذكرنا بما كان بينه وبين الأمين . من ذلك
ما يرويه أبو القرج على لسان الحسين قال : « كانت لى نوبة فى دار الواثق
أحضرها جلس أو لم يجلس ، فيينا أنا نائم ذات ليلة فى حجرى ، إذ جاء
خادم من خدم الحرم فقال : قم فإن أمير المؤمنين يدعوك . فقلت له :
« وما الخبر ؟ قال : كان نائما وإلى جنبه حظية له فقام وهو يظنها نائمة ،
فألم بجارية له أخرى ، ولم تكن ليلة نوبتها وعاد إلى فراشه فغضبت حظيته
وتركته حتى نام ، ثم قامت ودخلت حجرتها ، فانتبه وهو يرى أنها عنده
فلم يجدها فقال : اختلست عزيزتى ويحكم أين هى . فأخبر أنها قامت غضبى
ومضت إلى حجرتها فدعا بك ، فقلت فى طريقى :

غضبت أن زرت أخرى خلصة	فلها العنى لديننا والرضا
يا فذلكت النفس كانت هفوة	فاغفرها واصفحى عما مضى
واتركى العذل على من قاله	وانسبى جورى إلى حكم القضاء
فلقد نهتني من رقـلـتى	وعلى قلبى كثيران الغضا

قال : فلما جئته خبرنى القصة وقال لى : قل فى هذا شيئا ، ففكرت هنية
كأنى أقول شعرا ثم أنشدته الأبيات فقال : أحسنت وحياتى ، أعددا يا حسين ،

فأعدتها عليه حتى حفظها وأمر بنحسمة دينار، وقام فضى إلى الجارية وخرجت أنا إلى حجرى^(١) .

وأولا حضور بديهة الحسين واستجابة قريحته لنظم المعنى المناسب في وقته المناسب ، لما استطاع أن يحل مشكلة الواصل ولما سلم من غضبه في مثل هذا الظرف . كما أن فطنته جعلته يسأل الخادم عما حدث قبل أن يذهب إليه حتى يعد نفسه للموقف ، وتكون الفرصة أمامه أوسع . وبهذا نجح في تلبية طلبه ووقع من نفسه موقع الإعجاب .

ومن ذلك أيضا ما يرويه أبو الفرج من قول الحسين : « كان الواصل ينحطى جارية له فماتت فجزع عايلها ، وترك الشرب أياما ثم سلاها وعاد إلى حاله ، فدعاني ليلة فقال لى : يا حسين رأيت فلانة في النوم ، فليت نومي كان طال قليلا لآتمتع بلقائها فقل في هذا شيئا . فقلت :

ليت عين الدهر عنا غفلت	ورقيب الليل عنا راقدا
وأقام النوم في مدته	كالذى كان وكنا أبدا
بأبي زور تلت له	فتنفتت إليه الصعدا
بينما أضحك مسرورا به	إذ تقطعت عليه كمدا

قال : فقال لى الواصل : أحسنت ولكنك وصفت رقيب الليل فشكوته ولا ذنب لليل ، وإنما رأيت الرؤيا نهارا ، ثم عاد إلى منامه فرقد^(٢) .

وتعقيب الواصل على الأبيات بأنه رأى الرؤيا نهارا بينما يذكر الحسين رقيب الليل يرده أنه لم يحدد وقت الرؤيا قبل أن يقول الحسين أبياته . والأهم من ذلك أننا نرى مشاركة الحسين للواصل في دخائل حياته وحضور بديته لتلبية ما يطلب منه ، ولجوء الواصل إليه ليترجم له عما حدث في صورة شعرية جميلة تعيد إليه ذكرى هذا الحلم الجميل .

(١) أغاني ج ٧ ص ١٦١ وشرح لقصائد ج ٢ ص ١٨٢ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٦١ - ١٦٢ .

ويلازم الحسين الواثق في معظم أوقات فراغه وما أكثر هذا الفراغ .
وليس ملازمته في مجالس الشراب والغناء فحسب ، بل في غير ذلك من
ضروب اللهو والمتعة .

فيروى أبو الفرج أنه « كان مع الواثق بالقاطول^(١) وهو يتصيد ، فصاد
حصيدا حسنا وهو في الزو^(٢) من الأوز والدراج وطير الماء وغير ذلك ثم رجع
مفتلدا ودعا بالجلساء والمغنين وطرب ، وقال : من ينشدنا فقام الحسين
فأنشده قصيدة مطلعها :

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا وخص بسقيه مناكب قصركا

وقد أجاد في هذه القصيدة في وصف الصيد ومجلس اللهو والغناء كما أجاد
في مدح الواثق حتى طرب ، فضرب الأرض بمخصرة كانت في يده ،
وقال : لله درك يا حسين . ما أقرب قلبك من لسانك . فقال : يا أمير المؤمنين
جودك ينطق المضمم بالشعر ، والحاحد بالشكر . فقال له : لن تنصرف
إلا مسرورا ، ثم أمر له بخمسين ألف درهم^(٣) .

هكذا كان الحسين شاعره المقدم الذي يباحر بالقول سواء طلب منه ذلك
أو لم يطلب ، والمترجم عن أحوال سروره الذي يصور ألوان البهجة في براعة
وجودة لا يبدانيه فيها أحد ، فينال الإعجاب والتقدير ، ويحظى بالزوال والمال .

وقد يرتج على الحسين في بعض الأحيان ويتوقف لسانه عن قرض الشعر
تلبية لرغبة الواثق ، وله عنده في ذلك لأن ملكة الشعر لها إرادتها وحريتها ،
وقلما تخضع لإرادة الآخرين ما دامت لا توافق إرادتها . وأحيانا ما كان الحسين
يتعرض لمثل هذه المواقف العسيرة ، ولكنه كان يفلت منها ويتغلب عليها
لكثرة ما تعود منها ، ولما أوتي من قوة طبع وحضور بدية . ومن الأمثلة

(١) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة حفره الرشيد وبني على فوهته قصرا .

(٢) الزو : نوع من السفن كان منتشرا في مصر العباسية .

(٣) أغاني الدر ج ٧ ص ١٥٨ - ١٥٩ .

على ذلك ما حدث في مجلس الواثق قال للحسين : قل الساعة أيانا ملاحا
حتى أهب لك شيئا مليحا : فقال : في أي معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال أمدد
طرفك وقل فيها شئت مما ترى بين يديك وصفه ، قال الحسين : فالتفت فإذا
ببساط زهره قد فتحت أنواره وأشرف في نور الصبح ، فارتج على ساعة حتى
نحجلت وضفت ذرعا فقال لي الواثق : مالك ويحك . ألسن ترى نور
صباح ونور أقاح فانفتح القول فقلت ^(١) :

ألسن ترى الصبح قد أسفرا ومبتكر الغيث قد أمطسرا

وهي قصيدة من تسعة أبيات أظهر فيها مجونه ، وحث الواثق على الشراب
واللهو ، وتنزل في الغلام الناقى حتى إن الواثق ضحك وقال : منستعمل
كل ما قلت يا حسين إلا القسقى الذي ذكرته فلا ولا كرامة . ثم أمر بإحضار
الطعام فأكل وأكلوا معه . ثم قال : قوموا بنا إلى حانة الشط فقاموا إليها
فشرب وطرب وما ترك يومئذ أحدا من الخلساء والمعتنين والحشم إلا أمر
له بصلة . وكانت من الأيام التي سارت أخبارها وذكرت في الآفاق . قال
حسين : فلما كان من الغد غلوت إليه ، فقال : أنشدني يا حسين شيئا
إن كنت قلته في يومنا الماضي ، فقد كان حسنا فأنشدته ^(٢) :

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا عودى يوم سرور كاللى كانا

وهي قصيدة جيدة من ثمانية أبيات وصف فيها مجلس الشعراء والغناء
كما وصف الطبيعة ، وقد أعجبت الواثق فأمر له بصلة سنوية مجددة واستحسن
الصوت ، وأمر فغنى في عدة أبيات منها ^(٣) :

(١) نفسه ج ٧ ص ١٥٨ - ١٥٩ وشرح المقامات ج ١ ص ٣١٥ ومجموع لطيف
(خطوط) رقم ١٢٧٨ - ورقة ٣٤ .

(٢) ، (٣) أغاني الدر ج ٧ ص ١٩٦ وما بعدها ومساك الألبصار ج ١ ص ٣٩٤
وشرح المقامات ج ١ ص ٣١٥ ومجموع لطيف (خطوط) رقم ١٢٧٨ - ورقة ٣٤ .

ونرى الحسين في الآيات الأولى من هذه القصيدة قد رسم خطة للهو للوائى الذى أمر بتفنيها ولكن بدون ما فيها من فسق ، لأنه لا يليق بمجلس خفية ، حتى يحفظ لمجلسه شيئا من الاحترام والوقار على حد فهمهم للاحترام والوقار . قد تحدث هذه الإباحة في مجالس الحسين مع خلانته وأصحابه ممن يقاربونه في المرتبة الاجتماعية ، وسرى ذلك في سيرته معهم ، ولكن في مجالس الخليفة لا بد أن يختلف الأمر ، ولا بد أن يكون هناك حدود تقتضيها هيئة الخلافة .

وفي وقت آخر من أوقات فراغ الخليفة أو لوه نراه « يلعب الحسين بالرد ، وخاقان غلام اللوائى واقف على رأسه ، وكان اللوائى يتحفظه فجعل يلعب وينظر إليه ، ثم قال للحسين : إن قلت الساعة شعرا يشبه ما في نفسي وهبت لك ما تقترح به ، فقال الحسين :

أحبك حبا شابه بنصيحة أب لك مأمون عليك شفيق
وأقسم ما بيني وبينك قربة ولكن قلبي بالحسان علسوق

فضحك اللوائى وقال : أصبت ما في نفسي وأحسن . وصنع اللوائى فيه لحنا وأمر الحسين بألن دينار ^(١) .

وإذا أراد اللوائى أن يدعو أحد خاصته إلى منادته ، وأحب أن تكون دعوته بطريقة لطيفة تعجب المدعو وتجعله يسارع إلى تلبيةها ، فإنه يطلب من الحسين أن يكتب هذه الدعوة شعرا ، من ذلك ما يرويه أبو الفرج على لسان الحسين قال : « اعتل الفتح ^(٢) في أيام اللوائى علة صعبة

(١) أعاد الدار ج ٧ ص ٢٠١ .

(٢) هو الفتح بن خاقان وكتب أبو الفرج في تقديم هذا الخبر أن اللوائى كان يميل إليه ويأنس به وهو يومئذ غلام . وكان الفتح ذكيا جيد الطبع والظن فقال له المتصم يوما وقد دخل حل إليه خاقان عرطوج يفتح أيما أحسن دارى أو دار أبيك ؟ فقال له وهو غير متوقف وهو صبي له سبع سنين أو نحوها : دار أبى إذا كنت فيها فسيب منه وتبناه . وكان اللوائى له بهمة المتزلة ، وزاد المتوكل عليها (أغانى الدار ج ٧ ص ٢١٥) .

ثم أفاق وعوفى ، فعزم الواثق على الصبح فقال لى : يا حسين اكتب
بأبيات غنى إلى القتيح تدعوه إلى الصبح ، فكتبت إليه :

لما اصطبحت وعين اللهو ترمقنى قد لاح لى باكرا فى ثوب بلبته
ناديت فتحا وبشرت المدام به لما تخلص من مكروه علقه
ذب القتي عن حريم الراح مكreme إذا رآه امرؤ ضدا لنحنه
فاعجل إلينا وعجل بالسرور لنا وخالس الدهر فى أوقات غفلته
فلما قرأها صار إليه واصبطح معه ^(١) .

ولم تكن محبة الحسين للواثق قاصرة على مجالس انشراح والهو فحسب
بل نجد هذه المحبة فى مجالس أخرى تنسم بالجد والوقار ، من ذلك ما يذكره
ابن حنزية فى « مجلسه » أن محمد بن زياد الأعرابى دخل على الواثق وفى
مجلسه وزيره ابن خاقان والحسين ومحمد بن عمر الرومى ، فقرأ عليه القتيح
شعر طرفة فقال :

تذكرون إذ تقاتلــــــــــــــــكم إذ لا يضر معلما علمه

فقال له ابن زياد : زد فيها ألفا (أنذكرون) فقال له الحسين : قد خزم
مرة بقوله إذ لا وخزم بألف أخرى فى أوله ؟ فقال له : العرب تخزم أول
الشعر إذا احتاجت أن تصله بما قبله خزمته بالحرف والحرفين ، وقد خزمه
طرفة فى أوله وأوسطه الألف الأولى والثانية وأنشدكم شواهد من الشعر ليؤكد
بها صحة رأيه ، فأعجب ذلك أمير المؤمنين فجزاه وأمر له بعشرة آلاف درهم ^(٢) :

فهذا مجلس من مجالس العلم والأدب يشترك فيه الحسين ويبدى رأيه
كشاعر له نظرة فى الشعر ومعرفة بعروضه وعلاؤه . ولا يهمننا أن يكون رأيه
صحيحا أو خاطئا إذ أن ابن زياد الأعرابى كان من أعظم علماء عصره فى علوم
العربية وآدابها بحيث لا يقاس به أمثال الحسين . ولكن الذى يهمننا هو حضوره

(١) نفس المصدر والصفحة . وشرح المقامات ج ٢ ص ٤٢١ .

(٢) . المجالس بن خنزيه (مخطوط) ص ١٥ .

هذه المجالس العلمية الخادة ومشاركته فيها مشاركة إيجابية بالمناقشة وإبداء
الرأى ، ومعنى ذلك أنه لم يكن نديم لمو ومجون فحسب وإنما كان إلى جانب
ذلك شاعرا له مكانته فى مجلس الخليفة ورجلا له شخصيته واحترامه .

وظل الحسين فى صحبة الواصل مدة خلافته يتادمه وبجالسه ويسرى عنه
همومه ، ويبعث فى مجالسه روح البهجة والسعادة وحلاوة الترفيه والموانسة بظرفه
المهود وشجره الطريف . وكانت هذه المدة على قصرها حافلة بألوان الرفاهة
والمتمتع مليئة بضروب اللهو والعبث ، لم يكدرها شىء من مؤامرات السياسة
أو منغصات الحروب ، ولذلك نجد أن أخبار الحسين معه أكثر مما جاء له مع
خليفة آخر فى مصادر ترجمته ، ومع أن الحسين كان فى ذلك الوقت شيخا كبيرا
يزيد عمره على السبعين فإنه قد ملأ مكانه كتدبير بثقة ونجاح ، وبراعة تثير
الدهشة والإعجاب . ونال الخطوة عند الواصل تقربه وأحبه وأسبغ عليه نعمة :
وبلغ فى مجالسه مكانة طيبة ومقاما مرموقا .

مع المتوكل :

وتولى المتوكل الخلافة بعد الواصل . ولكننا لا نجد فى ترجمة الحسين ما يدل
على ذهابه إليه يهنئه ويمدحه كمعادته مع الخلفاء ، ويبدو أن شعره فى هذه
المناسبة ضاع فيما ضاع ، ولا نقول إن الحسين قد اعتزل لكبر سنه ؛ لأننا
نجد له بعد ذلك شعرا ينهى فيه المتوكل بالخلافة ويمدحه ، فلا بد أنه هنا
المتوكل ولكن خبره لم يصل إلينا كما لم يصل شعره .

ويبدو أن شيخوخة الحسين وكبر سنه التى غابت الثمانين قد أصبح حائلا
دون قدرته على المناذمة ، ولذلك لا نجد له فى مناديمه المتوكل إلا خبرا واحدا ،
إذ أحب المتوكل أن يتادمه حسين وأن يرى مايقى من شهوته لما كان عليه ،
فأحضره وقد كبر وضعف فسقاها حتى سكر . وقال لخادمه شفيع : اسقه
بمسقاها رجاء .. ردة ، وكانت على شفيع ثياب بوردة ، فد الحسين يده

إلى ذراع شفيع . فقال له المتوكل يا حسين ، أتجمش أخص خدي عندي
بحضرتي . . فكيف لو خلوت . . ما أحوجك إلى أدب وقد كان المتوكل
نمز شفيعا على العبث به ، فقال الحسين : يا سيدى أريد دواة وقرطاسا .
فأمر له بذلك فكتب بخطه :

وكالوردة الحمرء حيا بأحمر من الورد يمشى فى قراطق كالورد
له عبثات عند كل تحيية بعينه تستدعى الحليم إلى الوجد
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة تذكرنى ما قد نسبت من العهد
سقى الله دهرالم أبت فيه ليلـة خليا ولكن من حبيب على وعد

ثم دفع الرقة إلى شفيع وقال له : ادفعها إلى مولاك ، فلما قرأها استملحها
وقال : أحسنت والله يا حسين لو كان شفيع مما تجوز هبته لوهبته لك ،
ولكن يحياى إلا كنت ساقيه باقى يومه هذا واخلمه كما تخلمنى ، وأمر له
بمال كثير حل معه لما انصرف^(١) .

ويذكر أبو الفرج هذا الخبر برواية أخرى تختلف عن السابقة على لسان
محمد بن أبى عون وعلى بن الجهم قال : حضرت المتوكل وعنده محمد بن عبد الله
ابن طاهر وقد أحضر حسين بن الضحانك للمنادمة فأمر خادما واقفا على رأسه
فسقاه بتفاحة عنبر وقال لحسين ، قل فى هذا شيئا فقال :

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر وكالورد يسعى فى قراطق كالورد

وذكر بقية الآيات كالرواية السابقة .

فقال المتوكل : يحمل إلى حسين لكل بيت مائة دينار ، فالتفت إليه
محمد بن عبد الله بن طاهر كالعجب وقال : لم ذاك يا أمير المؤمنين .

(١) أغاني الدر ج ٧ ص ١٧٠ - ١٧١ وزهر الآداب ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٢
الديارات ص ٢٧ - ٢٨ وشرح المقامات ج ٢ ص ١٦٤ وبدفع البداهة ص ٩٩٢ والمقد
لفريد ج ٨ ص ٩٩ وعيون التواريخ ج ٧ ص ٦٥٩ حوادث سنة ٢٤٧ والآيات وجدها فى
مسالك الإيضاح ج ٩ ورقة ٢٩٠ وعنوان المرتصات ص ٣٥ .

فوافقه لقد أجاب فأمرع . وذكر فأوجع وأطرب فأمتع ، ولولا أن يد
أمر المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو أحاط بالطارف والثالد
فخجل المتوكل وقال : يعطى حسين بكل بيت ألف دينار ^(١) .

ونرى أن الروایتين غير متناقضتين ، بل يمكن أن نعتبر الرواية الثانية
مكملة للأولى وذلك ، بأنها زادت عليها حديث محمد بن عبد الله بن طاهر مع
المتوكل ، بينما ذكرت الأولى ما حدث من الحسين والمتوكل وشفيع بتفصيل
أبين ، وهو ما أوجزته الرواية الثانية . وكل ذلك حدث في مجلس واحد .

ويمكن أن نضيف إلى ما حدث في ذلك المجلس ما يرويه الحسين نفسه بأن
المتوكل وأحضره وأمر شفيعا بالولع به فتغاضب المتوكل عليه فقال له الحسين :
يا أمير المؤمنين : إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك ، فأعلم أن
آخر ضرب ضربته بسبك فضحك وقال : بل أحسن إليك يا حسين
وأصونك وأكرمك ^(٢) .

ولا نجد بعد ذلك أية أخبار للحسين في منادمة المتوكل ، وقد عرفنا
في حديثنا عن مولده أنه كتب قصيدة أرسلها إلى المتوكل يعتذر فيها عن علم
قدرته على منادته لضغفه وكبر سنه . وكان بعض من حضر عند المتوكل قد
قال عنه : « هو يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز
خدمتك » ^(٣) . فلما علم الحسين بهذه الوشاية كتب قصيدته التي ذكرناها
ودفعها إلى أحد بن حملون وسأله إيصالها فأوصلها إلى المتوكل وشيعها بكلام
يعنره به وقال : « لو أطاق خلعة أمير المؤمنين لكان أسعد بها . فقال
المتوكل : صدقت خذ له عشرين ألف درهم واحملها إليه » ^(٤) . فأخذها
فحملها إلى الحسين . كما ذكر الشافعي أبياتا أخرى للحسين كتبها أيضا إلى
المتوكل يستغفیه من الخلعة ^(٥) . وقد سبق ذكرها في حديثنا عن مولده .

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٧٢ ومروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩

وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١٣ الورقة ٤٥ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٣) أغاني الدار ج ٧ ص ٢٢٦ .

(٤) نفسه ص ٩٦ - ٩٨ .

(٥) الديارات ص ٣٦ .

ولم يكن انقطاع الحسين عن المتوكل انقطاعا تاما . بل كان انقطاعا عن المئامدة فصحب ، لما تقتضيه من جهد لم يعد يستطيعه الحسين في هذه السن ، فنجدته يحضر الاحتفالات التي كان المتوكل يقيمها . وقد ذكر الشاذلي حضوره الاحتفال الرائع الذي أقامه المتوكل بمناسبة إعتذار ابنه المعتز بالله بعد مولده ^(١) .

ونجد خبرا عن ذهابه إلى المتوكل ليشفع عنده لأولاد ابنه وزوجته ، فقد كان له ابن يسمى عمدا ، له أرزاق ، فأت فقطعت أرزاقه فأنشأ قصيدة يشكو فيها من هذا الظلم الذي وقع عليهم ويسأله أن يجعل أرزاق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده ، يبدوها بقوله :

إني أتيتك شافعا بولي عهد المسلمينا

فأمر المتوكل له بما سأل . فقال يشكره :

يا خير مستخلف من آل عباس اسلم وليس غلى الأيام من عباس
أحييت من أملى نضوا تعاورة تعاقب اليأس حتى مات بالياس ^(٢)

وهكذا لم يعد الحسين يتصل بالمتوكل إلا لحاجة ملحة تجبره على أن يتحمل على نفسه ويقاوم ضعفه في الذهاب إليه . وفيدنا هذا النص كذلك في معرفة شيء عن أسرته ، فقد كان له ابن وأحفاد . ولكننا لا نعرف له أبناء آخرين غيره ، لأننا لم نصادف في ترجمته أو ما روى عنه من أخبار في المصادر المختلفة ما يشير إلى ذلك .

وفي خبر آخر نعرف مكانة الحسين في نفس المتوكل ، إذ كان جالسا في صحن خلده ، وفي يده غصن آس ، وهو يتمثل بأبيات له في الغزل ، ودخل عليه علي ابن الجهم ، الذي كاد ينشق حسدا لتمثله بشعر الحسين ، فسأله المتوكل : لمن هذا الشعريا علي ؟ فقال : للحسين بن الضحاك يا سيدي

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ٢٢٢ - ٢٢٤ ومجاني الأدب ج ٤ ص ١٢٢ .

(٢) الديارات ص

فقال له : هو عندى أشعر أهل زماننا وأملحهم مذهبا وأظرفهم نمطا ، فقال على وقد زاد غيظه : فى الغزل يا مولاي ، فقال : وفى غيره وإن رغب أنفك •••••^(١) .

ولما قتل المتوكل رثاه الحسين بيتين من الشعر هما أقرب إلى الموعظة منهما إلى الرثاء فقال ^(٢) :

إن الليالى لم تحسن إلى أحسد إلا أساءت إليه بعد إحسان
أما رأيت خطوب الدهر ما فعلت بالهاشمي وبالفتح بن خاقان

وكان الحسين لم يزل يتمثل برثائه الأمين وما جره عليه من بلاء ، فلم يتعرض فى رثائه للمتوكل لغير هذا المعنى العام ، ولم يشأ أن يذكر شيئا عن تفاصيل مقتله ، لأنه يعرف أن ابنه المنتصر هو مدبر اغتياله . ولا حاجة به إلى إثارة غضبه والتعرض لبطشه •••••

كما أن كبرسته وضعفه لم يكن ليحمسه على التدخل فى تلك المشكلات السياسية العويصة بالإضافة إلى أن صلته بالمتوكل لم تكن قوية بالدرجة التى كانت عليها صلته بالأمين ، ونحن نظلمه إذا اتهمناه بعدم الوفاء لأنه لم يقف بن مقتله موقفا يمثل موقفه من مقتل الأمين أو لأنه هنا المنتصر بالخلافة ، لا رأبناه من اختلاف الظروف فى الحالتين . على أن هذه الأبيات تنسب مع غيرها فى أكثر من مصدر إلى أبى المواريث قاضى نصيبين ، فقيل بأنه رأى فى المنام آتيا فقالا له فى الليلة التى قتل فيها المتوكل ^(٣) . وفى مصادر أخرى تنسب الأبيات والخبر إلى عمرو بن شيان الحلبي ^(٤) مما يجعلنا نشك فى نسبتها للحسين .

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ١٧٠ .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٩ ط سنة ٢٨٣ هـ .

(٣) شرح المقامات ج ٢ ص ٧٢ والطبرى ج ٣ قم ٣ ط لندن . حوادث سنة ٢٤٧ هـ .

(٤) عيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٣٦٣ وعقد الجمان (مخطوط) ج ١٤ قم ١

حوادث سنة ٢٤٧ هـ .. وتاريخ بغداد ترجمة المتوكل .

مع المنتصر :

لما ولّى المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين فهناه بها وأنشده قصيدة مطلعها :

تجددت الدنيا بملك محمد فأهلا وسهلا بالزمان المحمد

ولم يصل إلينا منها إلا الأبيات الأربعة الأولى ، ويذكر أبو الفرج أن المنتصر « أظهر لإكرامه والسرور به وقال له : إن في بقائك بهاء للملك : وقد ضعفت عن الحركة فكاتبني بحاجاتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة ، ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضى بها ديننا بلغه أنه عليه » (١) :

ومن هذا الخبر نستنتج أمرين : أولهما أن الحسين كان يحظى بمكانة طيبة لدى المنتصر على الرغم من فارق السن بينهما واختلاف جيلهما ، فالحسين لم يتادمه كما نادم الخلفاء من قبله ، ولم تكن هناك صلة تربطه به ، ولعل شهرة الحسين ، ومكانته التي بلغها لدى الخلفاء السابقين هي التي جعلت المنتصر يكن له هذا التقدير . والأمر الثاني أن الحسين في أواخر حياته لم يكن غنيا بل كان فقيرا مدينا . وقد عاش طيلة حياته يرقل في النعم والبذخ . ، ونال من عطايا الخلفاء والأمراء وغيرهم المال الكثير ، ولكنه مع ذلك لم يدخر منه شيئا لأيام ضعفه وعجزه ، ونعرف من ذلك أنه كان مسرفا لا يعمل حسابا لغيره ولا ينظر إلى تكوين ثروة من هذا المال الوفير كما فعل غيره من الشعراء .

وكانت النهاية الأدبية لحياة الحسين في عصر المنتصر الذي قال فيه آخر شعر له كما يقول الرواة ، إذ رآه في موكبه وقد ركب الظهور فقال مادحا (٢) :

ألا ليت شعري أبدر بهذا	نهارا أم الملك المنتصر
إمام تضمن أثوابه	على سرجه قمرا من بشر
حي الله دولة سلطانه	يجند القضاء وجند القدر
فلا زال ما بقيت ملة	يروح بها الدهر أو يبتكر

وإذا كان الحسين قد عاش بعد المنتصر الذي لم يدم عهده أكثر من ستة شهور^(١)، فإنه لم يتصل بالخليفة المستعين الذي جاء بعده على أى وجه ، ويبدو أن ضعف الشيخوخة أقعده تماما ، فلم يعد يستطيع حركة ولا قولاً . وانتهى نشاط ذلك الشاعر النديم الذى ملأ قصور الخلفاء ومجالسهم ظرفاً وموانسة ، وعاش فى رحاب نعيمهم حياة حافلة بكل ألوان اللهو والمجون .

٥ — مع معاصريه :

كانت سيرة الحسين مع معاصريه تختلف بطبيعة الحال عن سيرته مع الخلفاء فهو فيها أكثر حرية وانطلاقاً ، ولهذا نستطيع أن نقين منها حقيقة خلقه وسلوكه وأن نعرف الكثير عن مجونه وخلاعته وحكاياته مع الغلمان والجواري كما نعرف صلته بكبار رجال الدولة من أمراء ووزراء وغيرهم ، وكيف كانت علاقته مع الشعراء ومع عامة الناس .

وتعد صلته بالأمراء والكبراء امتداداً لصلته بالخلفاء، إذ أنها تقوم أساساً على منادته لهم ، ومشاركته معهم فى طوهم ، وأهم هؤلاء فى حياته صالح ابن الرشدائى عرفنا أنه كان أول أمير اتصل به وناداه فى أيام أبيه ، وظل على صحبته زمناً طويلاً وعن طريقه دخل الحسين قصور الخلفاء .

وكان أول اختبار فى المئادة يجتازه الحسين فى مجلس صالح حين غنى بهذا الصوت :

أَنْ زُمْ أَجْمال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين

فقال له صالح : قل أنت فى هذا المعنى شيئاً ؟ فقال :

أَنْ دَب حِصاد وهل حبيب وأورق عود المهجر أنت حبيب
ليبلغ بنا هجر الحبيب مرأه هل الحب إلا عسيرة ونحيب
كأنك لم تسمع بفرقة ألفسة وغية وصل لا تراه يؤوب

(١) انظر مسمي الأتساب والامرات الحاكمة لزاميارو ص ٢ .

فأمر صالح بأن يغني فيه ^(١) . وبهذا اجتاز الحسين اختباره بنجاح وأثبت أنه أهل للمقامة الأمراء ثم الخلفاء .

واتصلت منادته لصالح بعد ذلك ومن أخبارها أنه حضر مجلسا له وكان صالح جالسا في صحن حوله نرجس في قمر طالع حسن ، وكان يهوى خادما له ، فغاضبه في تلك الليلة فتنحى عنه ، فقال للحسين : قل في مجلسنا هذا وما نحن فيه أيساتا يغني فيها عمرو بن بانة فقال الحسين أيساتا أولا :
وصف البدر حسن وجهك حتى خلط أنى وما أراك أراكسا
وطلب صالح من عمرو أن يغني فيها فتغنى فيها من ساعته ^(٢) .

وكثيرا ما يسبب السكر خروجا على حدود اللياقة والأدب ، كما رأينا في منادته للخلفاء . ومن ذلك أيضا ما حدث مع صالح ، إذ كان عنده يوما فجرى بينهما كلام على التليذ ، وقد أخذ الشراب من الحسين مأخلا قويا ، فرد على صالح ردا أنكره وتأوله على غير ما أراد ، فكتب الحسين إليه

يا بن الإمام تركتني هلا	أبكى الحياة وأندب الأملا
ما بال عينك حين تلحظني	ما إن تقسل جفونها ثقلا
لو كان لي ذنب لبحث به	كي لا يقال هجرني ملا
إن كنت أعرف زلة سلفت	فرايت ميتة واحدى هجلا

فكتب إليه صالح : قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه في وقت سكرك ، وقد رضيت عنك رضا صحيحا ، فصر إلى على أتم نشاطك ، وأكمل بساطك ، فباد إلى خلعتك ، ولكنه — كما يقول — لم يسكر عنده بعدها ^(٣) .

(١) انظر أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٤ .

(٢) انظر الخبر والأيام في أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٨ والديارات ص ٣٩ وكتاب

بنداد ص ٣٢٥ .

(٣) انظر أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٤ .

وهذه الحادثة الشاذة التي حدثت بين صالح وبين « يسر » غلام أخيه أبي عيسى نجله لا يتخرج من اطلاع الحسين عليها ، بل ويطلب منه أن ينظمها شعرا ، فيلبى طلبه ، وينظم فيها قصيدة من عشرة أبيات تعجب صالحا وتضحكه فيأمر له بجائزة سنية . ويروى أبو القرج خبرها بالتفصيل ^(١) ، ولا مجال لذكرها هنا لما فيها من فحش ظاهر . وهي تعطينا صورة واضحة لحياة هؤلاء الأمراء ، وما كان فيها من شلوذ ومجون . كما تعرفنا مدى توثق الصلة بين الحسين وصالح .

وعلى الرغم من أن الحسين كان يعشق أيضا هذا الغلام « يسر » فإننا لا نجد لهذه الحادثة أثرا في نفسه من غيرة أو غيظ ، ولعل السبب في ذلك أن عشق الغلمان يختلف في طبيعته عن عشق النساء الذي تكتنفه الغيرة والذي يترك في النفس آلا ما قاسية إذا عرف المحب بعلاقة بين محبوبته وبين شخص آخر أيا كان . أما طبيعة حب الغلمان فلا تمنع المشاركة ، لأنه حب يقوم على مجرد الإعجاب بجمال الغلام ووسامته وما يستتبع ذلك من اشتباهاته وتحظيه ، وليس في رغبة التملك والاستحواذ المنفرد كما في حب النساء ، وكل هذه أمور شاذة لا تظهر إلا في مثل هذه المجتمعات المرفهة اللاهية .

وحدث أن تنافس الحسين وصالح في حب غلام ، وقد شهر الحسين بنفسه وقضحها فيه ، واتفق معه على أن يستبيع ليشتريه ، ولكن صالحا عارضه فيه فاختلسه منه واشتراه ، وآثره الغلام بطبيعة الحال ، لأنه أمير عظيم الثراء والجاه ، ولم يقدر الحسين على الانتصاف منه ، فأنشأ مقطوعة من ستة أبيات يعبر فيها عما يعانيه هو والغلام من لوعة الحرمان ^(٢) .

ولم يحدث بين الحسين وصالح أى تباعد نتيجة لذلك ، بل ظلت العلاقة بينهما على ما هي عليه من الود والصفاء . وكانت الصلة بينهما كأحسن ما تكون الصلة بين التديم ومولاه . وقد أحبه صالح وقربه وأولاه ثقته ،

(١) انظر الخبر والشعر في أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) انظر الخبر والأبيات في أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٧ .

بل إنه لم يتخل عنه في وقت محنته إذ حاول استرضاء المأمون عليه كما عرفنا ، ولم يكن ليعرض نفسه لمثل هذا الموقف ، لولا مكانة الحسين عنده وحبه .
ونادم الحسين من أبناء الرشيد كذلك أبا عيسى وأبا أحمد . وإن كانت المصادر لم تذكر أخبارا عن منادته لأبي عيسى ، إلا أننا نستنتج ذلك من علاقته بعلامه « يسر » ، الذي يبدو أن أخباره مع الحسين غطت على أخبار مولاه ، وأصبحت هي موضع اهتمام الرواة . أما منادته لأبي أحمد فقد ورد عنها خبر فيه أن أبا أحمد مزح مع الحسين مزاحا أغضبه فجاوبه جوابا غضب منه أبو أحمد أيضا . فغضب إليه حسين من غدا فاعتذر إليه وتصل وحلف ، فأظهر قبولاً لعذره . ورأى ثقلاً في طرفه واتقباضاً عما كان يعهده منه ، فقال في ذلك (١) :

لا تعجبن للسهة صرفت وجهه الأمير فإنه بشر
وإذا نبأ بك في سريره عقد الضمير نبأ بك البصر
وواضح أن علاقة الحسين بهذين الأميرين لم تكن كعلاقته بصالح التي كانت أقوى وثقا وأشد ارتباطاً ، كما رأينا في أخباره معه .

ومن الأمراء العباسيين الذين نادهم أيضاً إبراهيم بن المهدي . وقد ذكر الرواة عنهما خبراً فيه شيء من الطرافة ، وهو أن الحسين شرب يوماً عنده وفجرت بينهما ملاحاة في أمر الدين والمذهب ، فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشراب ، فانصرف وهو غضبان فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه فكتب إليه :

نسيدي غير منسوب إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب ب فعل الضيف بالضيف
فلمسا دارت الكأس دعا بالنطع والسيف
كسنا من يشرب الخمر مع التيسين في الصيف

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ٢٠٥ . والبيان في الأدب والإنشاء ص ٨٢ ومساك الأبيصار

ولم يعد إلى منادته مدة . ثم إن إبراهيم تحمل عليه ووصله ، فعاد إلى منادته ، (١) .

ومنهم ابن شغوف الهاشمي ، وقد ذكر أبو الفرج حادثة طريفة بينه وبين إسماعق الموصلي كان الحسين طرفا فيها ، فقد اجتمع الحسين وعمرو بن بانة يوما عند ابن شغوف فاحتبسهما عنده . وكان لابن شغوف خادم حسن يقال له مقحم ، وكان عمرو بن بانة يتعشقه ويسر ذلك من ابن شغوف . فلما أكلوا ووضع التيلذ قال عمرو بن بانة للحسين : قل في مقحم أيانا أغن فيها الساعة . فقال الحسين :

وابأي مقحم لعزته قلت له إذ خلوت مكتما
تحسب بالله من يخصك بالود فما قال لا ولا نعمما

وغنى فيه عمرو ، قال : فيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسماعق الموصلي بالسباب : فقال له عمرو : اعفنا من دخوله ولا تنغص علينا يبغيضه وصلقه وقله ، فقبل ، وخرج الحاجب فاعتل على إسماعق حتى انصرف ، وأقاموا يومهم وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف . فلما أصبحوا مضى الحسين إلى إسماعق فحدثه بالحديث بنصه ، فقال إسماعق أيانا يفضح فيها ماحدث بين عمرو وبين غلام ابن شغوف وقد ضمنها يئتي الحسين السابقين .

وشاعت الأبيات في الناس وغنى فيها إسماعق أيضا فبلغت ابن شعوف فحلف ألا يدخل عمروا داره أبدا ولا يكلمه ، وقال : فضحني وشهرني وعرضني للسان إسماعق ، فسات مهاجرا له . وقال ابن أبي سعد في خبره : « إن إسماعق غنى فيها للمعتم ، فسأله عن خبرها فحدثه بالحديث ، فضحك

(١) أغاني اللدار ج ٧ ص ١٦٢ ومغاضرات الأدهاء ج ١ ص ٤٢١ مع خلاف بسيط في رواية الخبر وأشعار أولاد الخلفاء ص ٢٦ وفي ديزان أبي نواس ج ٧ ط آصاف ذكر البيت الأول ونسب الحسين محسنا خطأ نسبة لأبي نواس وفي اختيار أبي نواس لابن منظور نسبة لأبي نواس في قصة جرت له مع الأمين وأخرى مع القاسم أبي الرشيد .

وطرب وصفق ، ولم يزل يستعيد الصوت والحديث وابن شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر وقام^(١) .

وإلى جانب أن هذه القصة تعرفنا منادمة الحسين لابن شغوف الهاشمي فهي تعرفنا شيئا آخر ذا أهمية ، وهو أفضلية الحسين على إسماعيل الموصلي الذي وصفوه بالصلف والتقل ، وأنهم كانوا يفضونه ويكرهون منادمته ؛ بينما يتهافون على منادمة الحسين ويحبون مجالسته ، وإسماعيل هو التديم الذي يقارن بالحسين في منادمة الخلفاء فقد قالوا عنه « إنه قاربه في ذلك أو ساواه^(٢) » وهذه الواقعة تدلنا على أنه لم يصل إلى درجة الحسين في ظرف الشخصية وحلاوة المنادمة .

ومن رجال اللولة الذين نادمهم الحسين « الحسن بن سهل » وزير المأمون وقد عرفنا أنه قصده ومدحه وسأله أن يصلح له المأمون ويشفع له عنده ، وأن الحسن حاول ذلك ولم يفلح لما عاجله من العلة . ويبدو أن منادمة الحسين له كانت قليلة أو أنها تنحصر في الوقت الذي لحا الحسين فيه إليه من أجل هذا الأمر ، لأن الخبر الذي روى لايحكي سوى منادمة هذه الليلة التي بات الحسين فيها عنده فحسب ، ولأن الحسن لم يملكث يفتاد سوى وقت قليل حتى عاجلته الوفاة . يروى أبو الفرج في هذا الخبر أن الحسين دخل على الحسن بن سهل في فصل الخريف ، وقد جاء وسعي من المطر فرش رشا حسنا ، واليوم في أحسن منظر وأطيبه ، وهو جالس على سرير

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٧٢ - ١٧٣ وأعاد رواية هذا الخبر عن وفاة آخرين وبخلاف قليل في الألفاظ (انظر ج ١٤ ص ٥٠ - ٥١ ط مساق) وذكر رواية يدها مباشرة عن غيلان ابن شغوف ومنهم هذا للفلام واسمه حسين وكان أحسن الناس وجها قليل الكلام جميل الأخلاق يفهم قوله متوسطا وهو مع ذلك أعرب الناس وقد مشقه عمرو بن بانة وقال فيه البيهقي الذين نسبوا للحسين .

(٢) .وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٢ والمتحلل ص ٣١٩ وشرحات الذهب ج ٢ ص ١٢٢ ومروءة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ .

آبنوس وعليه قبة فوقها طارمة^(١) ديباج أصفر ، وهو يشرف على بستان
في داره وبين يديه وصائف يترددن في خدمته ، وعلى رأسه غلام كالديبة
فسلم عليه فرد السلام ، ونظر إليه كالاستنطق فأنشأ يقول :

ألست ترى ديمعة تهطل وهنا صباحك مستقبيل
فقال بلى : فقال :

و تلك المدام وقد شاقنا برويته الشادن الأكحل
فقال : صدقت . فه ، فقال :

فعاد بنا وبه سسكرة تهون مسكروه ما نسال
فسكت ، فقال :

فلاني رأيت له نظيرة تخبرني أنه يفعل
ثم قال : مه ، فقال :

وقد أشكل العيش في يومنا فيأجبنا عيشنا المشكل

فقال الحسن : العيش مشكل فما ترى ؟ فقال الحسين : مبادرة القصف
وتقريب الإلف . قال : على أن تقيم معنا وتبيت عندنا . فقال له : لك الوفاء
وعليك مثله من الشرط . قال : ما هو ؟ فقال : يكون هذا الواقف على
رأسك يسقيني . فضحك ثم قال : ذلك لك على ما فيه . ودعا بالطعام
فأكلوا وبالشراب فشرّبوا أقداحا . ولم ير الحسين الغلام ، فسأل عنه فقال
له : الساعة يجيء ، فلم يلبث أن وافاه ، فسأله أين كان ؟ فقال : كنت
في الحجام . وهو الذي حبسني عنك ، فقال الحسين لوجه :

وا بأبي أبيض في صفرة كأنه تبر على فضة

(١) الطارمة في الأصل : بيت من غشب كالقبة ، وهو أصحى والمراد به هنا سحر
وقيق من الديباج مائل به الكرسي .

(وهي مقطوعة من ستة أبيات يتنزل فيها بالغلام) فقال له الحسن :
قد عمل فيك التبيذ ، فقال : لا وحياتك . فقال : هذا شر من ذلك فقال :

أسقياني وصرفا بنت حولين قرصا
واسقيا المرهف العر يرصق الله مرهفا

(وهي قصيدة من أربعة عشر بيتا في الغزل بالغلام نفسه) فتغاضب
الغلام وقام فذهب ثم عاد فقال له : أقبل على شربك ودع الهذيان :
وناوله قلحا . وقام الحسن للحاجة ، فشرب الحسين وأعطاه الغلام نقلا
فقال : اجعل بدله قبلة ، فضحك وقال : أفعل ، هذا وقته ، فبدا له
وقال : لا أفعل ، فعاوده فأنهره ، فقال له خادم للحسن يقال له فرج :
بحياتي يا بني أسفه بما طلب ، فضحك ثم دنا منه كأنه يتاوله نقلا وتغافل
فاختلس منه قبلة ، فقال له : هي حرام عليك فقال :

وبديع الدل قصرى الغنج مره العين كحيل بالصدعج

(وهي مقطوعة من تسعة أبيات ذكر فيها ما حدث بينه وبين الغلام) :
ثم أسفر الصبح ، فانصرف الحسين وعاد من غد إلى الحسن ، فقال له :
كيف كنت في ليلتك ، وكيف كنت عند نومك ؟ فقال له : أأصف ذلك
فأرا أم نظما ؟ فقال : بل نظما ، فهو أحسن عندي فقال :

تألفت طيف غزال الحرم فواصلتي بعدما قد صرم
وما زلت أفتن من نيله بما تجتنيه بنسان الحلم
بنفسى خيال على رقبة ألم به الشوق فيما زعم

(وهي قصيدة من أربعة عشر بيتا ذكر فيها ما حدث بينه وبين الغلام
في الحلم على ما زعم) فقال له الحسن : يا حسين يا فاسق . أظن ما ادعبه
على الطيف في النوم كان في اليقظة مع الشخص نفسه ، وأصلح الأشياء أنا
بعد ما جرى أن نرفض العار عن أنفسنا بهية الغلام لك ، فحظه لا يوراك
لك فيه . فأخذه وانصرف (١) :

(١) أغاني دار ج ٧ ص ١٧٨ وما بعدها وشرح المقامات ج ١ ص ٤٢١ .

وهذا الخبر يعطينا صورة أكثر وضوحا وجلالة لمجون الحسين وخلاعته ،
وفصل القول فيما كان يحدث في هذه المجالس بين الحسين ونديمه من ناحية ،
وبينه وبين خلمه وغلما نه من ناحية أخرى ، وما يرتكبه معهم من أفعال
شاذة . وقد أثرت أن أوردته بتفاصيله ، لتقف على حقيقة الأمر ، ونعرف
ما كان يجري في قصور هذه الطبقة الأرستقراطية ، وكيف كانوا يرحبون
بالخلفاء من أمثال الحسين لينادموهم ، ويفسحوا لهم صدورهم ، ويحققوا
رغباتهم على ما فيها من مجون ظاهر وعيب فاجر .

ومن أخباره مع الحسن بن سهل أيضا أنه سأله مرة فقال له : ما عيت
بقولك :

يا خلى النرع من شجنى إنما أشكو اترمنى

قال : قد عيتك ، قال : بأى شىء ؟ قال : قلت :

منعك الميسور يوتىنى وقليل اليأس يقتلنى

فقال له أبو محمد : إنك لتضيق بالخلاعة ما أوتيتك من البراعة .^(١)
والحسن يشهد له ببراعته في الشعر ويرى خلاعته المشهورة ومجونه التهنك
مع خادمه — مما اضطره إلى أن يهبه إياه غسلا للعار — ومع ذلك فهو يحب
ويقربه ويستمتع بظرف منادته وأتس مجالسته .

وكان رجال الدولة وأعيانها يتسابقون في انظفر بمنادمة الحسين ،
ويتهافون عليه كما قلت من قبل ، ويتهزون القرص لاستدعائه إلى قصورهم
ليقضى معهم ليالى أنسهم ولهموم . ولدينا مثل يدل على ذلك ذكرته بعض
المصادر . قال الحسين : كتب إلى الحسن بن رجاء في يوم شك ، وقد أمر
الواثق بالإفطار .

فقال :

هزرتك للصبح وقد نهاني
وعندي من قيان المصير عشر
ومن أمثالهن إذا انتشينسا
فكن أنت الجواب فليس شيء
أمر المؤمنين عن الصيام
تطيب بهن عاتمة المسام
ترانا نجني ثمر الغرام
أحب إلى من حلف الكلام

قال : فوردت على رقعته ، وقد سبقه إلى محمد بن الحارث بن بسخر^١ ،
ووجه إلى بغلام نظف الوجه كان يتحناه ، ومعه ثلاثة غلظة أقران حسان
الوجوه ومعهم رقعة قد كتبها إلى كما تكتب المناشير ، وختمها في أسفلها
وكتب فيها يقول :

مر على اسم الله يا أشم—
في ثلاث من بدى الرو
فانخص الكهل إلى مو
أره العنف إذا استم—
ودع اللفظ وخاطب
واحلز الرجعة من وجـ
سكل من غصن الحسين
م إلى دار حـ—
لاك يا قرة عيـ—
هي وطالبسه بسدين
به يغمز الحاجبين
سهك في خفي حسن

قال : فضيت معهم ، وكتبت إلى الحسن بن رجاء جواب رقعته :

دعوت إلى ممالحة الصيام
ولوسبق الرسول لكان سعي
وإا شوق إليك بدون شوق
ولكن حل في ثمر عصف
حسين ، فاستباح له حربا
وأظهر نحوه وسطا وأبدى
وإعمال الملامى والمسام
إليك ينوب عن طول الكلام
إلى ثمر الصابي والغرام
بغشور عمل المستام
بطرف باعث سب الحمام
فظاظنته بترك السلام

(١) هو من المعتزتين المشهورين وقد لزم الروائع (انظر ترجمته في أغاني الدار ج ١٢)

وأزعجني بألفاظ غلاظ وقد أعطيه طرفي زماسي
ولو خالفته لم يخش قسلي وقعتي سريعا بالحسام (١)

وقد عرف ابن بسخر الطريقة التي يجذب بها الحسين وهي لإرسال
الغلة الملاح مع كتابه ، لأن تأثيرهم على الحسين هو السبب المباشر في
اختياره الذهاب معهم .

ومع أن ابن بسخر قد تعرض من قبل لسخرية الحسين في أحد مجالس
المتصم فإنه قد أخذها على محمل المزاح ، ولم ينس ظوفه الذي تحتل معه
كل سخرية فدعاه إلى منادته وألح في ذلك . وقصة هذه السخرية كما يرونها
أبو الفرج أن ابن بسخر كان لا يرى الصبوح ولا يؤثر على الغبوق شيئا ،
ويحتج بأن من خلد الخلفاء كان اصطباحه استخفافا بالخدمة ، لأنه لا يأمن
أن يدعى على غفلة والغبوق يؤمنه من ذلك ، وكان المتصم يحب الصبوح ،
فكان يلقب ابن بسخر الغبوق ، فإذا حضر مجلس المتصم مع المغنين من
الصبوح وجمع له مثل ما يشرب نظراؤه ، فإذا كان الغبوق سقاها إياه جملة
غيظا عليه ، فيضج من ذلك ، ويسأل أن يترك حتى يشرب مع الندماء إذا
حضروا فيمنه ذلك . فقال فيه الحسين وفي حاتم الريش الضراط وكان
من المضحكين :

حب أبي جعفر للغبوق كقبحك يا حاتم مقبلا
فلا ذاك يملئ في فعله وحقك في الناس أن تقتلا
وأشبه شيء بما اختساره ضراطك دون الخلا في الملا (٢)

ومن تادمهم الحسين كذلك من الأعيان عبد الله بن العباس بن الفضل
ابن الربيع ، وإن كانت الأبيات التي قالها في منادته وفي غلامه قد ذكرت
في منادمة له مع الوائلي ، فإن ذلك - كما قلت آنفا - لا يشككتنا في حدوث

(١) انظر الخبر والأبيات أغاني الدار ج ٧ ص ٢٠٠-٢٠١ وقصود الجاني ص ٧٧-٧٨

مع نقص بعض الأبيات والديارات ص ٤٠ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

هذه المتأدمة ، لأن الحسين يمكن أن يكون قد أعاد قوله في مجلس الواثق عندما طلب منه عبد الله أن يقول شيئا في مجلسه . والذي يهمننا الآن أن نعرف أن عبد الله بن العباس هذا كان ممن حظوا بمأدمة الحسين .

ومنهم كذلك أبو كامل المهندس ، فروى أحد من حضروا مجلس متأدمتهم أن الحسين رأى خادما فاستحسنه وأعجبه ، فقال له بعض أصحابه : أتعبه ؟ قال نعم واه ، قال فأعلمه ، قال : هو أعلم بحبي له مني به ثم قال (١) :

عالم بحبيبه مطرق من التيه
وهي مقطوعة من سبعة أبيات يتنزل فيها بالغلام :

ونلاحظ أن أغلب أخبار متأدّماته تدور على الغزل في الغلمان والحديث عن الخمر والمجون ، وأن الحسين كان يطلب منه ذلك إذا لم يبادر هو بالقول ، فما من مجلس إلا وله فيه مغازلة للساق أو الخادم ومداعبته وتجميشه واشتهر الحسين بذلك ورويت عنه قصص عديدة :

والغلام الذي تردد اسمه كثيرا في أخبار الحسين وفي شعره وهو « يسر » خادم أبي عيسى بن الرشيد ، وقد عرفنا طرفا من أخباره مع صالح بن الرشيد والحسين . وهنا نذكر بقية أخباره مع الحسين لنقف على مدى علاقتهما وما طرأ عليها من أحداث .

من ذلك أن الحسين خرج يوما إلى القفص ليشتره ومعه جماعة من إخوانه الظرفاء ، وبلغ يسرا خروجه ، فشد في وسطه خنجرًا وخرج إليه فجاءه وهو على غفلة ، فسربه حسين وتلقاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان . فلما سكر أحشاه حسين فأخرج خنجره عليه وعربد ، فأمسك حسين وعاد إلى شرا به ، ونظم قصيدة من أحد عشر بيتا يذكر فيها هذه الحادثة ويتنزل فيه (٢) :

(١) أغاني للدار ج ٧ ص ١٨٥ .

(٢) انظر الخبر والأبيات في أغاني للدار ج ٧ ص ١٩٠ - ١٩١ .

ومن ذلك أيضا أن يسرا جاءه يوماً وعنده بعض أصحابه فأخذوا يتحدثون ملياً ، ثم غار له حسين ، فقال له يسر : إياك والتمرض لى واربغ نفسك ؛ فنظم قصيدة من ثلاثة عشر بيتاً يشكو فيها من غدره به ، ويذكره بأهام المودة والأكس التي كانت بينهما^(١).

ومن أخباره معه أنهما اتفقا مرة عند بعض إخوانهما وشربا ، وكان ذلك في العشر الأواخر من شعبان فقال حسين ليسر : ياسيدى قد هجم الصوم علينا ففضل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك ، فقال له : قد سكرت وأخشى أن يبدو لك ، فحلف له يسر أنه نبي ، فلما كان من من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء . فجدد الوعد وأنكره ، فكتب إليه قصيدة من عشرة أبيات يابو فيها لوما شديدا على إخلاف وعده^(٢). وكان لهذه القصيدة أثرها في نفس يسر فاستجاب له . واجتمعا قبل الصوم في بستان لمولاه وتما سرورهما ، وقضيا أوطارهما إلى الليل ، فنظم في ذلك مقطوعة من أربعة أبيات^(٣).

وكان يسر يسأله أن يقول شعرا في مجالس لمولاه وعلاقات عشقهما ، من ذلك هذه القصيدة الطويلة التي يذكر فيها يومه معه بالقفص ، وما تمتعا به من فنون اللهو والمجون وهي التي يملؤها بقوله^(٤) :

تيسرى للمام من أمم ولا تراعى حماسة الحرم

وخين نستعيد ذكر الحادثة التي حدثت بين يسر وبين صالح بن الرشيد ، نجد أنه قد ترتب عليها حجر شديد على يسر ، إذ أمر مولاه أبو عيسى أن يحجب كما تحجب النساء ، وألا يخرج عن داره إلا ومعه حافظ له موكل

(١) انظر الخبر والأبيات في أغاني الدار ج ٧ ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٢) انظر الخبر والأبيات في أغاني الدار ج ٧ ص ٢١٦ - ٢١٧ .

(٣) انظر الخبر والأبيات في أغاني الدار ج ٧ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٤) انظر الخبر والأبيات في أغاني الدار ج ٧ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

به . وأغاظ ذلك الحسين ، لأنه حرم من لقاء معشوقه ، فنظم مقطوعة من
من ستة أبيات يشكو فيها من هذه الحال ، ويعبر عن لوعته وحرمانه ^(١) .

ونرى في أغلب هذه الأخبار أن يسرا كان يتمنع كثيرا على الحسين
ولا يلبي طلبه ، فيثير بذلك في نفسه لوعة الشوق وحرقة الهوى وعذاب
الحرمان ، وينطلق لسانه معبرا عن هذه المعاني ، ولعل سبب تمنع يسر عليه
يرجع إلى ما عرف عن الحسين من عريضة وخصوصا إذا سكر ، فبأني
لأفلا قد لا تعجب يسرا وقد تفيظه فبرده ردا عنيفا . ولكن هذه الحال
من التباعد بينهما والخصام لم تكن تدوم كثيرا ولا يلبثان أن يعودا إلى الود ؛
وقد يتدخل أحد في الصلح بينهما ، كما يروى أبو الفرج على لسان أبي نواس
قال : « قال لي حسين بن الضحاك يوما : يا أبا علي ، أما ترى غضب يسر
علي . . فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حال أردتها منه فنحنيتها
فغضبت ، فأسألك أن تصلح بيني وبينه . فقلت : وما تحب أن أبلغه عنك :
قال تقول له :

محرمة السكر وما كانا عزمنا أن تقتل إنسانا
أخاف أن تهجرني صاحبا بعد سروري بك مسكرانا
إن بقلبي روعة كلما أضمر لي قلبك هجرانا
يا ليت ظني أبدا كاذب فإنه يصدق أحيانا
قال : فقلت له ويحك . . أتجتنبه وتريد أن ترضاه وترسل إليه بمثل
هذه الرسالة . . فقال لي : أنا أعرف به ، وهو كثير التبدل ، فأبلغه ما سألتك
فأبلغته فرضى عنه وأصلحت بينهما ^(٢) .

ونجد حادثة أخرى ذات أهمية حدثت للحسين مع غلام لأبي عيسى
ابن الرشيد ، ولكن راوى الخبر لم يحدد اسمه . وذكر في روايته أن الحسين

(١) انظر الخبر والأبيات في أغاني الدار ج ٧ ص ٢٢٠ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

كان يميل إليه ، وأنه عبث به يوما على سكر ، فأخذ قنينة فضرب بها رأسه فشجه شجة منكرة ، وشاع خبره وتوجع له إخوانه ، وعولج منها مدة ، فجفا الخادم وأطرحه وأبغضه ولم يعرض له بعدها . فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبث به الخادم وغازله فلما أكثر ذلك قال له الحسين :

تعز يباس عن هـ وای فإننى إذا انصرفت نفسى فهبات عزردى
إذا ختم بالغيث ودى فالسكم تدلون إدلال المقيم على العهد
ولى منك بد فاجتنبى مذمما وإن خلت أنى ليسلى منك من بد^(١)

وأغلب الظن أن هذا الغلام هو يسر . لأنه ذكر أن الحسين كان يميل إليه ولم تعرف في أخباره غلاما آخر لأبي عيسى كان يميل إليه غير يسر ، ونجد في أبيات أخرى من القصيدة — لم يذكرها أبو الفرج — ما يدل على أنها موجهة إلى شخص كان محبوبا جدا لديه وفيها يقول^(٢) :

هويتكم جهدى وزدت على الجهد ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فإن أمس فيكم زاهدا بعد رغبة فبعد اختيار كان فى وصلكم زهدى

ويسر هو الذى كانت له هذه الميزة عند الحسين ، وهو الذى يوجه إليه مثل هذا العتاب ، كما أنه هو الذى كان يعامل الحسين هذه المعاملة العنيفة ، وقد عرفنا حادثة تهديده إياه بالخنجر ، فليس غريبا أن تحدث منه هذه الحادثة .

على أنه برغم ما كان يحدث من يسر ، فإن الحسين لم يكن يفتأ يذكره ويفضله على من سواه ، يسأله أبو نواس عنه يوما فيجيبه بأن قلبه كاد يسلو عنه وعن حبه ، ثم يخلل عليهما غلام كان يمشقه أبو نواس ، فينشد الحسين أبياتا يتغزل فيه ويستحسنها أبو نواس ، ولكن تحدث بينهما ملاحظة في أمر

(١) أغاني لدار ج ٧ ص ١٩٤ .

(٢) القصيدة في الموشى ص ١١٤ وأبيات منها في الزهرة ص ١٥٤ وعيون التواريخ

(مخطوط) ج ٧ ص ٧١١ حوادث سنة ٢٥٠ ومسالك الانصار (مخطوط) ج ٩ ص ٢٩١ .

غلاميهما ، فيقول له الحسين : « وافقه للنعل التي يطلأ عليها يسر أحسن عندي من صاحبك ومن القمر ومن كل ما أنتم فيه » (١) .

وهكذا كانت علاقة الحسين بيسر تتراوح بين الرضا والغضب ، يسودها الود والوثاق أحيانا ، والمجر والخصام أحيانا أخرى ، ويسجل الحسين هذه الحالات المختلفة في شعره كما تسجلها أخباره .

ولم يكن يسرهو الغلام الوحيد في حياة الحسين ، ولكنه كان أكثر الغلمان شهرة في حياته ، وقد عشق الحسين غلمة كثيرين وتغزل فيهم ، ولم يكن يغلو مجلس من مجالس منادته من مغازلة غلام كما رأينا .

ومن الغلمان الذين تغزل فيهم وذكر اسمه في شعره غلام اسمه رزق كان له لويه المغني ، فقد قال فيه الحسين : (٢)

يا ليت رزقا كان من رزقي يا ليتني حظي من الخلق
يا شادانا ما كنت رقي فامت أرجو راحة العنق

وإن كنا لا نعرف أخبارا له معه كما عرفنا عن يسر ، فإننا لا نستبعد أن يكون له فيه شعر آخر لم يصل إلينا أو لم يسمه فيه . ومن أخباره مع الغلمان أيضا ما عرفناه من تهشقه لغلام الحسن بن سهل وغلام ابن شغوف وغيرهما .

وظل الحسين على عادته في عشق الغلمان والتغزل فيهم حتى كبر وأسن : وقد عرفنا خبره مع شفيع خادم المتوكل ، وكان في ذلك الوقت قد زاد على الثمانين . ولا نقول إنه تغزل في شفيع وهو في مجلس المتوكل لينال إعجاب الحاضرين ، ويثبت أنه ما زال شاعرا غزلا برغم شيخوخته وكفى ، ولكننا نقول إنه أعجب بشفيع فعلا وتأت نفسه إليه ، وتمنى لو عاد إليه شبابه ليهشقه ويستمتع بجماله . وهذا ما يوضحه لنا شعره فيه بعد انصرافه من مجلس المتوكل : (٣)

(١) انظر الخبر . والأبيات بالتفصيل في أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٩ .

(٢) الأغاني ج ١٤ ص ٥٢ ط ساس .

(٣) انظر أغاني الدار . ج ٧ ص ١٧١ ، ٢٢٣ .

ونترك الحديث عن علاقته بالعلماء لتحدث عن علاقته بالحواري :
والواقع أن أخباره معهن تبدو قليلة جدا بالنسبة لأخباره مع العلماء ، فإن
ما ذكرته المصادر في ذلك لا يزيد على خبرين أو ثلاثة : أحدهما أن الحسين
كان يهوى جارية لأم جعفر وكانت من أجمل الحواري ، وكان لها صديقان
معقربان . وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له : ما قلت فينا ؟ أنشدنا من
شيثنا ، فيخرج إليها الصحيفة . فشكا ذلك إلى عاصم الغساني الذي كان يمدح
سلم الحاسر ، وكان مكينا عند أم جعفر ولكنه لم يستطع أن يحقق رغبته فوجه
إليه بالث دينار وقال : خذ هذا الألف ، فقد جهدت الجهد كله فيها فلم
تمكني حيلة ، فنظم الحسين في ذلك قصيدة من تسعة أبيات يتنزل فيها ويشكو
عذاب حرمانه منها ، ويذكر وساطة عاصم في أمرها ^(١) ولم نعرفنا أخباره
ما تم في هذه القصة بعد ذلك .

أما الخبر الثاني فهو عن جارية مغنية كانت تألفه اسمها فتن ، وكان يميل
إليها ويستملحها ، وكانت تنجي إليه دائما ومعها خادم مولاتها يحفظها يسمى
بجحبا ، وكان بغضا شرس الخلق حتى إن الحسين كان يتوقاه ، وحدث أن
مرض نجح هذا فجاءته ومعها غيره ففرح بها كثيرا وقضى معها ليلة غرامية
بها في شهره . ^(٢)

ولا نجد غير ذلك من أخبار له مع الحواري سوى ما يذكره في قصيدة
له يحكى أحداث ليلة ماجنة قضاها مع إحدىهن . ^(٣) والذي يهمننا من هذه
القصيدة أنه يفضل فيها الجزرية على الغلام ، ويذم ذكوره وما لها من صفات
لا تعجبه برغم ما عرفناه عن غزله الكثير في العلماء وعشقه لهم ، ولعل
السبب في ذلك هو كثرة مجالس المتاعمة التي كان يحضرها ، وكثرة
ما يصادفه فيها من غلمان ، ثم إن سادة هذه المجالس قد يسمحون له بمغازلة
الغلام وتجميشه ، ولا يسمحون له بذلك مع الجارية ، ولذا ذاعت أخباره
وأشعاره في العلماء وتثقلها الناس وكأنها أمور مشاعة لا يتكرها المجتمع .

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ٢٠٩ والقصيدة في الكامل للبهراني ص ٤٢٩ .

(٢) انظر الخبر والقصيدة في أغاني الدار ج ٧ ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٣) انظر أغاني الدار ج ٧ ص ٢٢١ .

أما علاقته بالجوارى فكانت خاصة به ولا يسمع بها في مجالس المنادمة إلا قليلا ، وإذا أراد أن يجتمع بمحبوبته فضل أن يكون ذلك على انفراد وبطريقة تكتنفها السرية والكمائن . ثم له بعد ذلك أن يذيع ما يحلو له مما حدث ، ومع ذلك لم تكن له الحرية الكاملة في إعلان القول سببا إذا كانت الجارية تخص خليفة أو شخصية لها خطرها ، عند ذلك كان يخشى غضب سيدها عليه وما قد يجره ذلك من بلاء . وكل هذه القيود لا توجد بالنسبة للغلمان ؟ ولذا ذاع غزله وعلاقاته بهم على ما فيها من شلوذ ، وكان الناس يجدون فيها متفسا لهم من القيود التي تفرض على العلاقات مع النساء .

بعد ذلك نعرض لعلاقة الحسين مع الشعراء المعاصرين له ، ونجدها في معظمها علاقة لمه ومجون أو هي صورة لطبيعة حياتهم ، فيها كثير من المجون والمزول وقليل من الجد .

وأصلق صورة لهذه العلاقة ذلك الاجتماع الذي ضم عددا منهم في مجلس على الصراة ^(١) وهم داود بن رزبن الواسطي والحسين ^(٢) الخليل والفضل الرقاشي وعمرو الوراق ، والحسين الخياط وعنان جارية الناطقي وعلى بن الخليل الكوفي وإسماعيل القراطيسي ورزبن الكلبي - ومعهم أبو نواس ، فتناشوا أشعارهم وأشعار غيرهم ، حتى إذا كان الظهر وأرادوا الانصراف قالوا أين نحن الشبية ؟ فكل قال عندي فقال أبو نواس : فليل كل واحد منا شعرا ^(٣) ، وأخذ كل منهم يوجه دعوته إلى الآخرين في أبيات قليلة بين ثلاثة وخمسة ويرغبهم في الاجتماع عنده بما يتوفر في منزله من عوامل اللهو المختلفة ودواعي الأتس والمتعة والطرب واللذة ، ولا أدل على توضيح ذلك من

(١) الصراة كقناة نهر بالعراق .

(٢) ذكر في النص الحسن وفيه تصحيف واضح .

(٣) حكمة ديوان أبي نواس ص ٣٨ ط آصاف ، ص ٦٠ ط فاغر ومخطوط الأثرية (هاجم ١٦٦ م) ص ١١٩ وما بعدها ، وتاريخ ابن صاكر ج ٤ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ مع حذف بعض الأشخاص ، والهاشم والأضداد ص ١٩٥ وأخبار أبي نواس لابن منظور ص ١٣٠ أخبار أبي نواس لابن هنان ص ٧٨ وما بعدها .

ذكر أمثلة من أقوال بعضهم حتى تكون الصورة أمامنا أكثر وضوحاً وجلاءً :
فمن قول داود بن رزين :

قوما لمنزل لحو	وظل بيت كنسين
فيه من الورد والسر	جس والياسمين
وريج منك ذكى	وفائح المرزجسون
وقينة ذات غنج	و ذات عقل رصين
تشدو بكل ظريف	من عكم بن رزين

وفال الخليل :

إلى الخليل ققوموا	إلى شراب الخليل
إلى شراب للبد	وأكل جدى رضيع
ونيل أحوى رخيم	بالخندريس صريع
في روضة جادها صو	ب غاديات الريع
قوموا تسالوا وشيكا	منسسال كل ربيع

وقال إسماعيل القرايطى :

ألا قوموا جماعات	إلى بيت القرايطى
فقد هيا لنا عمرو	ضلاما أمردا طومى
وقد هيا الى جاءت	لنا من أرض بلقيس
وقينات من الحور	كأمثال الطاووس

وهكذا أخذ كل منهم يصوغ دعوته حتى انتهوا جميعاً ، ولم يفلح أحدهم في التغلب على الآخرين عند ذلك قام أبو نواس وأعان الذهب إلى مكان يجاهد ما داموا لم يصفقوا على الذهب إلى بيت أحدهم . فقال :

ألا قوموا إلى السكرخ	إلى منزل خسار
إلى صهباء كالمسك	إلى جـوـة عطار

وبسبب ما به نخل له زهر بأشجار
فإن أحيتهم سبوا أتيناكم بمزمار (١)

تلك صورة من حياتهم كثيرا ما كانت تتكرر ، وكثيرا ما كانت
تجمعهم مجالس الشراب واللهو والخبون . أو يخرجون إلى الديار والمنتزهات
الجميلة يستمتعون فيها بجمال الطبيعة بين مروجها الخضراء وبساتينها القيعاء ،
وقد ذكرت بعض المصادر أن أبا نواس ، ومسلم بن الوليد الصريح والحسين
ابن الضحاك الخليل ، والعباس بن الأحنف ، خرجوا إلى منزله ، ومعهم
يحيى بن معاذ ، فأدركتهم صلاة المغرب ، فقدموا ابن معاذ للصلاة فنتى
الحمد وأرتج عليه في قل هو الله أحد فقطعوا الصلاة ثم تعاطوا القول فيه
فقال أبو نواس :

أكثر يحيى غلطا في قل هو الله أحد

فقال مسلم بن الوليد :

قام طويلا ساهيا حتى إذا أعيا بمجد

فقال العباس بن الأحنف :

يزحر في محرابه زحير جبلى بولبد

فقال الحسين الخليل :

كأنما لسانه شد بجبل من مسد (٢)

هذه واقعة تبين روحهم المازلة اللاهية حتى أشد الأوقات جلا وهو
وقت الصلاة فلم يكذب يخطئ إمامهم حتى خرجوا عن صلاتهم وأخلوا

(١) انظر المصادر السابقة .

(٢) ينادى للدلالة من ١٢٢ والصدء ج ١ ص ٢٢٤ وديوان مسلم بن الوليد ص ٢٧١
وقد ذكرنا أن الذي كان معهم هو يحيى بن الملح وبادلا بين يحيى للعباس ومسلم (ومقدمة ديوان
أبي نواس ص ٧ ط آصاف ولم ينسب البيت للحسين ، وفي القفر ص ١٧٤ بيت الحسين هو يزحر
في محرابه وبيت مسلم هو : كأنما لسانه . وبيت العباس هو قام طويلا)

يقتلدون بخطه ويتسابقون في التهم به بهذه الآيات المأزاة اهازلة . وقد شغلوا عن الصلاة كل الانشغال، وكانت لا تهمهم بقدر ما تهمهم هذه النادرة للضحكة وقد وجدوا فيها فرصة لعرض براعهم في التسخيرية والتكتيك والتعير عن روحهم اللاهية العابتة .

ومن أخبار هؤلاء الشعراء ما رواه ابن المنذر : أن أبا نواس ومسلم بن الحويدة والحليخ وجماعة من الشعراء اجتمعوا في مجلس ، فقال بعضهم : أيكم يأتي بيت شعر فيه آية من القرآن وله حكمة ؟ فأخذوا يفكرون فيه ، فبادر أبو نواس فقال :

وفتية في مجلس وجوههم ويحانهم قد أمنوا الثقيل
دانية عليهم ظلالهم — وذالت قطوفها تذيلا

فتمجبوا وأضحوا ولم يأت أحد منهم بشيء . (١)

وكانت هذه العلاقات الجماعية بين الشعراء أمرا طبيعيا في ذلك العصر ، لأن حياتهم كانت فراغا لا شاغل فيها ، ولا أعمال يؤدونها أو يسألون عنها إلا قليلا ، لذلك كثرت اجتماعاتهم ومجالسهم سواء للهو أو لراحة أو لمناقشات ومناظرات أدبية ، وما ذكرنا من أمثلة ليس إلا دليلا على وجود هذه الظاهرة بل وشيوعها .

أما العلاقات الخاصة بين الحسين وبين بعضهم فنجد في «قلمها علاقة بابي نواس ، تلك العلاقة التي نشأت منذ الصغر كما عرفنا واستمرت زمنا طويلا ، حتى قطعها موت أبي نواس قبل الحسين بسنين كثيرة . وقد عمرت سنين محبتهما بكثير من القصص والثرادر الطريفة ، عرفنا منها قصة جبة الخنزير (٢) التي حدثت بالبصرة في أيام شبابهما الأول ، وعرفنا كيف تلخل أبو نواس

(١) انظر طبقات الشعراء ص ٢٠٧ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٢ وطبقات الشعراء ص ٢٦٩ وديوان الماتى ج ٢ ص ٢٢٥ . وتاريخ ابن صاكر ج ٤ ص ٢٩٨ والجليس والآهس (مخطوط) ورقة ٢٨ .

ليصلح بين الحسين ويسر بعد أن طالب منه الحسين ذلك ، وعرفنا ملاحظتهما في غلاميهما وكيف ثار الحسين مفضلا غلامه على كل شيء مع ما كان بينهما من خصام . وحدث بينهما غير ذلك أمور كثيرة تتعلق بالشعر ، فكانا يتناشدا أشعارهما ويتلاحيان في أيهما أفضل ويصل بهما الأمر إلى أن يحتكما إلى أحد الثمراء أو العلماء الدارسين الشعر والأدب ليحكم بينهما ، من ذلك ما يرويه أبو الفرج أنهما حججا فجمعهما الموسم فتناشدا قصيدتهما :

قول أبي نواس :

دع عنك لومي فإن اللوم لغراء وداوني بالتي كانت هي اللاء

وقصيدة حسين :

بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الإبل والشاء

فتنازعا أيهما أشعر قصيدته ، فقال أبو نواس : هذا ابن مناذر حاضر الموسم وهو بيني وبينك ، فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ، فقال ابن مناذر ما أحسب أن أحدا يجيء بمثل هذا وهم بتفضيئه ، فقال له الحسين : لا تمجلى حتى تسمع ، فقال : هات ، فأنشده قصيدته . . . حتى انتهى إلى قوله :

فضت خواتمها في نعت واصفها عن مثل رفرقة في جفن مرها

فقال له ابن مناذر : حسبك قد استغنيت عن أن تزيد شيئا والله لو لم تقل في دهرك كله غير هذا البيت لفضلتك على سائر من وصف الحمر ، قم فأنت أشعر وقصيدتك أفضل . فحكم له وقام أبو نواس متكبرا .^(١)

وفي أخبار أخرى نجد أبا نواس يشير على معاني الحنين في الحمر ويغنيها بإعادة نظمها في شعره أو بنسبها لنفسه ، مما كان يثير الحنين فيسيه ويتمه بالمصالحات والسرقة وأبو نواس يضحك منه ويسر لإثارته ، ومن أمثلة ذلك أن

الحسين : « لى أبا نواس عند باب أم جعفر من الجانب الغربى ، فأنشده قصيدته التى مطلعها :

أخوى حى على الصبوح صباحا هيا ولا تعدا النديم رواحا

فلما كان بعد أيام لقيه أبو نواس فى ذلك الموضع فأنشده قصيدته التى مطلعها :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صباحا

فقال له الحسين : « حسن يابن الزانية .. أفضلها ؟ » فقال : « دع هذا عك فراقه لا قلت فى الخمر شيئا وأنا حى إلا نسب لى » .^(١)

وفى مرة أخرى أنشد الحسين أبا نواس قصيدته التى يقول فيها :

كأنما نصب كأسه قمر يكرع فى بعض أنجم الفلك

فأنشده أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عب فيها شارب القوم خاتمه يقبل فى داج من الليل كوكبا

فقال له الحسين : يا أبا على هذه مصداقته ، فقال له : أتظن أنه يروى لك فى الخمر معنى جيد وأنا حى » .^(٢)

والذى يهمنى الآن هو أن تعرف مدى أثر هذه المنازعات على العلاقة بينهما . وتأخذنا الدهشة حين نجد أن كل ذلك لم يكن يؤثر على صحبتهما أو يفسدهما ولم نجد فى أخبارهما ما يشير إلى أى تباعد أو تباعد بينهما ، حتى وصفهما الدكتور طه حسين بلين الخلق لما كان يجمع بينهما من حسن العشرة . ومن الإخاء فى الأدب واللو^(٣) ويبدو أنهما كانا يأخذان هذه الأمور مأخذ المازحة فلا يدعاهما ترك فى نفسيهما شيئا من الحسد والحقد ، أو تؤدى إلى أن تقع بينهما العداوة ، والبغضاء . وأقوى شاهد على ذلك

(١) نفسه ص ١٦٢ . (٢) نفسه ص ١٥٥ .

(٣) حديث الأربعماء ج ٢ ص ١٨١ .

أنهما لم يتهاجيا كما يحدث عادة بين الشعراء في مثل هذه الحالات ، بل ظلت العلاقة بينهما طيبة ، وظلت مجالس اللهو تجمعهما كما عرفنا ، وكان الحياة في نظرهما لاتتسع لشيء من العناء والحقد ، وأنه لا يمكن فيها إلا للهو والمتعة ، والشراب واللذة ، والسرور والطرب ، وما إلى ذلك من ألوان العبث والمجون والحلاعة . فكيف يفسدان حياتهما المليئة بهذه اللذات ؟ وكيف يتركان هذه المنازعات والمهاترات تصعب عليهما مباهاجها ومسراتها ؟ لإنهما قد اختارا الفلسفة السهلة ، والطريق الأفضل والمعاملة اللينة فكسبا متعة الحياة وحسن الصحبة وطيب العشرة .

وكما وجدنا بينهما هذه المنازعات نجد كذلك بعض المحاملات . فقد التقيا مرة فقال أبو نواس : أنت أشعر أهل زمانك في الغزل ، وذكر له الأبيات التي ينسب عليها قوله ، فقال الحسين « ويحك يا أبا نواس فأنت لاتفارق مذهبك في الحمر البتة ، قال : لا والله ، وبذلك فضلتك وفضلت الناس جميعا » (١) .

ونلاحظ أن الحسين لم يعلق على كلمة أبي نواس الأخيرة بتفضيل نفسه عليه وعلى جميع الناس ولم يبد شيئا من الغيرة أو الغيظ ، وكأنه يسلم لأبي نواس بهذه الأفضلية أو كأنه لم يهتم بما قال فلم يشغل نفسه بالرد عليه .

ولما مات أبو نواس رثاه الحسين بيتين من الشعر كتبهما على قبره وهما : (٢) .

كابرنيك الزمان يا حسن فخاب مهمل وأطاح الزمن
ليتك إذ لم تكن بقيت لنا لم تبق روح يحوطها بدن

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٧٤ .

(٢) قسه ج ٧ ص ٣٠٥ .

وقد يكون له فيه رثاء غير ذلك لم يصل إلينا ، وإنما وصل إلينا هذان
البيتان لأنه كتبهما على قبره فحفظا ورويا ولم يضيعا . وهما على أى حال
يدلان على بقاء صلات الود والألفة بينهما ، كما يحملان معنى الحزن
والتأثر ، فإكان الحسين لينسى محبة العمر ورباط الصداقة وهو من عرفنا
عنه الوفاء الصادق والإخلاص الجميل :

والشاعر الثاني ، الذى جمعت الألفة والصداقة بينه وبين الحسين هو
أبو العتاهية ، وقد عرفنا نصيحته الطيبة التى نصح بها الحسين لما تنادى
فى رثاء الأمين وهجأ المأمون ، فعمل بها وكان لها فى نفسه أظيب الأثر ،
يدل على ذلك قوله « فعلمت أنه قد نصحنى فجزيت الخبر وقطعت القول ،
فنجوت برأيه وما كدت أن أنجو » (١) .

والخبر الثانى يقول فيه الحسين « كنت أمشى مع أبى العتاهية ، فررت
بمقبرة وفيها باكية تبكى بصوت شج على ابن لما . فقال أبو العتاهية .

أما تنفك باكية بعين غزير دمعها كد حشاها
أجز يا حسين فقلت :

تنادى حفرة أعيت جوابا فقد ولت وصم بها صلاها (٢)

أما الخبر الثالث ففيه أنهما اجتمعا يوما ومعهما أبو نواس الذى قال :
لئنشد كل واحد قصيدة لنفسه فى مراده من غير مدح ولا هجاء ، فأنشد
أبو العتاهية أبيتا فى النزل فسلم له أبو نواس والحسين لسهولة أنفاظه وملاحة
قصيده وحسن إشاراته . ولم ينشدا شيئا (٣) .

وهذه الأخبار على قلبها تدل على وجود محبة وألفة بين الشاعرين :
ولعل نصيحة أبى العتاهية قد زادت من هذه الألفة لما تركته فى نفس
الحسين من أثر ظيب وجميل لا ينسى .

(١) الأمانى للدور ٧ ص ٢١١ . (٢) نفسه ج ٧ ص ٢١٠ .

(٣) المعنى ج ١ ص ١٠٦ .

وإذا سألنا بعد ذلك أى الشاعر كان الحسين يفضل ؟ أكان يفضل
أبا نواس أم أبا العتاهية ؟ وجدنا فى ذلك خبرين متناقضين نعرضهما أولا
ثم نقول رأينا بعد ذلك .

الخبر الأول : أن غارقا والحسين تلاحيا فى أبى العتاهية وأبى نواس
أيهما أشعر ، فاتفقا على اختيار شعر من شعرهما يتخايران فيه ، فاختر
الحسين شيئا من شعر أبى نواس جيدا قويا لمعرفته بذلك ، واختار غارق
شيئا من شعر أبى العتاهية ضعيفا صغيفا غزلا كان يغنى فيه لا لشيء عرفه
منه إلا لأنه استملحه وغنى فيه ، فخاير به لقله علمه ولما كان بينه وبين
أبى العتاهية من المودة ، وتخطا على مال ، ونحا كما إلى من يرتضيه الواثق
بالله ويختاره لهما ، فاختر الواثق لذلك أبا محلم ، وبعث فأحضره ونحا كما
إليه بالشعرين فحكم لحسين ، فتلكا غارق وقال : لم أحسن الاختيار للشعر
ولحسين أعلم منى بذلك ، ولأبى العتاهية خير مما اخترت ، وقد اختار
حسين أجود ما قدر عليه لأبى نواس لأنه أعلم منى بالشعر ، ولكننا نتخاير
بالشاعرين فقيهما وقع الجدل ، فتحاكما فحكم لأبى نواس ، وقال :
هو أشعر وأذهب فى فنون الشعر وأكثر إحسانا فى جميع تصرفه فأمر الواثق
بدفع الخطار إلى حسين وانكسر غارق فما انتضع به بقية يومه ^(١) .

أما الخبر الثانى فيه أن « الفتح بن خاقان تناظر هو وأحمد بن أبى فنن
أيهما أشعر أبو نواس أو أبو العتاهية فقال الفتح أبو نواس ، وقال أحمد
أبو العتاهية وارتضيا على أن يكون الحسن حكما بينهما ، وما انقطع كلامهما
حتى دخل الحسين ، فقال له أحمد : ما تقول فى رجلين تشاجرا ، فضل
أحدهما أبا نواس وفضل الآخر أبا العتاهية فقال الحسين : أم من فضل
أبا نواس على أبى العتاهية زانية فخلج الفتح حتى تبين ذلك فيه ولم يعاوده
فى شيء من ذكرهما حتى افرقوا ^(٢) .

(١) الأغاني للدار بـ ٧ ص ١٧٦ - ١٧٧

(٢) الأغاني بـ ٣ ص ١٧٣ ط البياضى .

فالتناقض واضح بين رأيه في الخبر الأول ورأيه في الخبر الثاني ، ولكن يبدو أنه في الخبر الأول لم يكن يعبر عن حقيقة رأيه ، وأنه إنما استغل ضعف رأى غمارق وقلة علمه بالشعر ليكسب منه الرهان . أما في الخبر الثاني فهو حكم يلى بوجهة نظره وبحكم برأيه الحقيقى دون أى مؤثر خارجى . ولعل المنافسة التى كانت بينه وبين أبى نواس وكثرة إغاراته على معانيه — كما عرفنا — كان لها أثرها فى تكوين رأيه ، بينما كانت علاقته بأبى العتاهية لا يشوبها شئ من منافسة أو ملاحاة ، وإنما كانت تنسم بالألفة والمودة ، فكان لذلك أثره فى تفضيله على أبى نواس .

ومن أخباره مع الشعراء الآخرين ما عرفناه عن حكم ابن منذر الشاعر بينه وبين أبى نواس فى قصيدتهما . ونجد لهذا الشاعر خبرا آخر مع الحسين إذ أنشده الحسين قصيدته التى يقول فيها :

لفقدك ربحانة السكر

وكانت من أول ما قاله من الشعر ، فأخذ هذا رداءه ، ورمى به إلى السقف وتلقاه برجله ، وجعل يردد هذا البيت . فقال بعضهم لحسين : أتراه فعل ذلك استحسانا لما قلت ؟ فقال : لا ، فقالوا : فإنما فعله ظنزا بك ، فشتمه وشتهم وكانوا بعد ذلك يسألونه إعادة البيت فبرى بالحجارة ويحرد شتم ابن منذر بأقبح ما يقدر عليه^(١) .

وروى المزيباني خبرا يدل على وجود علاقة بين الحسين وأبى تمام البطائى ، وفيه أن أحدهم شاهده فى منزل الحسين وهو ينشد شعره^(٢) ، ولا يستطيع أن يعرف حدود هذه العلاقة ، لأن المصادر التى كتبت عنهما لم تذكر عنها شيئا آخر .

(١) أغاني الباقى ج ٧ ص ٢١٤ .

(٢) النظر الموضح ص ٥٠٢ طبعة ١٩٦٥ .

بعد ذلك لانبجد للحسين أخبارا مع شعراء آخرين، اللهم إلا ما عرفناه عن ملاحظاته مع أبي شهاب الشاعر الذي ينفر من الحسين وهزأته ^(١) أما ما قبل عن مهاجراته مع مسلم وانتصافه منه ^(٢) فلم نجد دليلا عليه في شعره أو في شعر مسلم . ولم نعرف له معه علاقة خاصة ، فأخبارهما تدخل في علاقة عامة من اجتماع الشعراء في مجالس أدبية أو لاهية ، كما عرفنا في خبر صلاة الجماعة ، وكذلك الصبا بن الأحنف الذي كان معهما في هذه الحادثة . ولا نجد أية أخبار أخرى توضح لنا مدى العلاقة بين هذين الشعارين وبين الحسين ، ولكن خبر الصلاة هذا يكفي ليكون دليلا على وجود صلة صداقة بينهم ، فكانوا يخرجون للنزهة متصاحبين : كما يفهم من هذا الخبر .

أما ما أشرنا إليه آنفا من أنفة هؤلاء الشعراء للديارات ، فإننا نجد الحسين من أسبقهم في ذلك ، وقد ذكر الشاشي والبكري وياقوت وغيرهم كثيرا من أخباره وأشعاره فيها . وأهم الديارات التي كان الحسين يألفها ويتردد عليها كثيرا : دير ساير ^(٣) ودير مرجس ^(٤) ودير مديان ^(٥) ودير مريوزان أو عمر نصر ^(٦) .

(١) انظر أغاني الدار ج ٧ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ١٤٦ .

(٣) دير - إيريزوغي قرب بغداد وهي قرية عامرة نزهة كثيرة البساتين (مجمع البلدان ج ٢ ص ٥١٣ ط بيروت) .

(٤) دير مرجس . كان بطريقنا بين الكوفة والقادسية . وكان محفوقا بالكروم والأشجار والخلات ، وقد خرب وبطل ولم يبق منه إلا خرابات على ظهر الطريق يسميها الناس قباب أبي نواس (انظر مجمع البلدان ج ٢ ص ٥١٤) .

(٥) دير مديان على نهر كرخايا ببغداد : وهو حسن نزهة حوله بساتين وعمارة ويقصد للتنزه والشرب ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من القلاع الحسنة النزهة (انظر الديارات ص ١١)

(٦) دير مريوزان أو عمر نصر أو قلابة العز يسر من رأى وكان من منتزهات أهل المنذر (مجمع البلدان ومجمع ما استعمل) .

ومن أخباره في ذلك ما ذكره البكري في حديثه عن عمر نصر ، إذ روى أن الحسين كان يألفه ، وأنه كان إلى جانبه خمار يقال له يوشع وله ابن أمرد حسن الوجه شماس ، فكان الحسين يتألف الخمار من أجل ابنه حياته .

ويروى خبراً آخر على لسان الحسين قال : « اضطبحت أنا وإخواني في عمر سر من رأى وبعنا أبو الفضل رذاذ وزنাম الزامر ، فقرأ الزاهد صفراً من أسفارهم حتى طلع الفجر ، وكان شجى الصوت ، ورجع من نغمته ترجيعاً لم أسمع مثله فتضهمه رذاذ وزنাম فغنى ذلك عليه ، وزمر هذا ، فجاء له معنى أذهل العقول ، وضج الرهبان بالتقديس^(١) فقال في ذلك أبياتاً أولها^(٢) :

يا عمر نصر لقد هيجت ساكنة هاجت بلابل صب بعد إقصار

فالحسين إذن كان من رواد هذه الديارات الذين يقصلونها لما فيها من خور جيدة وأطعمة شهية ، فيشربون ويلهون كما يحلو لهم بعيداً عن ضجة المدن وعيون الرقباء ، ويطلقون لأنفسهم العنان في الخجون والحلاعة والسكر والعبدة .

ومن علاقات الحسين بـ « معاصرية » ما عرفناه من قصته الطريفة مع أحد جند الشام وحبيته (بصيص) وكيف أوقع بينهما^(٣) ومنها أيضاً خبره مع جاره له طيب اسمه « نصير » كان يداوى الجراحات وكان مختبئاً ، فإذا كانت ليلة دخل مع المختئين وقد هجاء الحسين بأبيات ذاعت بين الناس ، وصار الصبيان يصيحون بنصير كلما رأوه بعد ذلك « يانصير نلعب نلعب الطائر المراعيش » وهي كلمات أنحلوها من الأبيات ، فيشتتهم نصير ويرميهم بالحجارة^(٤) .

(١) ، (٢) انظر معجم ما استعجم ص ١٠٩٠ تحقيق الأستاذ دة .

(٣) أغاني الدار ج ٧ ص ١٩٩ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢١٤ .

أما علاقته بزملائه في منادمة الخلقاء والأمرء فنجد خبراً عنها يرويه أحدهم وهو كثير بن إسماعيل قال : لما قلم المعتصم بغداد سأل عن ندماء صالح ابن الرشيد ، وهم أبو الواسع وقنينة وحسين بن الضحاك وحاتم الريش وأنا ، فأدخلنا ، فلقنومي وشقائي كتبت بين عني : سيدي هب لي شيئاً . فلما رأيته قال : ما هذا على جبينك ؟ فقال حمدون بن إسماعيل : ياسيدي تطالب بأن كتب على جبينه : سيدي هب لي شيئاً ، فلم يستطع لي ذلك ولا استملحه ودعا بأصحابي من غدا ولم يدع بي . ففزعته إلى حسين بن الضحاك ، فقال لي : إني لم أحل من أنسه بعد بالحل الموجب أن أشفع إليه فيك ، ولكنني أقول لك بيتين من شعر ودافعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما ، فإن ذلك أبلغ فقلت : أفعل : فقال حسين :

قل لدينا أصبحت تلعب بي ، سلط الله عليك الأخرسة
إن أكن أبرد من قنينة ومن الريش فأني فاجرة

قال فأخذتهما وعرفت حمدون أنهما لي وسألت إيهامهما ففعل ، فضحك المعتصم وأمر لي بألني دينار واستحضرني (وألقني بأصحابي)^(١) .

وفي هذه القصة نلمح ذكاء الحسين وفطنته إلى الأسلوب الناجح في استمادة رضا الخليفة على أحد الندماء ، وهذا أمر ليس بغريب عليه وهو الذي خبر الخلفاء وفهم الكثير من خبايا نفوسهم .

وهذا صديق له كان يتعشق جارية مغنية فزاحه فيها غلام كان في مرو دته حسن الوجه ، فلما خرجت لحيته جعل ينفذ ما يخرج منها ، ومالت القينة إليه لشبابه ، فشكا ذلك إلى الحسين وسأله أن يقول فيها شعراً فقال مقطوعتين إحداهما من أربعة أبيات والأخرى ستة أبيات بهجو فيهما الغلام ويسخر من نضه لحيته . وذلك ليرضى صديقه الذي لجأ إليه .

(١) أغاني الدارج ٧ ص ٢٠٤ .

ومن نواذر بعض أصحابه معه ما يرويه أحمد بن أبي كامل بقوله :
مررت بباب حسين بن الضحاك وإذا أبو زيد السلولي وأبو خزيمة الغنوي
وهما ينتظران المحارب وقد استوفى لهم على ابن الضحاك : فقلت لهما :
لم لا تدخلان ؟ فقال أبو يزيد تنتظر اليوم أن يجتمع فليس في الدنيا أعجب
مما اجتمع منا الغنوي والسلولي ينتظران المحارب ليدخلوا على باهل^(١) :

ويدون أصحاب الحسين كانوا على شاكلته في الظرف وحب المرح
أولهم ممن يحبون ذلك ويميلون إليه ، وهذه الروح المرحية هي التي جمعهم
بالحسين وألفهم جميعا .

وبعد هذا العرض والتحليل لعلاقات الحسين بمعاصره ، يمكننا أن
نستكمل رسم الصورة الحقيقية لحياته وشخصيته ، لتكون دراستنا لشعره قائمة
على أساس سليم :

٦ - وفاته :

عاش الحسين حياة طويلة حافلة ، وعمر كثيرا حتى قارب المائة سنة ،
لكننا في تحديد تاريخ وفاته نجد أقوالا ثلاثة مختلفة ، أولها قول أبي الفرج
الأصفهاني بأنه مات في خلافة المستعين أو المنتصر^(٢) ومعنى ذلك أنه
لا يتطع برأى حاسم ولا يحدد تاريخا معينا لوفاته . وخلافة المنتصر بدأت
في الرابع من شوال سنة ٢٤٧ هـ وانتهت في الثالث من ربيع الثاني سنة ٢٤٨ هـ
حيث بدأت خلافة المستعين^(٣) ، فهل مات الحسين في هذه الفترة التي
تولاها المنتصر والتي لا تتجاوز ستة شهور ، أم أنه مات بعد هذا التاريخ
أيام المستعين ؟

(١) أغاني الدرر ج ٧ ص ٢١٥ .

(٢) قسه ج ٧ ص ١٤٦ .

(٣) معجم الأنساب والأمراء الحاكمة لزمانها و ص ٣ .

والقول الثاني ذكره ابن العماد الحنبلي بأنه ممن توفوا في سنة إحدى وخمسين ومائتين ، ولكنه لا يؤكد قوله هذا ولا يقطع به ، وذلك واضح من العبارة التي كتبها ، إذ أنه في خلال تسجيله لوفيات هذه السنة قال « وفيها — بل في التي قبلها كما جزم ابن خلكان وغيره — توفي الحسين بن الضحاك »^(١) ومعنى ذلك أنه يضرب عن القول الأول ويرفضه ، ويعتمد قول ابن خلكان^(٢) وغيره ، الذين جزموا بأنه توفي في السنة التي قبلها أي في سنة خمسين ومائتين ، وهذا هو القول الثالث الذي قال به قبل ابن خلكان كثيرون منهم الثعالبي^(٣) والعميدى^(٤) والخطيب البغدادي^(٥) وابن عساكر^(٦) وياقوت الحموي^(٧) وابن الأثير^(٨) كما أخذ به بعده ابن فضل الله العمري^(٩) وابن شاكر الكوفي^(١٠) والياقفي^(١١) والعيني^(١٢) والزركلي^(١٣) ودائرة المعارف الإسلامية^(١٤).

وهذا القول الأخير هو الأقرب إلى الحقيقة لاتفاق الغالبية عليه بل هناك شبه إجماع على الأخذ به فهو يتفق مع الرأي الأول لأبي الفرج بأنه مات في خلافة المستعين ولعل الذي جعله يقول « أو المتصر » أن الحسين كان آخر شعر قاله في المتصر . ثم جاء المستعين فلم يذكر أي خبر عن الحسين في عهده ، وليس غريبا أن يقضي الحسين السنين الأخيرتين من عمره في

(١) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٢ .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٢ . (٣) المتحلل ص ٢١٩ .

(٤) الإبانة ص ١٨٤ . (٥) تاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٥ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٩٧ . (٧) معجم الأديباء ج ١٠ ص ٥ .

(٨) التكميل في التاريخ ج ٧ ص ٨٩ طبع حوادث سنة خمسين ومائتين .

(٩) مسالك الأبصار ص ٩ ورقة ٢٠ وقد كتب سنة خمس ومائتين وفيها ' تصحيف والفتح .

(١٠) عيون التواريخ ج ٧ ص ٧٠٩ .

(١١) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ .

(١٢) عقد الجنان ج ١٤ قسم ٢ ورقة ٢٨٨ .

(١٣) الأعلام ج ٢ ص ٢٥٨ .

(١٤) دائرة المعارف الإسلامية ج ٢ ص ٢٢٠ .

ضعف الشيخوخة العاتية وعجز المرم الشديد . لا يكاد يستطيع حراكا أو يعي قولاً . ويعتبر رأى ابن الهادي الحنبلي متفقاً مع رأى الغالبية كما يفهم من عبارته . وعلى هذا يكون الرأى الغالب أو الأصوب هو وفاة الحسين في سنة خمسين ومائتين للهجرة .

وكانت وفاته في بغداد كما ذكر ياقوت^(١) ولم تشر مصادر غيره إلى ذلك أو تذكر سواه . في هذه المدينة العظيمة التي قضى فيها الحسين أجمل أيام عمره ، والتي شهد فيها ثمانية خلفاء يتولون حكم الدولة العباسية واحداً بعد الآخر ، يصنعون عهدها الذهبي — توفي الحسين بن الضحاك . .

الفصل الثاني شعره وأغراضه

١ - مصادر شعره :

مصادر شعر الحسين كثيرة متعددة ، منها ما أورد له قصائد ومقطوعات كثيرة ومنها ما جاء بأبيات قليلة . ول سوء الحظ لم يصل إلينا ديوانه الذي كان يقع في مائة وخمسين صفحة كما ذكر ابن النديم^(١) . وهذا هو السبب الرئيسي في ضياع معظم شعره ، لأن مجموع الأبيات التي أوردتها المصادر المختلفة حوالى ثمانمائة وستين بيتا بينما تقلد الأبيات التي ضمنها ديوانه عما يزيد على ثلاثة آلاف بيت إذا احتسبنا في كل صفحة عشرين بيتا أو أكثر . ومعنى ذلك أنه قد ضاع من شعر الحسين ما يقرب من ثلاثة أرباعه ، وأنه لم يصل إلينا إلا ربعه تقريبا . على أن هذا التقدير لعدد أبيات الديوان قد يكون قليلا بالنسبة لحياته الطويلة الحافلة وعمره الذي قارب المائة عام .

من الواضح إذن أن ما ضاع من شعره كثير بالنسبة لما وصل إلينا . ونجد في مواضع كثيرة من مصادر شعره ما يدل على ضياع معظم الأبيات في بعض قصائده إذ يكتفى المصدر بذكر أبيات قليلة من القصيدة مع إشارته إلى أنها قصيدة طويلة أو معروفة في شعره . من ذلك ما ذكره المسعودي عن مدح الحسين للأفشين قائد المعتصم حين لحق به فترل معه على عمورية فقال « وفي ذلك يقول الحسين بن الضحاك الخلاج في قصيدة له طويلة مدح أبا الحسن الأفشين »^(٢) . ولكنه لم يذكر من هذه القصيدة إلا أربعة أبيات وكذلك في ذكره مدح الحسين للمعتصم إذ قال إنها « كلمة طويلة »^(٣) ، ولم يذكر منها إلا أربعة أبيات . وفي الأغاني نجد شواهد كثيرة على ذلك^(٤) .

(١) الفهرست ص ١٦٢ . (٢) الفتنية والإشراف ص ١٤٤ .
(٣) نفسه ص ١٤٥ . (٤) انظر ترجمته في الأغاني الجزء السابع .

إذ يكفي بذكر مقدمات القصائد أو أبيات قليلة منها ، كقصيدته التي مدح فيها المأمون، أو التي مدح بها المتصر، أو التي هنا الواثق فيها بالخلافة وعزاه في أبيه المتصم . وكذلك قصائده في رثاء الأمين . ففي كل هذه القصائد لا يذكر أبو الفرج إلا أبياتا قليلة بين اليتيم والخمسة ، بينما نجد بعضها في مصادر أخرى يزيد على عشرين بيتا . ومنها قصيدته الممزية التي قالها في الخمر إذ لم يذكر منها أبو الفرج إلا أربعة أبيات بينما هي في ديوان أبي نواس أربعون بيتا . وبعض هذه القصائد لم نجد لها كاملة في أى مصدر آخر . ومعنى ذلك أن معظم أبياتها قد ضاعت . ومن الأمثلة وغيرها كثير— يتأكد لنا ضياع الكثير من شعر الحسين .

وقد أوردت كثير من المصادر التي ترجمت للحسين شعرا له ، كما اكتفت بعضها بترجمته فقط . وجاءت مصادر أخرى بشعر له دون ترجمة أو أخبار .

ولهذا سنلتقي بمصادر جديدة لم يأت ذكرها في مصادر ترجمته :

وأقدم مصدرين لشعره هما للجاحظ (ت سنة ٢٥٥ هـ) الذي كان معاصرا للحسين . وكنا نتوقع أن نجد في كتبه كثيرا من شعره ولكن خاب ظننا إذ لم نجد إلا أربعة أبيات في « الحيوان » عقب عليها بقوله « وهذا شعر رويته على وجه الدهر ، وزعم لي الحسين بن الفضال أنه له ، وما كان ليُدعى ما ليس له »^(١) . وهذه الأبيات تبدأ بقوله :

نشبي وما جمعت من صفد وحويت من سبد ومن لبد

وهذه الشهادة من الجاحظ تعيدنا في تحقيق نسبة هذه الأبيات إلى الحسين لأنها نسبت لأبي نواس ولغيره في مصادر أخرى^(٢) .

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤٨٠ .

(٢) نسبت الأبيات لأبي نواس في تهذيب ابن صاكر ج ٤ ص ٢٦٢ وفي أخبار أبي نواس لأبي هفان ص ٧٥ ونسبت لبوبة بن نمر بن حرملة في كتاب ربح الأصر ص ٣٠ (مخطوط)

كما يروى الجاحظ في « المحاسن والأضداد » أربعة أبيات أخرى له وهي التي تبدأ بقوله :^(١)

أنا الخليع قـوموا إلى شراب الخليـع

وإذا تسامنا عن السبب في عديم رواية الجاحظ لشعره في كتبه ، أو لاستشهاد بأبيات منه في فصول كتبه أو موضوعاتها المتفرعة ، لم نجد الجواب الثاني عن هذا السؤال ، فإذا افترضنا أن مجون الحسين وخلاعته كانت هي السبب في ذلك لم يقنعنا هذا الجواب ، لأننا نجد في كتب الجاحظ كثيرا من شعر المجان كآبي نواس وغيره وهم لا يقلون مجونا وخلاعة عن الحسين ، فـ هو السبب إذن ؟ إننا لا نجد شيئا واضحا أمامنا ، ويمكننا أن نظن أو نفترض أسبابا واكتنا لا نجد برهانا أو دليلا تدعم به ما نظنه أو نفترضه .

ولفاننا بعد ذلك « كتاب بغداد » لأحمد بن أبي الطاهر طيفور (ت ٨٢٨٠) فنجد فيه اثني عشر بيتا ذكرها مع الأخبار التي كتبها عن الحسين ، وهي أبيات مشهورة أوردتها مصادر كثيرة ، منها أربعة أبيات في رثاء الأمين والعريص بالأمون^(٢) . وأربعة أخرى في مدح الأمون لما حاول استرضاءه ونيل عفو^(٣) . وأربعة أخرى قالها في مجلس لصالح بن الرشيد ليفي فيها عمرو ابن بانه^(٤) . ويبدو أن ابن طيفور اهتم برواية الخبر أكثر من اهتمامه برواية الشعر ، وأنه لم يذكر الأبيات إلا ليكمل بها ما رواه من أخبار .

ونلتني بعد ذلك بكتاب « الكامل في اللغة والأدب » للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) فلا نجد فيه سوى مقطوعة واحدة من ستة أبيات يمدح فيها عاصما الغساني^(٥) وتبدأ بقوله :

أقول ونفسي بين شوق وحسرة وقد شخصت عيني ودمعي على خلدی

(١) المحاسن والأضداد ص ١٩٥ .

(٢) كتاب بغداد ص ٥٨ ، ص ٢٢٢ .

(٣) نفسه ص ٢١٢ .

(٤) الكامل للمبرد ص ٤٣٩ .

(٥) نفسه ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

وقد ذكرها بعده أبو الفرج في الأغاني رواية عن الأخفش عن المبرد نفسه وذكر معها قصتها^(١). ولكنه زاد فيها ثلاثة أبيات عما رواه المبرد في الكامل. ويتضح من القصة أن الأبيات ليست في مدح عاصم الغساني كما ذكر المبرد، ولكنه ذكره فيها لأنه واسطة الإصلاح بينه وبين الجارية التي ذكرها في الأبيات متغزلا متوجعا من عذاب الهوى. وكنا نتوقع أن تكون الأبيات في (الكامل) غير ناقصة وأن يروى خبرها الحقيقي، لأن المبرد هو مصدر روايتها الأول في الأغاني وأولى به أن يذكرها كاملة مع خبرها في كتابه. كما كنا نتوقع أن نجد شعرا آخر للحسين في هذا المصدر لأنه قريب عهد به فقد عاصر المبرد الحسين ز منا غير قليل، ولكنه لم يرو له سوى هذه المقطوعة. وهنا نكرر تساؤلنا الذي ذكرناه بالنسبة للجاحظ. فالمبرد مثله لم يهتم بشعر الحسين ولم يرو في كتابه له شعرا كثيرا كما كان ينتظر. والسبب في ذلك غير واضح كما هو عند الجاحظ.

بعد ذلك نلتقي بطبقات الشعراء لابن المعمر (ت ٢٩٦ هـ) فنجد فيه سبعة عشر بيتا فقط للحسين^(٢) منها بيت مشهور في مدح المأمون، وثلاثة أبيات في قصة جبة الخز التي عرفناها، وعشرة أبيات في المحجون والغزل بالمذكر، وثلاثة في مدح أحد الملوك، وهذه الأبيات الثلاثة الأخيرة لم ترد في أي مصدر آخر غير هذا المصدر. وتبدأ بقوله :

سيتى فيك ما يهدى لساني إذا فئت هدايا المهسر.

ونلاحظ أنها نسبت في مختصر طبقات الشعراء لأبي خاله المهلي^(٣) وكذلك ثلاثة أبيات من الغزل لم ترد في مصدر

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٠٩.

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٦٩ - ٢٧١.

(٣) أنظر مختصر طبقات الشعراء ص ٢٤ ب.

آخر سوى كتاب « الزهرة » ولم تنسب فيه لقائل وقد زاد عليها بيتا رابعا^(١) وتبدأ بقوله :

محـب نال مكنـها منـها وأسـعده الحـبيب على هـواه

ولابن المعتز كذلك كتاب « فصول النماثيل » وفيه روى خمسة أبيات للحسين في رده على جواب الحسن بن رجاء لما دعاه إلى المنادمة^(٢) . وقد عرفنا خبرها في الفصل السابق . وتأخذنا الدهشة حين نجد في هذا الكتاب بعض أبيات من شعر الحسين منسوبة إلى أبي نواس، وبيتا آخر منسوب لابن المعتز نفسه مع أنه نبه إلى مشكلة انتحال شعر الحسين في طبقاته، وسنتناول ذلك في مكانه بالتفصيل .

ومع ابن المعتز نلتقي بأول مصدر مهم لشعر الحسين وهو كتاب « الزهرة » لأبي بكر محمد بن أبي سليمان الأصفهاني (ت ٢٩٧ هـ) إذ روى فيه اثنين وسبعين بيتا ، كلها مقطعات غزلية بين اليتيم والسة . وأهمية هذا المصدر ترجع إلى انفراده برواية ثلاثة وثلاثين بيتا للحسين أى ما يقرب من نصف الأبيات التي رواها له . فلم ترد هذه الأبيات في أى مصدر آخر سواه ، سابق أو لاحق ، كما أن معظم الأبيات الأخرى لم يسبق ورودها في مصدر قبله ، وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة فإننا نجد منها أربعة أبيات ذكرت منها ثلاثة في طبقات ابن المعتز^(٣) . ونلاحظ أن أبا بكر الأصفهاني ذكرها غير منسوبة إلى أحد، وهو ما أشرنا إليه منذ قليل .

وهذه المقطوعات التي انفرد كتاب الزهرة بإثباتها دون غيره ، تعد ثروة أدبية لأن ضياع ديوان الحسين جعل الثغور على أبيات

(٢) فصول النماثيل ص ٧٨ .

(١) الزهرة ص ٢٧ .

(٣) الأبيات : طبقات الفهرست ص ٢٠٧ والزهرة ص ٢٧ .

منه أمرا غير يسير ، فإياك بأبيات لم نجد لها إلا في مصدر واحد . ولا يفوتنا أن نشير إليها لإثبات ما قلناه ، فإيا بيتان يقول في أولهما^(١) :

إن من أطول ليل أمــــدا ليل مشتاق تصابي فمسكـم

ومنها مقطوعة من خمسة أبيات يقول في أولها^(٢) :

بنفسى حبيب لا يحل التعتبا إذا زدته في العلى زاد تعصبا

ومنها بيتان من مقطوعة له رواها من أربعة أبيات ، وهما قوله :^(٣)

أباح حى الميثاق والله يبتننا فلم يبق للميثاق قبلا ولا بعدا
فليك لا تجزى بما أنت أهله وإن كنت قد أشرقتى بدى حقدنا

ومنها مقطوعة من خمسة أبيات يبدؤها بقوله^(٤) :

بنفسى حبيب أم مكة مكرها يعالج مستورا من الحزن والألم
ومنها بيتان يبدؤهما بقوله^(٥)

يا من شغلت بهجره ووصاله هم المنى ونسيت يوم معادى
وثلاثة أبيات يقول في بدئها^(٦) :

سقى لزور من طيف محجب عاتبته فى المنام فاعتسلا

ومقطوعة من خمسة أبيات يبدؤها بقوله^(٧) :

أيا من سرورى به شقوة ومن صفو عيشى به أكلر
ومقطوعة من خمسة أبيات يبدؤها بقوله^(٨) :

تذكر من غرائه ما تذكرنا وأعول أيام الشباب فأكثرنا

- | | |
|----------------------|----------------------|
| (١) الزهرة ص ٤٠ . | (٢) الزهرة ص ١٤٥ . |
| (٣) الزهرة ص ١٥٤ . | (٤) الزهرة ص ١٩٦ . |
| (٥) الزهرة ص ٢٠١ . | (٦) الزهرة ص ٢٦٣ . |
| (٧) الزهرة ص ٢١٣ . | (٨) الزهرة ص ٢٤٠ . |

وبيتان يقول أولها ^(١) :

لشنان إشفاني عليك وقسوة أطلت بها شجو القواد على العمدة

وكتاب « الزهرة » هو آخر مصدر في مصادر القرن الثالث الهجري الذي توفي الحسين في منتصفه، وهي في مجلها مصادر قليلة لم ترد على خمسة : ومع أنها كانت أقرب المصادر عهدا بالحسين فإنها لم تفدنا كثيرا أو بالدرجة الأولى كنا نوقعها .

ومع القرن الرابع الهجري نلتقي بأعظم المصادر وأكثرها نفعا وعددا إذ أنها تمدنا بمعظم شعر الحسين :

نلتقي في بداية هذا القرن بابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) الذي يمكن أن نعهده ممن عاصروا الحسين ، لأن تاريخ ميلاده (٢٢٤ هـ) أى قبل وفاة الحسين بستة وعشرين عاما . وهو في تاريخه على أى حال لا يفيدنا إلا فيما يتصل بالحوادث التاريخية والسياسية، إلى قال الحسين فيها شعرا، كحوادث بغداد التي وقعت خلال الحرب بين الأمين والمأمون ، من ذلك ما قاله لما اشتد القتال في بغداد بين جيش طاهر وأنصار الأمين حتى أوحشت بغداد وخاف الناس أن تبقى خرابا ، وهي مقطوعة من خمسة أبيات يندوها بقوله : ^(٢)

أُتسرع الرجل إغـلـلـاذا عن جانبي بغداد أم ماذا

ومنها مقطوعة من سبعة أبيات قالها في تشجيع الأمين وتقوية أمله في النصر بعد أن انتصر أنصاره على أصحاب طاهر في إحدى المعارك على باب أم جعفر وهي التي يقول في أولها ^(٣)

أمين الله ثقي بـ الله تمط الصبر والتـصـبـر

(١) الزهرة ص ٣٥٧ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٨٨٢ .

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٨٧٢ .

ومنها قصيدة من تسعة أبيات قالها لما وثب خزيمه بن خازم على جسر
دجلة قطعه وأتخذ بذلك أرواح الكثيرين ، ويقول في بدنها ^(١) :

علينا جميعا من خزيمه منه بها أحمد الرحمن ثائر الحروب

ويعد تاريخ الطبرى المصدر الأول والأساسى فى رواية قصائد الرثاء التى
قالها الحسين فى الأمين ؛ منها قصيدة فى اثنين وعشرين بيتا يبدؤها بقوله ^(٢) :

يا خير أسرته وإن زعموا إني عليك لثبت أسس

وقصيدة من ثلاثة عشر بيتا انفرد بروايتها ولم ترد فى أى مصدر آخر ،
وهى التى يبدؤها بقوله ^(٣) :

إذا ذكر الأمين نعى الأمينا وإن رقد الخلى حى الجفونا

وبيت آخر انفرد بروايته أيضا ولم يرد فى مصدر آخر ، ولم يعثر على
قصيدته ، وهو قوله ^(٤) :

أسفا عليك سلاك أقرب قرية منى وأحزاني عليك ترسد

ثم أربعة أبيات قالها الحسين فى مدح المأمون وقد ذكرناها مع غيرها
فى خبر محاولته استرضاء المأمون . ويذكر الطبرى مقطوعة أخرى من سبعة
بيات يمدح الحسين فيها الأفسنين قائد المعتصم ويذكر وقعته التى كانت بينه
وبين ملك الروم ويبدؤها بقوله ^(٥) :

أثبت المعتصم عزرا لأبى حسن أثبت من ركن إضم

وبذلك يكون الطبرى قد أمدنا بمجموعة كبيرة من شعر الحسين وضحت
لنا الجوانب السياسى فى حياته . ويصل عدد أبياتها إلى ستة وستين بيتا معظمها
لم يسبق وروده فى مصادر أخرى ، بل منها ما لم يذكر فى مصادر أخرى
لاحقة له . ومن ذلك نعرف مدى أهمية هذا المصدر فى إثبات شعر الحسين

(١) نفسه ج ٣ ص ٩٠٥ . (٢) نفسه ج ٣ ص ٩٤١ .

(٣) نفسه ج ٣ ص ٩٤٢ . (٤) نفسه ج ٣ ص ٩٤٢ .

(٥) الطبرى ج ٣ ص ١٢٥٤ .

وبعدہ نلتقى بكتاب « الموشى » أو الظرف والظرفاء لمحمد بن اسحق بن يحيى الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) . وقد ذكر فى كتابه خمسة عشر بيتا للحسين فى العتاب والمهجر . منها قصيدة من أحد عشر بيتا لم ترد كاملة فى مصدر غيره ، وما ذكرته المصادر الأخرى منها يتراوح بين بيتين وخمسة أبيات ليس فيها إلا بيت جديد على أبيات « الموشى » وهى القصيدة التى مطلعها (١) :

لأهويتكم جهدى وزدت على الجهد ولم أر فيكم من يقيم على العهد

أما المقطوعة الثانية فهى من أربعة أبيات منها بيتان لم يردا فى مصدر آخر غيره ، أما البيتان الآخران فقد وردا مع بيتين جديدين فى الزهرة (٢) وهذه المقطوعة هى التى يبدؤها بقوله (٣) :

نراك على الأيام تنجو مسلما ولست ترى من غلرة أبدا أبدا

وهذه الأبيات التى أوردها صاحب الموشى — على قتلها — تعد ذات أهمية لأنها أضافت جديدا إلى تراث الحسين الشعرى . وبالأخص تلك الأبيات التى انفرد بروايتها ولم يوردها مصدر آخر غيره ، وهى حوالى سبعة أبيات .

ومعاصرا للوشاء يأتى ابن عبد ربه الأندلسى (ت ٣٢٨ هـ) فيذكر فى كتابه « العقد الفريد » أربعة أبيات فقط ، وهى أبياته المشهورة التى قالها فى مجلس المتوكل متغزلا فى خادمه شفيع (٤) . وقد ذكرتها مصادر كثيرة ، ولكن لابن عبد ربه فضل السبق فى روايتها قبل غيره .

ونلتقى بعد ذلك بكتاب « أدب الكتاب » لأبى بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٣٥) فلا نجد فيه سوى أربعة أبيات سبق ورودها فى كتاب الزهرة كما ذكرت فى مصادر أخرى كثيرة بعد ذلك .

(١) الموشى ص ١١٤ ط ١٣٠٢ .

(٢) الزهرة ص ١٥٤ .

(٣) الموشى ص ١٢١ ط ١٣٠٢ .

(٤) العقد الفريد ج ٨ ص ٩٦ ط ١٩٥٣ .

على أننا نجد في ديوان أبي نواس المخطوط رواية الصولى ثلاثة أبيات ذكرها الحسين في معرض حديثه عن الانتحال في شعر أبي نواس في مقدمة الديوان وهى بيت من قصيدته الحمزية في الخمر ، وبيتان في الغزل بالمذكر سبقت روايتهما في « طبقات الشعراء » لابن المعتز . . وعلى كل فالصولى لم يأت بجديد من شعر الحسين في كتابه . ولم يصف إلى تراثه شيئا ذا قيمة .^(١)

ونلتقى بعده بالمسعودى (ت ٣٤٥) في كتابه « مروج الذهب » وه التنبية والإشراف ، ففي الأول لم يذكر سوى تسعة أبيات منها ثلاثة مما قاله الحسين في نصرة الأمين^(٢) وقت الحرب . وأربعة قالها في شفيح خادم المتوكل^(٣) . وبيتان قالها في رثاء المتوكل^(٤) وهما جديدان لم يذكرهما في مصدره قبله وإن ذكرهما مع غيرهما في مصادر أخرى ولكن بدون نسبة إلى الحسين .

أما المصدر الثانى فقد ذكر فيه ثمانية أبيات منها أربعة قالها الحسين في مدح « الأفشين » وقد سبقت روايتها في تاريخ الطبرى . . وأربعة أخرى في مدح المعتصم بعد فتح عمورية ، وهى أبيات جديدة انفرد المسعودى بروايتها دون غيره ، إذ أنها لم ترد في أى مصدر آخر سابق أو لاحق ، ويبدوها بقوله^(٥) :

لم تبق من أنقرة نقسرة واجتحت عمورية السكبرى

ويذكر المسعودى أن هذه الأبيات من قصيدة طويلة ، وكذلك الأربعة الأولى ، ولكن للأسف لم نثر على القصيدتين في المصادر الأخرى . وعلى قلة الأبيات التى ذكرها المسعودى في كتابه فإنه قد أضاف جديدا إلى مجموع شعر الحسين .

(١) روى الصولى كذلك خمسة أبيات في كتابه (أخبار ابن تمام) ص ٢١٤ ط ٦٩٢٧ ونسبها لأبي نواس ولكن الأمدى رواها لحسين في الموازنة ص ٧٢ ط سنة ١٩٤٤ .

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٤١ ط ١٢٨٣ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٨ . (٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٥) التنبية والإشراف ص ١٧٠ ط ١٨٩٣ .

بعد ذلك نلتقي بأبي الفتح عمود بن الحسين المعروف بكنائجه (ت ٣٥٠) في كتابه «أدب التديم» الذي روى فيه خمسة أبيات للحسين لم يذكرها مصدرو آخر سواه، فأضاف بذلك جديدا إلى مجموع شعره، وهذه الأبيات يملؤها بقوله (١) :

يا مدير الكاس حيث على الكاس مديا

ثم يأتي أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) صاحب الأغاني ، الذي يعد أهم مصدرو لشعر الحسين ، إذ روى له حوالي خمسمائة وعشرين بيتا منها ما يقرب من مائتي بيت انفرد بروايتها ولم يذكرها مصدرو آخر سواه ، وما يقرب من مائتين وسبعين بيتا لم يسبقه مصدرو آخر بروايتها ، بينما روتها مصادر أخرى جاءت بعده بعضها تنفق روايته مع رواية الأغاني وبعضها تختلف روايته في بعض الألفاظ ، وليس بوسعنا أن نسجل هنا كل القصائد أو المقطوعات التي انفرد بروايتها أو التي سبق بها . وإنما نذكر منها أمثلة تثبت ما نقول . فمن القصائد التي رواها دون سواه قصيدته في «يسر» التي يملؤها بقوله : (٢)

تجاسرت على الغرر كعادتك في الهجر

وهي في عشرة أبيات . ومثلها قصيدة أخرى فيه أيضا من أحد عشر بيتا يملؤها بقوله (٣) :

جئت يسرا على تسكره وقد دهاني بحسن منظره

ومنها قصيدته في غلام الحسن بن سهل التي يملؤها بقوله (٤) :

اسقياني واصرفا بنت حويلن قرقفا

وهي في أربعة عشر بيتا .

(١) أدب التديم ص ٣٨ ط يولاق ١٢٩٨ .

(٢) الأغاني ج ٧ ص ٢١٧ ط دار الكتب .

(٣) نفسه ج ٧ ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ١٨٠ - ١٨١ .

وقصيدته في محبته « فن » وهي في ثلاثة عشر بيتا بينها بقوله (١) :

لا تلمني على فستن إنها كاسمها فستن

وقصيدته في مدح الراحل ووصف صيده بالقاطول، وهي في ثلاثة عشر بيتا، لم يرو منها في مصادر أخرى سوى البيت الأخير. ويدونها بقوله (٢) :

مضى الله بالقاطول مسرح طرفكا وخص بسقيه مناكب قصركا

هذه أمثلة من القصائد التي تزيد على عشرة أبيات. أما المقاموعات ففيها على سبيل المثال أيضا مقطوعة من ثمانية أبيات قالها في الغزل ويدونها بقوله (٣) :

أي دياجسة حسن هيجت لوعسة حزني

ومقطوعة من أربعة أبيات قالها في « يسر » يدونها بقوله (٤) :

بحرمة السكر وما كانا عزمت أن تقتبسيل إنسانا

ومقطوعة من سبعة أبيات يطلب فيها من المتنعم أن ينحه قطعة أرض في مدينته الجديدة « سر من رأي » ليبنى عليها دارا كما منح غيره، ويدونها بقوله (٥) :

يا أمين الله لا خطة لسي ولقد أفردت رصحي بخطط

ومقطوعة من سبعة أبيات له في الغزل يدونها بقوله (٦) :

عالم بحبيبي عالم في دن انتبيبي

(١) نفسه ج ٧ ص ١٧٦ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ١٥٨ - ١٥٩ . (٣) نفسه ج ٧ ص ١٥٢ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢٢٠ - ٢٢١ . (٥) نفسه ج ٧ ص ٢١٠ .

(٦) نفسه ج ٧ ص ١٨٥ .

هذه أمثلة من المقطوعات والقصائد التي انفرد الأغاني بروايتها . أما التي سبق بروايتها ثم روتها بعلوم مصادر أخرى : فمنها على سبيل المثال قصيدة له في « يسر » عندها ثلاثة عشر بيتا يبدؤها بقوله (١) :

أيها التفات في العقد أنا مطوى حل الكد

وقصيدته في مدح المعنم وتهنئته بالخلافة وهي في واحد وعشرين بيتا يبدؤها بقوله (٢) :

هلا رحمت تلدد المشتاق ومنذ قبل فراقه بتلاق

وكذلك قصيدته في مدح الوائى وهي في سبعة وعشرين بيتا لم يسبقه مصدر بروايتها إلا الزهرة . الذي روت فيه الأبيات الأربعة الأولى فقط (٣) وهي التي يبدؤها بقوله (٤) :

أكاتم وجدى فما ينكمم بن لو شكوت إليه رحم

وقصيدته في الغزل التي يبدؤها بقوله (٥) :
تألفت طيف غزال الحرم فواصلنى بعدما قللى الحرم

وهي في أربعة عشر بيتا :

ومن المقطوعات التي لم يسبقه أحد بروايتها ثم رواها آخرون بعده قوافي في شفيح خادم المتوكل (٦) :

وأبيض في حرر الثياب كأنه إذا ما بدا امرئيه في شقائق

(١) الأغاني ج ٧ ص ١٩٢ ط دار الكتب .

(٢) نفسه ج ٧ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) الأغاني ج ٧ ص ١٩٥ ط دار الكتب .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢٢٢ .

(٥) نفسه ج ٧ ص ١٨٢ .

وهي مقطوعة في ستة أبيات : ومقطوعة أخرى في ستة أبيات في الغزل
يبدوها بقوله (١) :

إن من لا أرى وليس يسراني نصب عيني عثمل بالأمانى
ومنها مقطوعة من خمسة أبيات ينهى فيها الواثق بالخلافة ويعزبه عن موت
المعتصم يبدوها بقوله (٢) :

ألم يرع الإسلام موت نصبره بلى حق أن يرتاع من مات ناصره
ومقطوعة في ثمانية أبيات قالها في حانة الشط وقد شرب فيها مع الواثق
يبدوها بقوله (٣) :

يا حانة الشط قد أكرمت مشوانا عودى يوم سرور كالذى كانا
ونلاحظ على الأغاني أنه يكرر رواية بعض المقطوعات في موضعين
أو ثلاثة (٤) وقد يكون السبب في ذلك اختلاف خبرها أو قصتها أو ضخامة
الكتاب ، وما ينتج عنها من السهو في التكرار .

وجمعة القول في الأغاني أنه المصدر الأساسي لشعر الحسين الذي حفظ
لنا منه ما يقرب من ثلاثة أخماس مجموعته التي وصل إلينا .

ومع أبي الفرج يأتي أبو علي القالي (إسماعيل بن القاسم ٢٥٦ هـ)
الذى يذكر في كتابه « الأمل » — بيتين للحسين يبدوهما بقوله (٥) :
ما زلت أشربها والليل معتكرا حتى تضاحك في أعجازه القمر

(١) الأغاني ج ٧ ص ١٨٧ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ١٥٦ .

(٣) نفسه ج ٧ ص ١٩٧ — ١٩٨ .

(٤) من ذلك مثلا مقطوعته « تحت صبري ... » قالها له كرت في صلوات
١٦٠ ، ١٩٠ ، ٢٢٢ من الجزء السابع .

(٥) الأمل ج ٢ ص ١٧٠ ط دار الكتب سنة ١٩٢٦ .

وأهمية البيتين ترجع إلى أنهما لم يذكر في مصدر آخر سواء ، فقد انفرد ههنا المصدر بذكرهما وأضاف بهما شيئا ولو قليلا إلى مجموع شعره .

وبعد أبي الفرج والقالى نلتقى بحمزة بن حسن الأصفهاني (ت . ٣٦٦ هـ) الذي جمع ديوان أبي نواس ، وروى للحسين في مقلمته قصيدته الطويلة في الخمر التي تبلغ أربعين بيتا ويقول في مطلعها^(١) :

بمدلت من نضجات الورد بالآء ومن صبيوحك دار الإبل والنساء

وقد رواها عن أحمد بن أبي طاهر على أن الحسين قلما معارضا بها قصيدة أبي نواس التي مطلعها :

دع عنك لوى فإن اللوم لغراء ودوني بالسي كانت هي اللاء

ورواية هذه القصيدة للحسين تعد كسبا جديدا وإضافة قيمة لشعره ، فأبو الفرج لم يذكر منها في الأغاني إلا مطلعها وبيتين آخرين منها . وهي أطول قصيدة وصلت إلينا من شعره على الإطلاق . كما أن ديوان أبي نواس رواية حمزة الأصفهاني هو المصدر الوحيد الذي حفظها لنا . ولذلك نعلمه من المصادر الهامة لشعر الحسين . ونجد فيه إلى جانب هذه القصيدة ستة أبيات أخرى للحسين ، منها خمسة في اجتماع الشعراء وبينهم الحسين وأبو نواس إذ قال كل منهم أبياتا يدعو فيها الآخرين للاجتماع عنده على الشراب واللهو^(٢) . وهذا الخبر مع أقوال الشعراء سبق ذكره في « المحاسن والأضداد » للجاحظ ، وإن كانت أبيات الحسين فيه تنقص بيتا عنها في رواية حمزة . أما البيت السادس فهو في ذكره لخبر صلاة الشعراء وخطأ الإمام في « قل هو الله أحد »^(٣) وهو أول مصدر روى هذا الخبر مع أبياته .

(١) هذه القصيدة في ديوان أبي نواس طبعة آساف ٣٩ بيتا وكذلك في مختارات البارودي وعندها نقلها الأستاذ عبد الستار فراج في جمعه لشعر الحسين المسمى بأشعار الخليل . ولكنها في ديوان أبي نواس طبعة فاجتر تزويد بيتا .

(٢) انظر ديوان أبي نواس ص ٦٠ وما بعدها ط فاجتر .

(٣) نفس المصدر ص ٦٧ ولم ينسب البيت للحسين .

ثم تنسقى بالآمدى (أبى القاسم الحسن بن بشر ت ٣٧٠ هـ) فى كتابيه « المولف والمختلف » و « الموازنة بين الطائيتين » . فى الكتاب الأول لا يذكر سوى بيتين ^(١) وترجع أهميته إلى أنه المصدر الوحيد الذى نسبهما للحسين ، فقد وردا فى مصادر أخرى دون نسبة إلى قائل ^(٢) أما الكتاب الثانى ففيه سبعة أبيات للحسين ، منها خمسة أبيات ذكرت فى مصادر أخرى منسوبة إلى غيره ولم ينسبها إلى الحسين سوى الآمدى . وهى مقطوعة قالها فى مغن فارسى ويلونها بقوله ^(٣) :

وصوت لبنى الأحرا ر أهل السيرة الحسنى

واليتان الآخران مفردان ، أى أن كل بيت منهما من وزن وقافية مختلفين . عن الآخر ، أحدهما يقول فيه ^(٤) :

ونطمع أن يطيعك قلب سعدى وترعسم أن قلبك قد عصاكا
والآخر يقول فيه ^(٥) :

قمر يحمل شمساً من رحيق المسروان

ويلو أن كل بيت من هذين ينتمى إلى قصيدة . ولكن القصيدتين لم تصل إلينا . كما أنهما لم يذكرأ فى مصدر آخر غير الموازنة . وبذلك يكون الآمدى قد أضاف جديدا إلى مجموع شعر الحسين وإن كان ذلك قليلا .

وبعد ذلك نلتقى بأبى جعفر بن محمد بن العباس المعروف بأبى حيان التوحيدى (ت ٣٨٠ هـ) فى كتابه « الأدب والإشياء » الذى ذكر فيه سبعة عشر بيتا ،

(١) المولف والمختلف ص ١١٣ .

(٢) انظر تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٩ ومجالس طلب ص ٤٢٣ والأمال ص ١٨٣ ط دة الكتب وذيل السط ص ٨٥ والتحف والأكوار ص ٦٤ .

(٣) الموازنة ص ٧٢ ط سنة ١٩٤٤ . (٤) قصه ص ٢٨١ .

(٥) نفسه ص ٢٨٤ .

ولكنه لم ينسب منها للحسين سوى بيتين^(١) وردا من قبل في الأغاني . أما الأبيات الأخرى فيها مقطوعة من ثمانية أبيات سبق ذكرها في «الموشى» و«الأغاني» وقال أبو حيان في تقديمها : «وأشد ابن الأعرابي فيما روى ابن مقسم عن ثعلب» . ومطلما^(٢) :

وصلتكم جهدى وزدت على جهدى فلم أرفيكم من يوم على العهد

والمقطوعة الثانية من سبعة أبيات يبدوها بقوله^(٣) :

أتأني عنك ما ليس على مكروهه صبر

وهو لم ينسبها لقاتل ، ولكنها نسبت للحسين في مصادر أخرى جاءت بعده فليس له في روايتها إلا فضل السبق ، ولو نسبها لكان فضله أكثر :

بعده يأتي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) فيذكر في كتابه «الفرج بعد الشدة» من شعر الحسين ما يتفق وعنوان الكتاب ؛ يذكر أربعة أبيات من قصيدته التي حاول بها استرضاء المأمون^(٤) كما يذكر تسعة أبيات من رثائه الأمين الذي عرض فيه بالمأمون^(٥) . ومع أن التنوخي ينقل الخبر والأبيات عن أبي الفرج الأصفهاني ، فإنه قد زاد عليها ثلاثة أبيات جديدة لم ترد في الأغاني أو أى مصدر آخر قبله . ويذكر أيضا أربعة أبيات يسترضى فيها المعتصم لغضبه عليه^(٦) وستة أبيات في هجاء العباس بن المأمون لإرضاء للمعتصم أيضا^(٧) . وكل هذه الأبيات وردت في الأغاني . ومجموع ما ذكره من شعر الحسين ثلاثة وعشرون بيتا ليس فيها جديد إلا الأبيات الثلاثة التي أشرنا إليها . وهى التى جعلت لهذا المصدر بعض الأهمية .

-
- (١) الأدب والإنشاء ص ٩١ ط الجوائب سنة ١٣٠١ وانظر البيتين في الأغاني ج ٢ ص ٢٠٥ ط دار الكتب .
- (٢) الأدب والإنشاء ص ٢٥ ط الجوائب سنة ١٣٠١ وانظر الأبيات في الموشى ص ١١٤ ط سنة ١٣٠٢ .
- (٣) الأدب والإنشاء ص ٩٢ .
- (٤ ، ٥) الفرّج بعد الشدة ج ١ ص ٧١ - ٧٢ ط ١٩٠٣ .
- (٦) المصدر السابق ج ١ ص ٧٢ .
- (٧) المصدر السابق ج ١ ص ٧٢ .

يأتى بعد ذلك أبو الحسن على بن محمد المعروف بالشابى (ت ٣٨٨ هـ) الذى يروى فى كتابه «الديارات» مجموعة طيبة من شعر الحسين تبلغ ثلاثة وستين بيتا ، ومعظمها مقطوعات وقصائد جديدة لم يذكرها مصدر سابق له . فيها حوالى ستة وثلاثون بيتا ، يعد الشابى أول من رواها فى كتابه : وقد رويت فى مصادر أخرى بعده . ومنها أيضا حوائى عشرة أبيات لم تذكر فى أى مصدر آخر سابق أو لاحق . فلما سبق به قصيدة من اثني عشر بيتا قالها فى منزله يبارى يبدوها بقوله^(١) :

أما نأجلك بالنظر القصيصح وأن إليك من قلب قريح

وقصيدة أخرى من اثني عشر بيتا أيضا قالها فى دير مرجس ويبدوها بقوله^(٢) :

أخرى حى على الصبوح صباحا هيا ولا نعلنا التديم رواحسا

ومقطوعة من خمسة أبيات قالها فى «دير سابير» يبدوها بقوله^(٣) :

وعواتق ياشرت بين حلائق ففضضهن وقد حسن صحاحا

ومقطوعة من أربعة أبيات قالها فى «عمر مريوثان» يبدوها بقوله^(٤) :

أذنك الناقوس بالفجر وغرد الراهب فى العدر

ومقطوعة من سبعة أبيات قالها فى «دير مديان» ذكر منها أربعة أبيات فى الأغاني وهى التى يبدوها بقوله^(٥) :

حث المسام فإن الكأس مرعة مما يهيج دواعى الشوق أحيانا

(١) الديارات ص ٣٨ - ٣٩ ط سنة ١٩٥١ .

(٢) نفسه ص ١٥١ وفى الأغاني منها ثلاثة أبيات ص ١٦٢ .

(٣) نفسه ص ٣٥ . (٤) نفسه ص ١٦٦ .

(٥) نفسه ص ٢١ .

أما الأبيات التي انفرد بذكرها دون غيره من المصادر، فمنها مقطوعة من ستة أبيات يعتلز بها للمتوكل ويستغفبه من خلعتة أو منادمتة ويلقوها بقوله: (١)

أسلفت أسلافك فيما مضى من خلعتي إحلى وستينا
وهناك غير هذه المقطوعة أربعة أبيات أخرى الباقية متناثرة في القصائد السابقة.

أما المقطوعات الأخرى فكلها سبقت روايتها في الأغاني وغيره من المصادر منها مقطوعة من أربعة أبيات. في شفيح خادم المتوكل (٢). وأربعة أبيات في مجلس صالح بن الرشيد (٣) وأربعة دبر مديان (٤) ومقطوعة من خمسة أبيات في بسر (٥) وبيتان في رثاء الأمين (٦). وغير ذلك بيتان لم يلبسهما للحسين وهما معروفان له (٧).

وفي كتاب «الجليس والأنيس» للمعاني بن زكريا النهرواني (ت ٣٩٠هـ) لا يذكر سوى بيتين في سياق قصة حجة الخزائي حدثت بين الحسين وأبي نواس (٨) وهذه قد سبق ذكرها في الأغاني وطبقات الشعراء، وإنما نذكر هذا المنصر على سبيل الحصر.

وفي كتاب «الوساطة» لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) يذكر بيتين للحسين لم يذكرهما مصنف قبله، أحدهما بقول فيه (٩):

أما تقرأ في عيـني عنوان الذي عنلى
ولم يذكر هذا البيت بعده إلا في معاهد التنصيص.

-
- | | |
|---|-----------------|
| (١) الديارات ص ٣٦ . | (٢) نفسه ص ٣٨ . |
| (٣) نفسه ص ٣٩ . | (٤) نفسه ص ٣١ . |
| (٥) نفسه ص ٣٧ . | (٦) نفسه ص ٤٦ . |
| (٧) نفسه ص ٤٣ وانظر الموشى ص ١١٤ . | |
| (٨) الأنيس والجليس مخطوط رقم ٥٧٢ ورقة ٣٨ . | |
| (٩) الوساطة ص ٣٩٩ ط سنة ١٩٥١ وانظر معاهد التنصيص ج ١ ص ٤٩ ط ١٦ ١٣ . | |

والبيت الآخر يقول فيه^(١) :

وجدت ألد العيش فيما بلوته ترقب مشتاق زيارة شائق

وقد ذكر بعده في «التبيان» للمكبرى ، وشرح ديوان أبي الطيب
لواحدى :

وبعد يأتى أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) فيذكر فى كتابه ديوان
للمعانى ، أحد عشر بيتا للحسين منها بيت جديد لم يسبق وروده فى مصدر
آخر وهو قوله^(٢) :

أنبست سكرًا بسكر وابتعت خمرًا بتمر

وقد ذكر هذا البيت بعد ذلك فى «محاضرات الأدباء» للراغب
الأصبهاني .

وذكر أبو هلال بيتا آخر جديدا ضمن خمسة أبيات للحسين فى مدح
الأمموم ومع أن هذه الأبيات ذكرت فى مصادر كثيرة سابقة ولاحتة ،
فإن هذا البيت لم يذكره أحد سواه ، وهو قوله^(٣) :

فالى شفيع عند حسنك غيره ولا سبب إلا اتمسك بالسود

وهذين البيتين يعد العسكري من أضافوا جديدا إلى مجدوع شعر الحسين
أما بقية الأبيات التى ذكرها فقد سبق ورودها فى الأغاني وغيره ، وهى
ثلاثة أبيات فى قصة جبة الخز^(٤) وبيتان من مقطوعة غزلية^(٥) .

(١) الراسطة ص ٣٩٤ وانظر التبيان ج ٢ ص ٣٠٢ وشرح ديوان أبي الطيب لواحدى
ص ٤٩٨ .

(٢) ديوان المعانى ج ١ ص ٢٠٢ ط سنة ١٣٥٢ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢٠٦ وانظر الأبيات فى الأغاني ج ٧ ص ١٦٥ والفرج بعد الشدة
ج ١ ص ٧١ ونهاية الأرب ج ٣ ص ٢٥٦ ط سنة ١٩٣٠ وممالك الإبصار (مخطوط) ج ٩
ص ٢٩٣ وحيون التواريخ (مخطوط) ج ٧ حوادث سنة ٢١٨ فهذه المصادر هى التى ذكرت
الأبيات كاملة .

(٤) ديوان المعانى ج ٢ ص ٢٢٥ . (٥) نفسه ج ١ ص ٢٧٣ .

وفى كتابه الصناعتين يذكر أبو هلال يمين ، ولكنه لا يؤكد نسبتهما
للحسين لأنه يقدم لها بقوله وقال العباس بن الأحنف أو الخليج وأولهما
قوله^(١) :

قد سبب الناس أذبال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فسرقا

وقد ورد هذان البيتان مع بيت ثالث فى ديوان العباس بن الأحنف^(٢)
ولهذا لا يمكننا التأكد من نسبتهما للحسين :

ويبدأ القرن الخامس الهجرى فقتل المصادر التى تروى شعر الحسين ،
ولا نكاد نجد فيه نصف عدد المصادر التى وجدناها فى القرن الرابع ، ويمر
الربع الأول منه دون أن نصادف أحدا حتى نلتقى بالإمام أبى منصور الثعالبي
(ت ٤٢٩ هـ) الذى لا يذكر فى كتبه سوى ثمانية أبيات نسبها للحسين
فى كتابه « أحسن ما سمعت » . ولم ينسبها له فى كتابه « المتحل » وإنما قال فى
تقديمه لها « قال محمود ويروى لغيره »^(٣) وهذه ذكرت من قبل فى « الأدب
والإنشاء » دون أن تنسب أيضا . فالثعالبي هو أول من نسبها للحسين :
ولكننا لا نلرى السبب فى عدم تأكيد نسبها مرة أخرى فى كتابه الآخر :
وهذه الأبيات هى التى تبدأ بقوله^(٤) :

أتانى عنك ما ليس على مكروهه صبر

(١) الصناعتين ص ٢٨٨ ط سنة ١٩٥٢ .

(٢) انظر الأبيات فى ديوان العباس بن الأحنف .

(٣) المتحل ص ١٢٨ ط التجارية سنة ١٩٠١ .

(٤) أحسن ما سمعت ص ١٥٣ - ١٥٤ ط سنة ١٣٢٤ وانظر الأدب والإنشاء ص ٢٩

ط سنة ١٣٠١ .

ويذكر الثعالبي أربعة أبيات أخرى في كتابه «رسائل متخبة» أو «مستخبات الكناية» ولكنه ينسبها لسعيد بن حميد . وقد نسبت للحسين من قبل في الأغاني وهي التي تبدأ بقوله^(١) :

ألت تـرى ديمة تـهـطل
وهـذا صـباحك مـستقبـل
كما يـذكر يـتـين آخـرين في كتابه « من غاب عنه المطرب » ولم ينسبها لأحد ، وقد نسبها للحسين في مصادر أخرى جاءت بعده . وأولها قوله^(٢) :

الـحـمر تـفـصـح غـدا ذائـبا
كـذلك التـفـصـح خـمر حـمد
فالـثـعالـبي لم يـفـدنا كـثـيرا عـلى كـثـرة كـتـبه . ولم يـقـدم لـنا إـلا تـلك الأبيات الثمانية منسوبة مرة للحسين وأخرى لغيره . وكنا نتوقع أن نجد في كتابه قيمة الدهر^(٣) شعرا للحسين ولكن خاب ظننا إذ لم يذكر له فيه بيتا واحدا : كما لم يذكر شيئا من شعره مع ترجمته التي كتبها في « المتحل » .

ثم التفتي بعده بأبي سعيد محمد بن أحمد العميدى (ت ٤٣٣ هـ) في كتابه « الإبانة عن سرقات المتنبي » الذي يروى فيه للحسين سبعة أبيات جديدة لم يسبق ذكر أى بيت منها في مصلر آخر . ومنها بيتان ذكرا في مصادر أخرى لاحقة ويبدوها بقوله^(٤) :

صـل بـخـدى خـديـك تـلق عـجـيبـا
مـن مـعـان بـحـار فـيـها الضـمـير
أما الأبيات الخمسة الأخرى فلم ترد في مصلر آخر سابق أو لاحق ، وحتى كتاب « أشعار الخليل » الذي جمع فيه الأستاذ عبد الستار فراج « شعر الحسين لم يذكر فيه هذه الأبيات . ويبدو أنه لم يرجع إلى هذا المصلر لأنه لم يشر إليه في مصادر البيتين السابقين^(٥) .

(١) رسائل متخبة ص ١٩٤ ط سنة ١٣٠١ وانظر الأبيات في الأغاني ج ٧ ص ١٧٩

(٢) من غاب عنه المطرب ص ٤٤ ط بيروت سنة ١٣٠٩ .

(٣) أشار الأستاذ عبد الستار فراج في أشعار الخليل ص ٨٧ إلى ورود الأبيات التي تبدأ بقوله : وشاطري السان مخطئ لتكريه شاب المجون في قيمة الدهر ج ١ ص ١٣٩ ولكن لم أمر عليها في أى جزء من القيمة .

(٤) الإبانة عن سرقات المتنبي ص ١٨٤ ط دار المعارف سنة ١٩٦١

(٥) انظر أشعار الخليل ص ٥٨ ط دار الثقافة بيروت .

ومن الآيات يتان يقدمهما العميد بقوله : « وقال الخليل الأكبر »
وهما^(١) :

تعود البذل والإنعام في صغر فليس ينك في جود وأفضال
وجاد بالمال حتى قال سائله كأنه ليس يدري قيمة المسال

وبيت آخر ينسبه أيضا إلى الخليل الأكبر وهو^(٢) :

وخير بلاد الله عندى بسلة أنال بها عزا وأحوى بها حسنا

ولا شك أنه يقصد بالخليل الأكبر الحسين بن الفضل ، وإن كان قد
أضاف إلى لقبه صفة الأكبر . وليس بين الخلعاء الذين ذكرهم المرزباني
في معجم الشعراء^(٣) من يوصف أو يسمى بالأكبر . والدليل على أن العميد
يقصد به الحسين أنه لم يترجم لأحد من الخلعاء في كتابه سوى الحسين فهو
في نظره أكبرهم وأجلهم بأن يترجم له .

أما البيتان الباقيان فإنه يذكر قبلهما بيتا للمتنبي ثم يشير إلى أنه أخذه
من قول الخليل دون أن يصفه بالأكبر وهما^(٤) :

أغنيت من هو سائل لك ثم قد أصبحت تسأل أين من لم يسأل
لأن قيل مات هواه لم يجمل به أو قيل مات من الأوى لم يجمل
ولعل العميد لا يلزم نفسه بذكر هذه الصفة في كل مرة .

هذه الآيات التي انفرد العميد بذكرها في كتابه مع البيتين اللتين
سبق بذكرهما المصادر الأخرى ، جعلت كتابه من المصادر المهمة التي
أضافت جديدا إلى مجموع شعر الحسين على الرغم من قلة عددها .

(١) الإيالة عن سرقات المتنبي ص ٦٣ ط سنة ١٩٦١

(٢) نفسه ص ٧٨ .

(٣) انظر معجم الشعراء ومعه المؤلف واختلف ص ١١٣ - ١١٤ ، ٤٥٢ لصرف

من لقبوا بلقب الخليل . (٤) الإيالة ص ٢١٦ .

وفي كتاب (أمالى المرتضى) وهو الشريف أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين (ت ٤٣٦ هـ) نجد خمسة أبيات للحسين^(١) سبق ذكرها في كتاب (الزهرة) وبيتين لم ينسبهما^(٢) وقد سبق ورودهما في المؤلف والمختلف ومتنوين للحسين فهو مصدر قليل الأهمية لم يصف جديدا .

وفي كتاب العملة لأبي الحسن بن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) لا نجد سوى أربعة أبيات للحسين ، ليس فيها جديد غير بيت واحد هو قوله^(٣) :

لقيد ملأت عيني بفر محاسن ملآن فوادي لوعة وهموما

وهو بيت لم يذكر الأستاذ عبد الستار فراج هذا المصدر من بين مصادره^(٤) .

أما الأبيات الثلاثة الأخرى ففيها بيتان في الغزل بالذكر^(٥) ذكرنا من قبل في الأغاني وطبقات الشعراء . وبيت في قصة صلاة الشعراء^(٦) ذكر من قبل في ديوان أبي نواس فأهمية كتاب العملة ترجع إلى البيت الجديد الذي ذكره فحسب .

وبعد أكثر من ثلاثين عاما يأتي أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) فيذكر في كتابه «معجم ما استعجم» . تسعة عشر بيتا لم يذكر منها في مصادر سابقة إلا ثلاثة أبيات قالها في دير مران^(٧) وثلاثة أبيات قالها في

(١) انظر أمال المرتضى ج ٣ ص ١٣٢ ط سنة ١٩٠٧ والزهرة ص ١٦٦ .

(٢) انظر أمال المرتضى ج ٢ ص ١١٤ والمؤتلف والمختلف ص ١١٣ .

(٣) العملة ج ١ ص ٣٣٤ ط سنة ١٩٦٣ .

(٤) انظر أشعار الخليج ص ١٠٧ .

(٥) العملة ج ٢ ص ١٨١ ط سنة ١٩٦٣ وانظر البيتين في طبقات الشعراء ص ٢٧٠

والأغاني ج ٧ ص ١٥٥ .

(٦) العملة ج ٢ ص ٩٢ وانظر ديوان أبي نواس ص ٤١ ط آصاف وديوان مسلم

ص ٢٧١ ط لندن .

(٧) معجم ما استعجم ص ٦٠٢ ط سنة ١٩٤٧ تحقيق الأستاذ مصطفى السقا .

عمر مريونان^(١) أما الأبيات الأخرى ففيها مقطوعة من ستة أبيات قالها في
عمر نصر بسامراء ، وتبدأ بقوله^(٢) :

يا عمر نصر لقد هيئت ساكنة هاجت بلابل صب بعد إقصار

وهي مقطوعة جديدة لم يذكرها مصلر قبله . وذكرت بعده في « معجم
البلدان » ومنها سبعة أبيات في قصيدة قالها أيضا في عمر نصر تبلغ عشرة
أبيات ، وقد ذكرنا أن الأبيات الثلاثة الأولى منها هي التي ذكرها الشاشي
في عمر مريونان وتبدأ بقوله^(٣) :

آذاك الناقوس بالفجر وغرد الراهب في العمر

ويلاحظ أن الأستاذ عبد الستار فراج لم يرجع إلى معجم البكري في
جمعه لشعر الحسين ، لأنه لم يشر إليه في أية مقطوعة أو قصيدة . كما أنه لم يذكر
قصيدته هذه كاملة كما ذكرها البكري ، وإنما اكتفى بذكر أربعة أبيات
منها نقلا عن الشاشي وياقوت ، علما بأن البيت الرابع لم يذكره البكري ؛
وقد ذكر بقية القصيدة في الهامش نقلا عن ديوان أبي نواس الذي نسبت
القصيدة إليه^(٤) ولو رجع إلى « معجم ما استعجم » . لوجدناها منسوبة إلى
الحسين ولأنبتها ضمن شعره اعتمادا عليه .

ومن ذلك نرى مدى أهمية هذا المصنوع الذي أضاف ثلاثة عشر بيتا
جديدا إلى مجموع شعر الحسين منها أربعة أبيات لم يذكرها مصلر آخر سواء ،
فأثبت بها قصيدة له كانت شبه مفقودة أو مشكوكا في نسبتها إليه .

(٢) نفسه ص ١٠٩٠ .

(١) نفسه ص ١٠٩١ .

(٣) نفسه ص ١٠٩١ .

(٤) انظر أشتار الخليج ص ٦١ والديارات ص ١٦٦ ومعجم البلدان ج ٢ ص ٧٠١ .
البريدج وديوان أبي نواس ص ٨٢ سنة ١٩٥٣ تحقيق أحمد عبد الحميد النزال ويلاحظ أن في
القصيدة المنسوبة إلى أبي نواس بيتين جديدين لم يذكر في قصيدة الحسين كما أن في معجم ما استعجم
بيتا جديدا لم يذكر في ديوان أبي نواس وبيتا برواية مختلفة .

والبكرى كذلك كتابه «صمط اللالي» الذى ذكر فيه أربعة أبيات^(١) للحسين سبق ذكرها فى الحيوان الجاحظ . وهو وإن لم يصف بها جديدا فإنه قد زاد فى تأكيد نسبتها له، إذ أنها تروى فى مصادر أخرى لأبي نواس ولغيره .

ومع البكرى يأتى أبو إسحاق الحصرى القبروانى الذى توفى بعلمه بعسام واحد (ت ٤٨٨ هـ) فيذكر فى كتابه «زهر الآداب» خمسة عشر بيتا للحسين، ليس بينها جديد سوى بيتين لم يذكر فى أى مصدر آخر قبله أو بعلمه . ويبدو مما يتوله^(٢) :

وماذا يفيلك طيف الحيا ل والمجر حظك ممن تحب

أما الأبيات الأخرى فقد وردت كلها من قبل فى الأغاني وغيره : وهى : مقطوعتان مشهورتان فى شفيح خادم المتوكل، كل واحدة من أربعة أبيات^(٣) ومقطوعة من ثلاثة أبيات فى مجلس صالح بن الرشيد^(٤) وبيتان مشهوران فى الغزل بالمذكر^(٥) .

وغير ذلك يوجد بيتان^(٦) نسبنا للحسين خطأ مع أنهما مشهوران للمتنبى : وقد نقلهما عنه الأستاذ عبد الستار فراج فى أشعار الخليل^(٧) فوقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه القبروانى . كما أن الحصرى نسب بيتين آخرين لعمد ابن يزيد الأموى^(٨) وقد وردا فى مصادر كثيرة منسوين للحسين ضمن مقطوعة من أربعة أبيات^(٩) .

(١) صمط اللالي ط سنة ١٩٣٦ تحقيق المعنى وانظر الأبيات فى الحيوان الجاحظ ج ٥ ص ٤٨٠ ط الحاي تحقيق دارون .

(٢) زهر الآداب ج ٣ ص ١٢١ ط سنة ١٩٢٥ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٢ وانظر الأبيات فى الأغاني ج ٧ ص ١٧١ .

(٤) نفسه ج ٣ ص ١٢١ والأغاني ج ٧ ص ١٦٨ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ١١٤ والأغاني ج ٧ ص ١٥٥ .

(٦) نفسه ج ٢ ص ١٦٣ وانظر البيت فى ديوان المتنبى وأولها قوله :

بأنى من وددته فافترقا وقضى الله به ذلك اجتمعا

(٧) أشعار الخليل ص ٧٦ . (٨) زهر الآداب ج ١ ص ٨٥ .

(٩) النظر الأبيات فى الأغاني ج ٧ ص ١٧٤ ومجموع الأدباء ج ١ ص ١٥ - ١٦ .

وهكذا نرى أن أهمية هذا المصدر ترجع إلى اليتيم الجديدين اللذين انفرد بذكرهما فأضاف بذلك جديدا إلى مجموع شعره .

ومن أعلام القرن الخامس الهجري إبراهيم بن محمد البيهقي صاحب «الحاسن والمساوي» الذي روى فيه مقطوعتين للحسين لم يذكرهما مصدر آخر قبله أو بعده إحداهما من ستة أبيات تبدأ بقوله (١) :

كم لك لما احتمل القطبين من زفرة يتبعها الأنين
والثانية من ثلاثة أبيات تبدأ بقوله (٢) :

أطيب الضيقات أمر ونهى لا يردان في الأمور الحسام

وانفراد البيهقي برواية هذه الأبيات يجعل كتابه من المصادر الهامة لشعر الحسين، لأنه أضاف بها جديدا إلى مجموع شعره، وخاصة بعد وفاته بقرنين أو يزيد .

وهو يذكر غير ذلك بيتين للحسين (٣) أحدهما في هجاء المأمون والآخر في ملحه ، وقد سبق ذكرهما في مصادر متعددة .

وفي نهاية القرن الخامس نلتقي « بمحاضرات الأدباء » للراغب الأصبهاني (ت ٥٠٠ هـ) الذي يذكر في كتابه ثمانية أبيات . منهما بيتان جديدا لم يذكر في مصدر آخر سواه ويبدو أن بقوله (٤) :

غزال ما اجتلاه الطرف إلا تحير في ملاحسة وجنتيه

(١) الحاسن والمساوي ج ٢ ص ٩١ ط سنة ١٩٠٦ .

(٢) نفسه ج ١ ص ٢١٢ . (٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٩٢ .

(٤) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٠ ط سنة ١٣٢٦ .

أما الأبيات الستة الأخرى ، فنها مقطوعة من أربعة أبيات^(١) قالها لما عريد عليه إبراهيم بن المهدي ، وقد وردت في الأغاني وغيره . وبيت في المجون^(٢) وآخر في الغزل بالمذكر^(٣) . وهذا البيت لم يذكره الأستاذ فراج في أشعار الخليل ، وقد ورد البيتان أيضا في مصادر سابقة .

وترجع أهمية هذا المصدر إلى اثنتين الجديدين اللذين انفرد بذكرهما فأضاف بهما جديدا إلى مجموع شعره :

وفي القرن السادس الهجري لا نجد غير مصدر واحد هو « التاريخ الكبير » أو تاريخ ابن عساكر لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (ت ٥٧١ هـ) الذي ذكر فيه ثلاثة وثلاثين بيتا للحسين منها ثمانية أبيات جديدة لم تذكر في مصدر آخر سواء . وهي مقطوعتان كل واحدة من أربعة أبيات تبدأ إحدهما بقوله^(٤) :

وأحور محسود على حسن وجهه يزيد تماما حين يبدو على البلسر وتبدأ الأخرى بقوله^(٥) :

ومسترق للحظ لم يظهر الجوى يريد يتاجني فيمنعه الججل
أما الأبيات الأخرى فقد وردت كلها في مصادر سابقة وهي : مقطوعة من أربعة أبيات في دير مران^(٦) . وأربعة في مدح المأمون^(٧) ، وخمسة في وصف كيلة ماجنة^(٨) وأربعة في مقحم غلام ابن شغوف^(٩) وخمسة دعوة الشعراء^(١٠) للاجتماع في داره للهو والمجون : وبيتان في قصة نجاة الخنز^(١١) وبيت في قصة صلاة الشعراء^(١٢) .

وهذا المصدر يعد من المصادر المهمة لشعر الحسين لأنه أضاف ثمانية أبيات جديدة إلى مجموع شعره ، بل إنه انفرد بذكرها دون المصادر الأخرى رغم تأخره عن الحسين بما يزيد على قرنين من الزمن .

(١) نفسه ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٢٥ وانظر البيت في ديوان الماني ج ١ ص ٢٠٢ .

(٣) نفسه ج ١ ص ٢٢٧ .

(٤) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٤٠٠ . (ج) نفس المصدر والصفحة .

(٥) (٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، (١١) ، (١٢) نفس المصدر السابق ج ٤ ص ٢٩٧ - ٣٠١ .

ويأتي القرن السابع الهجري فلتقي بسبعة مصادر أولها « بدائع البدائة »
لعلي ابن ظافر الأزدى (ت ٦١٣ هـ) الذي ذكر في كتابه ستة أبيات من
شعر الحسين تتفق مع عنوانه ، فنها مقطوعة من أربعة أبيات قالها في شفيع
خادم المتوكل^(١) . وبيت أجاز به بيتا لأبي العتاهية حين وجد باكية تبكي
على مقبرة^(٢) ، وبيت في صلاة الشعراء^(٣) . وكل هذه الأبيات سبق ورودها
في مصادر متعددة .

وبعد يأتى أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي (ت ٦١٩ هـ)
فيذكر في كتابه « شرح المقامات الحريية » حوالا سبعين بيتا للحسين ،
كلها إنما سبق ذكره في الأغاني وغيره من المصادر ، علما يبين قالها في
هجاء رجل اسمه سابور ويملؤها بقوله^(٤) :

سابور وحسك ما أخسك بل أخسك بالعيوب

فلم يذكر أى مصدر آخر هذين البيتين من قبل ، بينما ذكر منهما البيت
الثاني في « طرار المجالس » بعد ذلك .

أما الأبيات الأخرى فعظمها مقطوعات في الخمر والمجون والغزل . منها
أربعة أبيات كتبها إلى الفتح بن خاقان^(٥) يدعوهُ إلى مجلس الشراب بعد
يرثه من مرضه على لسان الوائق ، وخمسة أبيات قالها في مجلس الحسن بن سهل
يتغزل في غلامه^(٦) ويطلب عذد مجلس الشراب ، وثلاثة أبيات ثم خمسة
أخرى متغزلا في الغلام أيضا^(٧) وبيتان يحكى فيهما ما كان بينهما^(٨) وأربعة

(١) بدائع البدائة ص ١٩٢ ط سنة ١٢٧٨ .

(٢) نفسه ص ٨٣ على هامش معاهد التنصيص ط سنة ١٣١٦ .

(٣) نفسه ص ١٢٣ ط سنة ١٢٧٨ .

(٤) شرح المقامات الحريية ج ٢ ص ١٤٠ ط سنة ١٢٨٤ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ٤٢١ . (٦) نفسه ج ٢ ص ٤٢١ .

(٧) نفسه ج ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٢ . (٨) نفسه ج ٢ ص ٤٢٢ .

آيات يحكى فيها ما حدث في ليلته^(١) وكل هذه المقطوعات ، ذكرت في الأغاني ولكن بصورة أوسع ، فثلاثة منها رواها أبو الفرج قصائد تزيد على عشرة آيات ، والرابعة مقطوعة من ستة آيات ذكر منها هنا ثلاثة : فكأنه يحاول اختصار رواية الأغاني . وغير ذلك يذكر ثلاثة آيات مشهورة في مدح المأمون^(٢) وأربعة مشهورة كذلك في شفيح غلام المتوكل^(٣) وأربعة في استرضاء جارية للوائق^(٤) وأربعة في الغزل كان المتوكل ينشد لها معجبا بها^(٥) . وبيتا في الغزل^(٦) ذكره على أن فيه حسن ترديد ، وكل هذه المقطوعات وردت في الأغاني وغيره من المصادر السابقة كما عرفنا .
فهذا المصدر لا يفيدنا كثيرا لأنه لم يأت بجديد غير بيتين .

ويأتى ياقوت الروى الحموى (ت ٦٢٦ هـ) بكتايبه « معجم الأدباء » و « معجم البلدان » فيذكر في أولها تسعة وتسعين بيتا للحسين ، ايس بينها جديد سوى بيتين في الخمر والمجون يدومهما بقوله^(٧) :

ألا إنما الدنيا وصال حبيب وأخذك من مشولة بنصيب

فلم يذكرهما مصدر سابق وإنما ذكرنا بعد ذلك مع بيتين آخرين في « نهاية الأرب » ، أما الأبيات الأخرى فقد ذكرت في الأغاني وغيره ، وهى تشمل قصيدته في مدح المعتصم^(٨) وقصيدته في مدح الواثق^(٩) وهما طويلتان تبلغ الأولى واحدا وعشرين بيتا والثانية خمسة وعشرين بيتا . ثم مقطوعة من تسعة آيات في مدح الحسن بن سهل^(١٠) ، ومقطوعتان في مدح المتكسر^(١١) كل واحدة من أربعة آيات ، ومقطوعة في استرضاء المعتصم^(١٢) من أربعة آيات ، وستة أبيات قالها وقد عمر^(١٣) ومقطوعة من ثمانية آيات في الغزل

(١) قصه ج ٢ ص ٤٢٢ . (٢) قصه ج ٢ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .

(٣) قصه ج ٢ ص ١٦٤ . (٤) قصه ج ٢ ص ١٨٢ .

(٥) قصه ج ٢ ص ٤٠١ . (٦) قصه ج ١ ص ٤١٩ .

(٧) معجم الأدباء ج ١٠ ص ١٦ ط وزارة المعارف وانظر نهاية الأرب ج ٤ ص ١١٩

الطبعة الثانية سنة ١٩٣٠ .

(٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٨ - ٢٢ .

(١٣) قصه ج ١٠ ص ١٤ - ١٥ .

بالمذكر^(١) وأخرى من خمسة أبيات في الساقى^(٢) ، وثلاثة أبيات في نفس
الفرس وأربعة أخرى كذلك^(٣) ويبتان في رثاء الأمين^(٤) ويبتان قالها على
لسان أحد النعماء^(٥) . وكل ذلك مما سبق ذكره في الأغاني وغيره من
المصادر :

أما «معجم البلدان» فهو مصدر أكثر أهمية من معجم الأدباء ، وإن
كان ما ذكره من أبيات أقل عددا . وذلك لأن فيها ذكره جديدا . فجموع
ما ذكره من شعر للحسين أربعة وخمسون بيتا ، بينها خمسة عشر بيتا جديدا ،
منها ثلاثة عشر بيتا لم تذكر في مصدر آخر سواه ، وهي مقطوعتان في
تفضيل مدينة سر من رأى على بغداد كل واحدة من خمسة أبيات تبدأ
الأولى بقوله^(٦) :

سر من را أسر من بغداد قاله عن بعض ذكرها المعتاد

وتبدأ الثانية بقوله^(٧) :

على سر من را والمصيف تحية مجللة من مفرم بهواهما

وغير ذلك نجد يبتين جديدين في المقطوعة التي ذكرها للحسين في
عمر نصر^(٨) لأنها من ثمانية أبيات ذكر منها البكرى ستة أبيات فقط في
معجم ما استعجم . وكذلك بيت في القصيدة التي قالها في دير سابور^(٩) لم يذكر
في مصدر آخر وهو البيت السابع ، وفيها يبتان آخران ذكرنا بعده في مسالك
الأبصار ونهاية الأرب .

(١) نفسه ج ١٠ ص ٢٢ .

(٢) نفسه ج ١٠ ص ١٣ . (٣) نفسه ج ١٠ ص ١٥ - ١٦ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٧ . (٥) نفسه ج ٣ ص ٢٤٦ .

(٦) معجم البلدان ص ٣ ص ١٧٦ ط بيروت .

(٧) نفس المصدر والصفحة .

(٨) معجم البلدان ج ٣ ص ٧٢٥ وانظر معجم ما استعجم ص ١٠٩٠ ط سنة ١٩٤٧ .

(٩) معجم البلدان ج ٢ ص ٥١٣ - ٥١٤ وانظر مسالك الأبصار (خطوط) ج ٩

ص ٢٩٢ ونهاية الأرب ج ٤ ص ١١١ ط سنة ١٩٣٠ .

أما الأبيات الأخرى فمنها أربعة أبيات في منزله بباري^(١) واثنان عشر بيتاً في دير مرجس^(٢) وسبعة في دير مديان^(٣) وأربعة في عمر ماريونان^(٤) وبيت في بلدة البذ^(٥) ، هذا عدداً المقطوعتين اللتين أشرنا إليهما عن دير سابور وعمر نصر : وكلها سبق ذكرها في النديارات وبعضها في الأغاني ومعجم ما استعجم والطبرى والتفنيه والإشراف ، كما ذكرنا من قبل في حديثنا عن هذه المصادر :

من هذا ترى أن معجم البلدان أهم مصدر لشعر الحسين فيما يتعلق بذكر الأماكن ، ومع أن ياقوتاً متأخراً عن الحسين بما يقرب من أربعة قرون فإنه قد ذكر له شعراً لم يذكر في مصدر آخر قبله ، وهذا يدل على أن شعر الحسين كان ما يزال متداولاً في ذلك الوقت أو أن ديوانه كان موجوداً بين أيدي علماء العربية ودارسها .

وعلى العموم فإن ياقوت الحموى هو أفضل من كتب عن الحسين وشعره في القرن السابع الهجري ، ثم إنه جمع في كتابه أكبر عدد من أبيات شعر الحسين بعد أبي الفرج :

وبعد ياقوت يأتي ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) صاحب كتاب الكامل في التاريخ ، فيذكر للحسين خمسة وثلاثين بيتاً كلها مما سبق ذكره في مصادر أخرى كالطبرى^(٦) والفرج بعد الشدة والأغاني ، منها قصيدته الفاتية في رثاء الأمين من تسعة عشر بيتاً ينقص بيتين عنها في الطبرى ، ومنها ستة أبيات أخرى في رثائه كذلك^(٧) وردت في الفرج بعد الشدة ووردت منها ثلاثة أبيات في الأغاني ، ومنها خمسة أبيات في قطع خزينة

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٢٢١ ط بيروت .

(٢) نفسه ج ٢ ص ٥١٤ . (٣) نفسه ج ٢ ص ٥٢٣ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٥٢٧ . (٥) نفسه ج ١ مادة (بذ) .

(٦) الكامل في التاريخ ج ٦ ص ١١٨ ط أول سنة ١٣٠١ ، ج ٦ ص ٢٠٤ ط ليدن .

(٧) نفسه ج ٦ ص ١١٩ ط أول ، ج ٦ ص ٢٠٤ ط ليدن .

الحصر^(١) أثناء فتح بغداد وهي في الطبري تسعة أبيات ومنها خمسة أبيات في وصف حال بغداد^(٢) وقت الحرب وقد وردت أيضا في الطبري .

من ذلك نرى أن هذا المصدر لم يأت بجديد يمكن إضافته إلى مجموع الشعر ، فلا أهمية له إلا في ناحية توثيق الأبيات فحسب .

وفي مخطوط «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» . لشمس الدين أبي المظفر يوسف المعروف بسيط بن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) يذكر سبعة أبيات للحسين من قصيدته الثائية في رثاء الأمين^(٣) وقد ذكرت في مصادر كثيرة كما عرفنا ، فهو مصدر قليل الأهمية نذكره على سبيل الحصر .

وفي «شرح المفضنون» لعز الدين أبي المعالي المعروف بالعزى (ت ٦٥٥ هـ) يذكر بيتا واحدا^(٤) من قصيدة له في مدح الوائلي وردت كاملة في الأغاني :
ونذكره أيضا على سبيل الحصر :

وفي «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ثلاثة عشر بيتا^(٥) للحسين مع ترجمته ، اختارها من مشهور شعره في الغزل والمجون ، وكلها مما سبق ذكره في المصادر التي قابلتنا فأهميته قليلة كمصدر لشعر الحسين .

ونختتم مصادر هذا القرن بكتاب «عنوان المرقصات والمطربات» لنور الدين علي بن موسى بن عبد الملك (ت ٦٨٥ هـ) الذي يذكر ثلاثة أبيات للحسين^(٦) من مقطوعته المشهورة في شفيح خادم المتوكل ، وقد مر ذكرها علينا في كثير من المصادر . وإنما نذكر هذا المصدر أيضا على سبيل الحصر .

(١) نفسه ج ٦ ص ١١٣ ط أول ، ج ٦ ص ١٩٤ ط لين .

(٢) نفسه ج ٦ ص ٩٨ ط أول ، ج ٦ ص ١٨٩ ط لين .

(٣) مرآة الزمان (مخطوط) رقم ٥٥١ مجلد ٦ ص ٥٢ .

(٤) شرح المفضنون ص ١٧٤ ط سنة ١٩١٥ .

(٥) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٢ ط بولاق سنة ١٢٩٩ .

(٦) عنوان المرقصات ص ٣٥ ط سنة ١٢٨٩ .

ويأتى القرن الثامن المجرى فتلقى فيه بسبعة مصادر : أولا « نثار الأزهار » لابن منظور جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجي ، (ت ٧١١ هـ) الذى ذكر فى كتابه مقطوعة للحسين من أربعة أبيات تبدأ بقوله^(١) :

أدر الكأس علينا أيها الساقى لنطرب

وقيمة هذه المقطوعة فى أنها جديدة ، بل إنها لم تذكر فى مصدر آخر سواء ولهذا نعدله مصدراً هاما إذ أضاف جديداً إلى مجموع شعر الحسين على تأخره عن زمنه بما يزيد عن أربعة قرون ونصف .

والمصدر الثانى لابن منظور أيضاً وهو « أخبار أبى نواس » ولكنه قليل الأهمية ، إذ لم يأت فيه بجديد ، ولم يذكر إلا الأبيات الخمسة التى قالها الحسين فى دعوة الشعراء لعقد مجلس اللهو فى داره^(٢) وقد سبق ذكرها فى عدة مصادر كما عرفنا ، وغير ذلك فإنه ينسب لأبى نواس مقطوعة^(٣) معروفة للحسين قالها لما عربد عليه إبراهيم من المهلى .

بعد ذلك يأتى أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣ هـ) الذى يذكر فى كتابه « نهاية الأرب » أربعة عشر بيتا للحسين ، بينها بيتان جديدان فى مقطوعة من أربعة أبيات سبق أن ذكر ياقوت منها بيتين ، وهى التى تبدأ بقوله^(٤) .

ألا إنما الدنيا وصال حبيب وأهلك من مشولة بنصيب

(١) نثار الأزهار ص ١١٢ ط الجوائد سنة ١٢٩٨ -

(٢) أخبار أبى نواس ص ١٣٠ طبع مصر ١٩٢٤ .

(٣) قصه ص ١ ص ٢١٨ .

(٤) نهاية الأرب ج ٤ ص ١١٩ المطبعة الثانية سنة ١٩٣٠ وانظر مسر الأديب ج ١ ص ١٦٠ .

أما الأبيات الأخرى ففيها خمسة في مدح المأمون^(١) وبيت في هجائه^(٢) وبيت في الخمر^(٣) وبيتان في المحون^(٤) وبيت من قصيدة في مدح الواثق^(٥) وغير ذلك يذكر التويرى قصيدة في مغن فارسي^(٦) وينسبها لمحمد بن بشير وقد سبق أن نسبت منها خمسة أبيات للحسين في مصلدين . كما نسب يبتين لإحقاق الموصلي^(٧) منجدهما فيما بعد منسوبين للحسين في عيون التواريخ وترجع أهمية هذا المصدر إلى البيتين الجديدين اللذين أضافهما إلى مجموع شعره .
وبعد يأتي شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) فيذكر في كتابه « تاريخ الإسلام » ستة أبيات ، منها مقطوعته المشهورة في « شفيع » وبيتان مما قاله في عمرو بن مسعدة^(٨) .

ويأتي ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) صاحب « مسالك الأبصار » فيذكر في كتابه مجموعة كبيرة من شعر الحسين تزيد أبياتها على المائة بعشرة أبيات ، ولكنها كلها مأخوذة في مصادر سابقة ، عدا بيت واحد انفرد العمري بروايته دون المصادر الأخرى ، وهو قوله^(٩) :

حسبك من جهلك ما قضى الوطر من خاف أسرى ومطايه الخنجر
أما بقية المجموعة فتقسم قسمين ، قسم بالجزء الأول المطبوع من المصدر وأكثر مقطوعاته عن الأماكن التي ذكرها الحسين في شعره ، وقسم بالجزء التاسع المخطوط مع ترجمته وأكثره في الغزل والمحون ، وبه كذلك بعض شعره في الرثاء والمديح والاعتذار . وأبيات الجزء الأول منها مقطوعة من ستة أبيات في دير سابور^(١٠) وثلاثة أبيات في دير مديان^(١١) يكرر منها

(١) نفسه ج ٣ ص ٢٥٦ . (٢) نفسه ج ٤ ص ١٣٢ .

(٣) نفسه ج ٢ ص ١١١ . (٤) نفسه ج ٢ ص ٢٥٧ .

(٥) نفسه ج ٥ ص ١١٧ وانظر الموازية ص ٧٢ وأخبار أبي تمام ص ٢١٤ .

(٦) نهاية الأرب ج ٤ ص ١٢٣ ط أول سنة ١٩٢٥ وانظر عيون التواريخ (مخطوط)

ج ٧ ص ٧١٢ حوادث سنة ٢٥٠ هـ .

(٨) تاريخ الإسلام (مخطوط) رقم ٤٢ ج ١٣ ص ٤٥ ، ٥٢ .

(٩) مسالك الأبصار ج ٩ مخطوط ص ٢٩٢ .

(١٠) مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٧٩ . (١١) نفسه ج ١ ص ٢٧٨ .

يبتين في دير مران^(١) بتغيير الاسم فقط وستة أبيات^(٢) ذكرت من قبل ضمن قصيدة في منزله يبارى ، ولكنه اختار منها أبيات الغزل والمجون ولم يذكر الأبيات التي فيها اسم المكان . وسبعة أبيات في دير مرجس^(٣) وستة أبيات في حانة الشط^(٤) منها البيت الثاني منقول من الأغاني زيادة على أبيات المخطوط كما ذكر في هامش الكتاب . والأبيات الأربعة المشهورة في شفيح^(٥) .

أما أبيات الجزء التاسع فمنها اثنا عشرة مقطوعة في الغزل والمجون^(٦) يتراوح عدد أبيات الواحدة منها بين يبتين وأربعة أبيات عدا مقطوعة واحدة من تسعة أبيات، ونلاحظ أنه كرر بينها مقطوعته في شفيح التي ذكرها في الجزء الأول . ومعظم هذه المقطوعات مأخوذ من قصائد أو مقطوعات طويلة وردت في الأغاني وغيره . وغير ذلك يذكر ثلاثة مقطوعات في رثاء الأيمن^(٧) ومقطوعة في مدح المأمون^(٨) وأخرى في عمرو بن مسعدة^(٩) ومقطوعتين في الاعتذار^(١٠) :

ونلاحظ أنه نسب للحسين يبتين جديدين^(١١) بين هذه المقطوعات لم ينسبهما إليه مصدر آخر . بينما نسبهما أبو الفرج لإسحاق الموصلي في ترجمته بالأغاني . يبدوهما بقوله :

كتسحرا فصرت عبد الحماني من هوى شادن هواه براني

من ذلك نرى أن المسالك مصدر لتوثيق شعر الحسين أكثر منه مصدر لإمداد أو رواية الجديد . طبعي بحكم تباعد الزمن وكثرة المصادر السابقة له .

(١) نفسه ج ١ ص ٢٥٢ .

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٧٩ انظر القصيدة كاملة في الديارات ص ٣٨-٣٩ .

(٣) نفسه ج ١ ص ٢٨٥ . (٤) نفسه ج ١ ص ٢٩٤ .

(٥) نفسه ج ١ ص ٢٨٥ . (٦) مسالك الابصار ج ٩ ص ٢٩١-٢٩٢ .

(٧) نفسه ج ٩ ص ٢٩٢-٢٩٣ . (٨) نفسه ج ٩ ص ٢٩٢ .

(٩) نفسه ج ٩ ص ٢٩٤ .

(١٠) نفسه ج ٩ ص ٢٩٤ .

(١١) نفسه ج ٩ ص ٢٩٤ .

وبعده يأتي ابن شاكر الكتيبي — أبو عبد الله محمد بن شاكر بن أحمد الكتيبي (ت ٨٧٦٤) صاحب « عيون التواريخ » فيذكر للحسين واحداً وخسين بيتاً ، منها تسعة وعشرون بيتاً في الغزل والمجون ليس بينها جديد سوى بيتين وإن كانا قد ذكرا من قبل في « نهاية الأرب » منسوبين لإسحاق الموصلي ، ولم ينسبهما للحسين سوى ابن شاكر ويبدو أن بقوله ^(١) :

كان أباريق المسدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام

وغير هذين البيتين ثمانية مقطوعات ^(٢) من مشهور شعره في المجون والغزل سبقت روايتها في مصادر كثيرة .

أما الأبيات الأخرى فيها ثمانية أبيات من قصيدته في مدح المعتصم ^(٣) ، وخمسة أبيات في مدح المأمون ^(٤) وثلاثة أبيات في رثاء الأمين معرضاً فيها بالمأمون، وستة أخرى في رثائه كذلك ^(٥) وكل هذه الأبيات مما ذكر في المصادر السابقة .

وغير ذلك يذكر مقطوعة من شعره وينسبها للأمين ^(٦) وهي من أربعة أبيات كما يذكر مقطوعة أخرى من أربعة أبيات وينسبها للرقاشي ^(٧) وقد سبق أن نسب بيتان منها للحسين ، وسنبعث ذلك تفصيلاً في الفصل القادم إن شاء الله .

من ذلك نرى أن أهمية هذا المصدر ليست إلا في توثيق الشعر وتحقيق نسبه للحسين ، فهو لم يضيف جديداً إلى مجموع شعره سوى هذين البيتين المشكوك في نسبهما .

(١) عيون التواريخ (مخطوط رقم ١٤٩٧) ج ٧ ص ٧١٠ حوادث سنة ٢٥٠ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ٦٥٩ ، ٦٥٩ - ٧١١ .

(٣) نفسه ج ٧ ص ٧٠٩ .

(٤) نفسه ج ٧ حوادث سنة ٢١٨ ترجمة المأمون ، ج ٦ ص ٣٢١ .

(٥) نفسه ج ٦ ص ٣١٤ حوادث ١٩٨ . (٦) نفسه ج ٦ ص ٣٤٢ .

ونختتم مصادر القرن الثامن «عمرآة الجنان» : لليافعي (أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي — ت ٨٧٦٨ هـ) الذي لا يذكر سوى أربعة أبيات في الفزل^(١) من مشهور شعره الذي روته المصادر السابقة، فهو مصدر قليل الأهمية .

ويأتي القرن التاسع الهجري فنلتقي فيه بخمسة مصادر يعد معظمها قليل الأهمية إذ لا جديد فيها ، وليست إلا تكراراً لما جاءت به المصادر السابقة :

أول هذه المصادر «خزانة الأدب» لابن حجة الحموي (أبو بكر بن علي بن عبد الله ت ٨٣٧ هـ) الذي لا يذكر سوى بيتين من مقطوعته المشهورة في شفيح^(٢) .

بعده يلقانا «المستطرف» لشهاب الدين أحمد الأبهسي (ت ٨٥٢ هـ) وهو أهم مصدر بين مصادر هذا القرن لأنه ذكر أربعة أبيات جديدة لم يذكرها مصدر آخر سواه . منها بيتان يدلّهما بقوله^(٣) :

يا صــــائد الطير كم ذا باللحظ تضيى وتسيى
وبيتان يدلّهما بقوله^(٤) :

بعضى بنار المجرمات حريقاً والبعض أضحي بالدموع غريقاً
وانفراد هذا المصدر برواية هذه الأبيات الأربعة مع تأخره عن الحسين بستة قرون يجعل له أهمية بين المصادر التي حفظت شعره من الضياع ، أو بتعبير أدق حفظت جزءاً من شعره .
ويذكر الأبهسي غير ذلك بيتين^(٥) من قصيدة الحسين ، ولكنه لم ينسبهما لأحد .

(١) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ ط سنة ١٣٢٨ .

(٢) خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ٢٤٦ .

(٣) المستطرف في كل فن مستظرف ج ٢ ص ٢٢ ط بولاق سنة ١٢٦٨ .

(٤) نفسه ج ٢ ص ٢٢٢ . (٥) نفسه ج ٢ ص ٢٥ .

ويلقانا بعده بقليل «عقد الجمان» لبدر الدين الحنفى (ت ٨٨٥٥) الذى يذكر ثمانية وعشرين بيتا ليس بينها جديد ، منها سبعة أبيات من قصيدته الغائية فى رثاء الأمين^(١) وبقيتها أربعة مقطوعات فى الغزل والمجون^(٢).

وفى «حلبة الكميث» (لشمس الدين محمد بن الحسن التواجى (ت ٨٥٥ هـ) يذكر بيتين^(٣) سبق ذكرهما منسوبين لأبى نواس فى ديوانه . فهو أول من نسبهما للحسين . كما يذكر بيتين آخرين^(٤) ينسبهما إلى إسماعيل الموصلى وقد نسبنا للحسين فى عيون التواريخ .

وآخر مصادر هذا القرن هو «النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) وفيه ثمانية أبيات مشهورة ذكرتها مصادر كثيرة منها ثلاثة فى مدح المأمون^(٥) وبيتان فى التعريض به^(٦) وثلاثة فى رثاء الأمين^(٧).

وفى القرن العاشر يلقانا مصبران ضعيفان ، أولهما «تاريخ الخلفاء» لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـ) وفيه يذكر ثمانية أبيات كثر ذكرها فى المصادر السابقة منها خمسة فى مدح المأمون^(٨) وثلاثة فى التعريض به مع رثاء الأمين^(٩).

وغير ذلك يذكر أربعة أبيات على أنها رويت للأمين فى خادمة كوثر ، ثم يذكر أن بعضهم رواها للحسين^(١٠) .

(١) عقد الجمان (مخطوط رقم ١٥٨٤) ج ١٣ قسم ٣ ورقة ٢٨٣ .

(٢) نفسه ج ١٤ قسم ٢ ورقة ٢٨٨ - ٢٩١ .

(٣) حلبة الكميث ص ١١٢ ط ١٢٩٩ .

(٤) نفسه ص ١٤٨ ط سنة ١٢٧٦ .

(٥) (٧٤٦٤٥) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ط دار الكتب سنة ١٩٣٠ .

(٦) (٩٤٨) تاريخ الخلفاء ص ١٢٨ ط سنة ١٣٠٥ .

(٧) نفسه ص ١٢٠ .

وثانيهما « معاهد التنصيص » ، لعبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٣ هـ) وفيه ذكر خمسة أبيات منها بيت في الغزل^(١) ذكر من قبل في الوساطة ؛ ويبدو أن الأستاذ عبد الستار فراج لم يقع عليه في هذا المصدر لأنه لم يشر إليه ، وبيتان^(٢) في الغزل أيضا من مقطوعة ذكرت في مصادر سابقة من أربعة أبيات وبيتان في الخمر^(٣) لم ينسبهما إلى الحسن قبله إلا النواجي في « حلبة الكهيت » وقد سبق أن نسبا إلى أبي نواس .

وفي القرن الحادي عشر تلقانا ثلاثة مصادر ضعيفة كذلك ، ليس فيها جديد أو كثير ، أولها « تزيين الأسواق » لداود الأنطاكي (ت ١٠٠٨ هـ) وفيه يذكر خمسة أبيات ، منها ثلاثة^(٤) أخذت من مقطوعة في ستة أبيات وبيتان^(٥) من مقطوعة في أربعة أبيات .

وثانيها « شذرات الذهب » . لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) وفيه ذكر أربعة أبيات^(٦) من مشهور شعره في الغزل .

وثالثها : « طراز المجالس » . لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٩٦ هـ) وفيه بيت واحد^(٧) من بيتين ذكرنا من قبل في « شرح المقامات » وحده .

وبمر القرنان الثاني عشر والثالث عشر دون مصادر تذكر ، وفي القرن الرابع عشر يذكر البارودي (ت ١٣٢٤ هـ) قصيدة الحسين الحمزية في الخمريات في هامش كتابه « مختارات البارودي » وهو بطبيعة الحال قد نقلها عن ديوان أبي نواس . المصدر الوحيد الذي سجلها ، ولكنه كتبها من تسعة وثلاثين بيتا كما هي في طبعة آصاف لا أربعين كما في طبعة فاجر ، ولم يكن الديوان قد طبع بعد .

(١) معاهد التنصيص ج ١ ص ٤٩ ط سنة ١٣١٦ وانظر اشارة الخليج ص ٤٢ .

(٢) نفسه ج ٢ ص ١٣٠ . (٣) نفسه ج ٢ ص ١٥٤ .

(٤) تزيين الأسواق ص ٢١٥ . (٥) نفسه ص ٢٥٦ .

(٦) شذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٧) طراز المجالس ص ١٣٢ ط ١٢٨٤ .

وأخيراً يجمع الأستاذ عبد الستار فراج شعر الحسين ويحققه ويخرجه في كتاب سماه « أشعار الخليل » وإن يكن قد فاتته أبيات قليلة أشرنا إليها في ذكر مصادرنا . وهي بيت من قصيدة الحسين ^(١) الحميرية زاده فاجرج طبعه لديوان أبي نواس كما عرفنا . وخمسة أبيات في « الإبانة » ^(٢) وسبعة أبيات في « معجم ما استعجم » ^(٣) ، وذلك لأنه لم يرجع إلى هذه المصادر . كما أشرنا إلى بيتين ^(٤) نقلهما خطأ عن « زهر الآداب » منسوبين للحسين وهما لأبي الطيب المتيني . وهي أشياء قليلة بالنسبة للمجهود الكبير الذي بذله في جمع شعره من هذه المصادر المتعددة بعد أن كان متناثراً فيها أو شبه ضائع .

٢ - اختلاط شعره بأشعار معاصريه :

من الظواهر الواضحة بالنسبة لشعر الحسين ، الذي وصل إلينا من هذه المصادر المتعددة عبر القرون كثرة اختلاط شعره بأشعار معاصريه ، وخاصة شعر أبي نواس الذي كان لشهرته أثر كبير في أن ينحله الناس ! أشعار أقرانه من شعراء الخمر والمجون كالحسين وغيره . ومما ساعد على هذا الاختلاط فقد ديوان شعره أو عدم وصوله إلى أيدي أصحاب المصادر التي ورد فيها هذا الخلط ، واعتمادهم في ذلك على رواية لا يوثق بصدقهم أو بصحة رواياتهم .

وتتناول هذه القضية أولاً بين الحسين وأبي نواس لكثرة شواهدنا تعرض للنقاد والمؤلفين لها في عدة مصادر . وأكثر الأغراض التي تعرضت للالتحال شعر الخمر والمجون ، فشهرة أبي نواس فيها كما — يقول الصولي « جعلت الجهال من المتحليين للأدب المدعين لما لا يحسنون منه

(١) مختارات البارودي . (٢) أشعار الخليل ص ١٩ - ٢٢ .

(٣) انظرها في الإبانة صفحات ٦٣ ، ٧٨ ، ٢١٦ ط سنة ١٩٦١ .

(٤) انظرها في معجم ما استعجم ص ١٠٩١ تحقيق الأستاذ السقا .

والمتصلين بغير حق فيه ، والظانين أنهم إذا فهموا فنا من فنون المسلم فقد فهموا كل العلم ، ويريدون أن كل شعر قد قيل وصف الخمر فهو له ، وأنهم أئستوه إذ جهلوا قائله إلى الأولى به عند أنفسهم واحتاطوا فيه ، وذهب عنهم تمييز الكلام وترتيبه ، وتهذيب ألفاظه ، ووضع كل كلمة موضعها وظنوا أن ذلك يذهب على نقاد الشعر العلماء به المميزين له .

فما ذهب عليهم ^(١) ، هذا بالنسبة إلى تحملهم أبا نواس شعر كثيرين من قالوا في الخمر ، أما بالنسبة للحسين ذاته فهو يقول « ولو تعلق بكلام أبي نواس في الخمر والمجون كلام أوشابه مشابهة تحق لكان شعر الحسين بن الضحاك لحذقه وجودته . ولكنه لا ينجح على العلماء بالشعر حتى يميزوه » ^(٢) ويؤكد أبو الفرج ذلك فيقول عن الحسين « وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها ، وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبة الناس إلى أبي نواس وله معان في صفتها ، أبداع فيها وسبق إليها فاستعارها أبو نواس » ^(٣) ويذكر ياقوت مثل ذلك فيقول : « وكان أبو نواس يغير على معانيه في الخمر فإذا قال شيئاً فيها نسبة للناس إلى أبي نواس » ^(٤) . ويقول ابن منظور مؤيداً هذا الادعاء : « كان أبو بحر عبد الرحمن بن أبي الهذاهد شاعراً مجيداً ، وكان لا يكاد يقول شيئاً إلا نسب لأبي نواس وكذلك الحسين ابن الضحاك المعروف بالخليع ، وقد غلب على كثير من شعرهما » ^(٥) .

(١) أنظر ديوان أبي نواس المخطوط رواية الصول ص ١٠ ، وفي دائرة المعارف الإسلامية . ج ١ ص ٤١٤ نقلاً من ديوان أبي نواس المخطوط بقينا ص ١٦٢ . هذا القول : ولقد نزع المغنون المتأخرون إل إضافة جميع أشعار الخمر والظن إلى أبي نواس .

(٢) ديوان أبي نواس لصول ص ١٠ .

(٣) الأغاني ج ٧ ص ١٤٦ ط دار الكتب .

(٤) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٥ ط وزارة المعارف .

(٥) أنظر أخبار أبي نواس لابن منظور ص ٧٥ .

والشواهد على هذا الانتحال كثيرة منها ما ذكره أبو الفرج على لسان الحسين نفسه، قال: «أنشدت أبا نواس لما حججت قصيدتي التي قلها في الحمر وهي :

بدلت من نفحات الورد بالآء ومن صبوحك در الإبل والشاء

فلما انتهيت منها إلى قولي :

حتى إذا أسلنت في البيت واحتضرت

عند الصبوح يسامين أكفء

قضت خواتمها في نعت واصفها

عن مثل رقاقة في جفن مرهء

قال : فصعق صيغة أفزعني ، وقال : أحسنت والله يا أشقر فقلت : ويلك يا حسن إنك أفزعني والله . فقال : بلى والى أفزعني ورعني ، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بد أن ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقتني إليه واختلته مني ، وستعلم لمن يروى إلى أم لك ، فكان والله كما قال ، سمعت من لا يعلم برويها له ^(١) ، وفي رواية أخرى أنه رآها في دقات الناس في أول أشعاره ^(٢) .

قد يقول قائل إن قول الحسين هنا زعم غير صادق ، ولكن الدليل على صحته قائم ، إذ أن ابن المعتز على علمه بالشعر - قد نسب منها عدة أبيات للحكمي ، يعني أبا نواس . منها هذان البيتان ^(٣) السابق ذكرهما غير المطمع . ومنها قوله ^(٤) .

لم يبق من شخصها إلا توهمه فالتى منها إذا استثيت كاللاه

تمازج الروح في أخفى ملاحظه كما تمازج أنوار بأضواء

(١) (٢٠١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٤٧ . (٢) انظر فصول التماثل ص ٢٩ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٧ .

وقوله (١) :

حتى إذا الدهر أبقى من سلالته
جزء الحياة وقد ألوى بأجزاءه
دبت إليهما من الأحداث بامسلة
أبكت عوايد من أجار تيمساء

وقوله (٢) :

كان تأليف ما حاك المزاج لها
سلخ تجللها من بطن رقشاء

كل هذه الأبيات نسبا المعتر للحكي أبي نواس ، وتأخذنا الدهشة لوقوعه في هذا الخلط المريب ، مع أنه قد عارض أبا نواس والحسين في همزيتيها بقصيدة همزية له في الحمر .

ويذكر الصولي أن تلك القصيدة من المنحول إلى أبي نواس ، ولكنه يؤكد نسبتها إلى الحسين بقوله . قرأت على أبي أحمد يحيى بن علي رحمة الله عن أبيه عن الحسين بن الضحاك الخليع هذه القصيدة للحسين ، وأنه قالها لما حج وحدثني أحمد بن يزيد الملهبي عن أبيه أن الحسين أنشده هذه القصيدة لنفسه (٣) ، فنسبها إلى الحسين لاشك فيها ، وقد رواها له حمزة الأصفهاني في مقدمته لديوان أبي نواس كما عرفنا ، ومع ذلك فلنأخذ بنسبها لأبي نواس شاعرا كابن المعتز لا الجهال من المتحطين للأدب فحسب ، كما يقول الصولي .

وابن المعتز يذكر سبعة أبيات من مقطوعة أخرى للحسين تبدأ بقوله :
وشاطرى اللسان مختلق التكرير ٤ شاب المحبون بالنسك

(١) نفس المصدر ص ٢٦ . (٢) نفس المصدر ص ٦٩ .

(٣) ديوان أبي نواس المخطوط الصولي ص ١٠ .

ثم يعلق عليها بقوله « وقد نسب العوام هذا إلى أبي نواس وذلك متحول
لأنما هو للحسين بن الضحاك^(١) » ومع تصحيحه نسبتها ، وتحذيره مما وقع
فيه العوام من نخلها لأبي نواس ، نجده يذكر بيتا آخر منها في فصول التائيل ،
وينسبه إلى أبي نواس وهو قوله^(٢) :

كأنما نصب^(٣) كأسه قسر بكرع في بعض أنجم القسلك

فهذا البيت لم يذكره ضمن الأبيات السبعة التي ذكرها في طبقات الشعراء
ولكنه على وزنها وقافيها ، وذكر في عدة مصادر على أنه منها . ومع ذلك
لم يحرز ابن المعتز من الوقوع في الخلط الذي حذر منه ونبه اليه .

ويذكر الصولي كذلك أن هذه المقطوعة مما نخل إلى أبي نواس ، ولكنه
يوكد نسبتها إلى الحسين برواية ليحيى بن علي عن أبيه عن الحسين ، ورواية
أخرى لأحمد بن يزيد المهلب عن أبيه عن الحسين ، وأنها موجودة في جامع
شعره^(٤) .

وفي رواية أخرى تتناقى بهذه الأبيات أن الحسين لما أنشد لها نواس
نعر نكرة منكرة فقال له : مالك فقد أفرغتني . . فقال : هذا معنى مليح
وأنا أحق به ، وسرى لمن يروى ، ثم أنشده بعد أيام قوله :
إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا
فقال له الحسين : هذه مصالته يا أبا علي ، فقال : لا تنظن أنه يروى
لك معنى مليح وأنا في الحياة^(٥) .

(١) طبقات الشعراء ص ٢٢٠ - ٢٧١ .

(٢) فصول التائيل ص ٣١ وطبقات الشعراء ص ٤٣٩ ، ونقل فراج عن الفصول
أن البيت نسب لابن المعتز .

(٣) في فصول التائيل (صب) ولكنها في المصادر الأخرى كما ذكرتها في البيت وهو
أوفق للمعنى .

(٤) ديوان أبي نواس المخطوط فصول ص ٣٤ .

(٥) هذه الرواية في المصنف ج ٢ ص ١٨١ طبعة ١٩٦٣ وفي زهر الآداب ج ٢ ص ١١٤
ط ١٩٢٥ وفي الأغاني ج ٧ ص ١٥٥ ط دار الكتب وقول الحسين فيه « أنظن أنه يروى لك في
الغمر معنى جيد وأناهي » .

هذه الرواية تعطينا صورة واضحة لإغارة أبي نواس على شعر الحسين ، ولا شك أن هذه الإغارة كانت عاملا مهما للاختلاط في نسبة الشعر التي كانت شهرة أبي نواس تجعلها من حظه .

ومن قصائد الحسين التي نسبت إلى أبي نواس أيضا قصيدته التي مطلعها ^(١) :

أذنك الناقوس بالفجر وغرد الراهب بالعمر

وقد ضمت فعلا إلى ديوانه وطبعت معه ، وهي فيه من أحد عشر بيتا ولكننا نجد أنها منسوبة إلى الحسين في معجم ما استعجم للبكري من عشرة أبيات . وهو يتقدم لما يقول يرويه عن عمر بن محمد في ذكره نعر نصر بسر من رأى قال : « شربنا يوما في هذا الدير ومعا حسين بن الضحاك وبتنا فيه سكارى فلما طلع الفجر أنشدنى فيه لنفسه » ^(٢) وذكر أبيات القصيدة .

ونسبها أيضا إلى الحسين الشافعى وياقوت في ذكرهما لعمر ماريونان ، ولكنهما لم يرويا منها سوى أربعة أبيات .

ونلاحظ وجود بعض الخلاف بين أبيات القصيدة المنسوبة إلى أبي نواس والأخرى المنسوبة إلى الحسين . ففي الأولى بيتان لم يذكر في الثانية ، وهما قوله ^(٣) :

في مسرح ترتع أكنافه مشادن من بقعر زهر
وقوله ^(٤) :

يا حبلى الجهر بأمر الصبا ما كنت من ربك في مسر

(١) انظر القصيدة في ديوان أبي نواس .

(٢) معجم ما استعجم ص ١٠٩١ تحقيق الأستاذ لقا .

(٣) انظر ديوان أبي نواس .

(٤) هذا البيت في طبقات ديوان أبي نواس ما عدا طبعة سنة ١٩٥٣ بتحقيق أحمد عبد المجيد النزال .

كما أن في الثانية يتبين لم يذكر في الأولى وهما قوله (١) :

فارغب عن الدوم إلى شربها ترغب عن الموت إلى النشر

وهذا البيت يرويه الشاشي وياقوت ولا يرويه البكري . أما البيت الثاني

فيرويه البكري وحده ضمن القصيدة وهو قوله (٢) :

واستمعت نفسك من شادن / قد جاد بالطن وبالظهر

وغير ذلك يوجد بيت روى في كل من القصيدتين برواية مختلفة ، فهو

في ديوان أبي نواس :

يا عاقد الزنار في الخصر بحرمة الحانة والقهر

وهو في معجم البكري :

بحرمة القصح وسلافكم يا عاقد الزنار في الخصر

ولا نجد خلافا غير ذلك إلا في بعض الألفاظ . والخلاف في جلته قليل لا يلزم بجوهر القصيدة ، ففيها ثمانية أبيات متشابهة إلى حد كبير ، مما يؤكد أن القصيدة واحدة ، وأن عدم ذكر بيتين في قصيدة دون الأخرى ليس إلا من قبيل التسيان ، والبيت الذي اختلفت روايته إنما هو نتيجة لتعدد رواة القصيدة ، وهذا أمر طبيعي ومألوف في الشعر العربي .

وقد أشرنا من قبل إلى أن الأستاذ عبد الستار فراج لم يسجل هذه القصيدة كاملة في أشعار الخليل ، وإنما ذكر منها أربعة أبيات نقلا عن الشاشي وياقوت . وذلك لأنه لم يرجع إليها في معجم البكري .

(١) انظر الديارات ص ١٦٦ ومعجم البلدان ج ٢ ص ٥٢٧ ط بيروت .

(٢) معجم ما استمع ص ١٠٩١ .

وإذا أردنا أن نصدر حكماً في حقيقة نسبتها ، هل هي للحسين أو لأبي نواس ؟ فإننا نرجح ما اجتمعت عليه ثلاثة مصادر في نسبتها إلى الحسين ونشك في نسبتها إلى أبي نواس على أساس أنها نسبت إليه في ديوانه فحسب ، وأنها نحت له كما نحت قصائد كثيرة ومقطوعات غيرها . وقصيدة أخرى للحسين نسبت إلى أبي نواس وجمعت في ديوانه ، وهي تبدأ بقوله (١) :

أيا من طـرفه مـحـر ومن ريقـته خـمـر
ومطلعها في ديوان أبي نواس يختلف شطره الثاني عن الشطر الثاني في قصيدة الحسين ، إذ يقول فيه : ومن مبسمه در .

وهي في ديوان أبي نواس ثمانية أبيات منها البيت السادس غير موجود في قصيدة الحسين وهو قوله :

ومن قـولـك آتـيـك إذا صليـت الظـهر
أما قصيدة الحسين ففيها الأبيات الثلاثة الأخيرة غير موجودة في ديوان أبي نواس وهي قوله :

ولـو شـت تـسـرت كـا سـمـيت يـا يـسـر
وكن كـاسـمـك لا تـنـمـك النـخـوة والكـبر
فلا فـزت بـحـظـي مـن كـ إن ذاع لـه ذـكـر

ولعل السبب في عدم ذكر هذه الأبيات مع القصيدة المنسوبة إلى أبي نواس أنها تتضمن اسم الغلام الذي قيلت فيه وهو « يسر » . الذي اشتهر بعشق

(١) القصيدة كاملة في أغاني الثمار ج ٧ ص ١٨٩ وفي الزهرة ص ٤٠ الأبيات الأربعة الأولى ، وفي الديارات ص ٣٧ الأبيات الأربعة التي تليها على اختلاف في ترتيبها ، وكذلك في وليات الأعيان ص ١٩٣ ط ١٢٩٩ وفي مساكن الابصار ج ٩ ص ٢٩١ وفي عقد الجمان ١٣ قسم ٣ ورقة ٢٨٣ وفي عيون التواريخ ج ٧ ص ٧١٠ حوادث سنة ٢٥٠ ذكرت الأبيات الأربعة الأولى وكل هذه المصادر نسبتها للحسين .

الحسين له : وقصة الأبيات المذكورة في الأغاني . ولو ذكرت الأبيات الثلاثة الأخيرة هذه في ديوان أبي نواس ، لكانت دليلا واضحا على انتحال القصيدة وحجة دامغة تثبت أن قائلها الحقيقي هو الحسين ، ولا شك أن من نحلها أبا نواس تبين ذلك وتنبه إليه فحذف الأبيات الثلاثة ، وهويظن أنه بذلك قد طمس معالم السرقه ، ولكن خاب ظنه إذ صحح الرواة نسبتها إلى الحسين ، وذكرت في عدة مصادر بنسبتها الصحيحة . وليس أمامنا - إزاء هذا البرهان الواضح وإزاء إجماع المصادر التي ذكرتها على نسبتها للحسين - إلا أن نؤيد قولم ونؤكد هذه النسبة الصحيحة .

ومقطوعة الحسين التي قالها لما عربد عليه ابراهيم بن المهدي ودعا بالنطع والسيف والتي تبدأ بقوله^(١) :

ندبني غدير منسوب إلى شيء من الحسيف

هذه المقطوعة نسبت أيضا إلى أبي نواس بعد حادثة جرت له مع الأمين على الخمر تشبه حادثة الحسين مع ابراهيم بن المهدي ، إذ أمر الأمين بقتله وهو سكران ، وفي رواية أخرى أن هذه الحادثة جرت له مع القاسم بن الرشيد^(٢) وقد نبه في مقدمة ديوان أبي نواس إلى أن هذه المقطوعة مما أضيف إليه من شعر العراقيين ، وأنها للحسين بن الضحاك الخليلي^(٣) .

كما أن ابن منظور بعد أن نسبها إلى أبي نواس عاد فقال : « وتروى هذه الأبيات للحسين بن الضحاك الخليلي^(٤) » . . فهو متشكك في صحة نسبتها إلى أبي نواس ومن ثم لم يجزم بذلك . ومن روايات أبي الفرج والصولي والراغب وحزرة الأصفهاني نستطيع أن نوكد صحة نسبتها إلى الحسين ، وننفي رواية ابن منظور الضعيفة التي أظهر شكها فيها .

(١) المقطوعة من أربعة أبيات منسوبة لحسين في أغاني الفار ج ٧ ص ١٦٣ ومخاضرات الأديباء ط ص ٣٤١ وأشعار أولاد الخلفاء ص ٢٦ .

(٢) انظر أعنيار أبي نواس لابن منظور ج ١ ص ٢١٨ .

(٣) انظر ديوان أبي نواس ص ٧ ط آصاف وقد ذكر منها البيت الأول فقط .

(٤) انظر أعنيار أبي نواس لابن منظور ج ١ ص ٢١٨ .

ونسب إلى أبي نواس من شعر الحسين أيضا بيتان في الخمر هما^(١) :

الراح تفاح جرى ذائبا كذلك التفاح راح جد
فاشرب على جامده ذوبه ولا تدع لسنة يوم لفسد

والبيتان في ديوان أبي نواس ، ولكن التواجي (ت ٨٥٩ هـ) وعبد
الرحيم العباسي (ت ٩٦٣ هـ) نسبهما للحسين . وتأخرهما عن زمن الشاعرين
بما يزيد عن ستة قرون قد يضعف من شأن روايتهما ، وخاصة أن البيت
لم يذكر في مصدر قبلهما سوى « من غاب عنه المطرب » لثعالبي (ت ٨٤٢٩ هـ)
ولكن دون أن ينسبهما إلى أحد . ومع ذلك فلنا لا نعتقد أنهما نسباً للبيتين
إلى الحسين اعتباراً دون الاعتماد على مصدر سابق وصل إلى أيديهما ولم يصل
إلينا . هذا بالإضافة إلى الشبهة التي لحقت شعر أبي نواس من تخلطهم لياه أشعار
غيره في الخمر وخاصة شعر الحسين . كما أنهما لم ينسبا إليه في مصدر آخر
غير ديوانه فعلى ذلك يمكننا أن ترجع نسبة البيتين إلى الحسين على نسبتهما إلى
أبي نواس :

ومقطوعة أخرى ذكرها الصولي منسوبة للحسين ، ثم ذكر أيضا أنها
رويت لأبي نواس ، ولكنه عقب على ذلك بأنه لا يعلم له ، وتبدأ بقوله^(٢) :
وصوت لبني الأحرا ر أهل السيرة الحسنى

وقد نسبها الآملي^(٣) كذلك للحسين . وإن كان التويري^(٤) قد نسبها
لآخر هو محمد بن بشير بزيادة خمسة أبيات أخرى ، ولكننا نرجح ما اتفق
عليه الصولي والآملي من نسبها للحسين ، خاصة وأن الصولي قد أهتم كثيراً
بمشكلة الانتحال وجهد في التحقق من نسبة ما يرويه من شعر .

-
- (١) الأبيات هنا كانت وردت في ساحة التنصيص من ١٥٤ وهي في حلبة الكميث من ٩١٢
تختلف في بعض الألفاظ وكذلك في ديوان أبي نواس .
(٢) انظر أخبار أبي تمام من ٢١٤ .
(٣) انظر الموازنة من ٧٢ .
(٤) انظر نهاية الأرب ج ٥ من ١١٧ .

ونسب أيضا إلى أبي نواس قول الحسين في غلام جميل أعرض عنه :
تثيه علينا أن هزّت مـلاحة فهلا علينا بعض تبهك يابدر
لقد طالسا كنا ملاحا وربما صلدنا وتها ثم غيرنا الدهر

فهذان البيتان ذكرهما أبو الفرج مع خبرهما نقلًا عن جعفر بن قدامة عن أبي العيناء ، منسوبين للحسين ^(١) . ولكن ابن منظور نسبهما إلى أبي نواس مع بيتين آخرين بعدهما ^(٢) ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نرجح قوله لأن الأبيات لم ترد في ديوانه ، ولأنه متأخر عن عصر الشاعرين بما يقرب من خمسة قرون . فرواية أبي الفرج أوثق من روايته ، وقد يكون البيتان الزائدان من نفس المقطوعة ولكن أبا الفرج لم يروها كاملة واكتفى ببيتين منها كشأنه في كثير من القصائد والمقطوعات .

ولم يقتصر الانتحال على شعر الخمر والمجون فحسب ، بل تعداهما إلى غير ذلك من الأغراض . فهذه مقطوعة في الزهد من أربعة أبيات نسبت أيضا إلى أبي نواس ، وهي تبدأ بقوله :

لشي وما جمعت من صفد وحيث من سبد ومن لبـد
وقد نسبها إلى أبي نواس ابن عساكر ^(٣) وأبو هفان ^(٤) كما ذكر البيت الرابع منها في ديوان أبي نواس ^(٥) ضمن قصيدة أخرى له . ونسبت أيضا إلى آخر غير أبي نواس اسمه توبة بن نمر بن ^(٦) حرملة . أما الحسين فقد نسبها إليه الجاحظ ^(٧) وأبو عبيد البكري ^(٨) وابن أبي الحديد المدائني ^(٩)

-
- (١) انظر أغاني البار ج ٧ ص ٢١١ .
 - (٢) انظر أخبار أبي نواس لابن منظور ج ١ .
 - (٣) انظر تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٢٦٢ .
 - (٤) انظر له أخبار أبي نواس ص ٧٥ .
 - (٥) انظر ديوان أبي نواس ص ١٩٢ ط آصاف .
 - (٦) انظر مخطوط رفع الإسر ص ٣٠ . (٧) انظر الحيوان ج ٥ ص ٤٨٩ .
 - (٨) انظر سبط اللات ج ١ ص ٥٦٩ ط ١٩٢٦ .
 - (٩) انظر شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٣٧٥ .

وقال الجاحظ بعد أن ذكر الأبيات: «وهذا شعر رويته على وجه الدهر وزعم لي حسين بن الضحاك أنه له وما كان لي دعي ما ليس له»^(١) وهذه عبارة لها أهميتها في تحقيق نسبة هذه الأبيات ، لأن الجاحظ عاصر الحسين ، ونقل عنه نسبتها إلى نفسه ، ثم علق على زعمه بما يدل على ثقته به وتصديقه لقوله ، والجاحظ عالم ثقة ولشهادته هذه قيمتها التي لا تنكر . ويمكننا أن نوكد نسبة الأبيات إلى الحسين اعتمادا عليها ، ويزيد تأكيدنا إذا أضفنا إلى ذلك رواية المصليين الآخرين. أما نسبتها إلى أبي نواس فلا يؤيدها دليل قوي ، ولم يشر إليها الجاحظ وهو أعلم بذلك ، كما أن الأبيات لم يذكر في ديوانه منها سوى بيت واحد يبدو أنه ضم خطأ إلى قصيدته لأنه على وزنهما وقافيتهما . ولا يخفى أنها ذكرت في مصليين آخرين ما دامت لم تذكر في ديوانه ، أما توبة بن نمر هذا فنسبها إليه ضعيفة لا يؤخذ بها ولا يؤيدها دليل .

ومقطوعة أخرى في رثاء الأمين من ثلاثة أبيات نسبت أيضا إلى أبي نواس وضمت إلى ديوانه^(٢) كما نسبها إليه ابن قتيلة^(٣) وتبدأ بقوله :

أعزى يا محمد عنك نفسى معاذ الله والأيساءى الجسام

ولكن أبا الفرج نسبها إلى الحسين^(٤) . والذي يجعلنا نشك في نسبتها لأبي نواس أن تاريخ وفاته في بعض المصادر هو قبل مقتل الأمين سنة ١٩٨ ، ولم يحدد أحد أن وفاته كانت بعد الأمين سوى خزمة الأصفهاني في تقديمه لديوانه فلذكر أنه توفي سنة ١٩٩ هـ^(٥) بينما لم يحدد ابن منظور تاريخا لوفاته وذكر أنه قيل عن سنة وفاته سنة خمس وتسعين ومائة أو ست وتسعين ومائة أو سبع وتسعين ومائة أو ثمان وتسعين ومائة أو تسع وتسعين ومائة^(٦)

(١) الحيوان ج ٥ ص ٤٨٠ تحقيق هارون .

(٢) انظر ديوان أبي نواس ص ٥٧٨ ط سنة ١٩٥٣ تحقيق الغزالي .

(٣) انظر الشعر والشعراء ص ٧٩٢ ط الحلبي سنة ١٣٦٦ .

(٤) انظر أغاني الدار ج ٧ ص ١٥١

(٥) ديوان أبي نواس ص ٨ ط آصاف .

(٦) انظر أخبار أبي نواس لابن منظور ص ٥٥ .

أما ابن العماد الخنيلي ^(١) وابن شاذان الكوفي ^(٢) فقد ذكرا أنه توفي سنة ست وتسعين ومائة، فأغلب الأقوال على أنه توفي قبل الأمين . وهذا يرجح نفي نسبة الأبيات إليه وإثبات نسبتها إلى الحسين حسب رواية أبي الفرج .

من كل هذه الشواهد التي عرضناها نرى أن شعر الحسين تعرض لكثير من سطو أبي نواس عليه، سواء بنفسه هو كما رأينا، أو بواسطة غيره من الرواة والشعراء وعامة الناس والذين أعمتهم شهرة أبي نواس عن الحقيقة، وجعلهم يتحلونه أشعار غيره عن غير علم ولا بصيرة . وقد دللتنا بعض المصادر على هذه القصائد والمقطوعات التي مرت بنا ، ومن الجائز أن تكون هناك قصائد ومقطوعات أخرى من شعر الحسين جمعت في ديوان أبي نواس، ولم يعلم لها أحد ، وما دام ديوان الحسين قد فقد فلا سبيل إلى معرفتها ، ولا يمكننا الاعتماد على التخمين في إخراجها مادامت لا توجد دلائل واضحة أو شواهد قوية تثبت ذلك .

ولم يكن أبو نواس وحده هو الذي اختلط شعره بشعر الحسين ، وإنما نجد هذه الظاهرة مع شعراء آخرين . فهنا العباس بن الأحنف له قصيدة غزلية في ديوانه نجد منها سبعة أبيات منسوبة للحسين في كتاب «الزهرة» لأبي بكر الأصفهاني الذي ذكر منها خمسة أبيات تبدأ بقوله ^(٣) .

أيا من سرورى به شقوة ومن صفو عيشى به أكسر

كما ذكر بيتين في صفحة أخرى من نفس الكتاب أولهما قوله ^(٤) .

هبسونى أغض إذا ما بليت وأملك طرفى فلا أنظر

(١) انظر شذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ .

(٢) انظر ميون للتواريخ مجلد ٦ حوادث سنة ١٩٦ هـ .

(٣) الزهرة ص ٣١٣ .

(٤) الزهرة ص ٢٩٧ .

ولكن هذه الأبيات السبعة جاءت ضمن قصيدة العباس التي تبلغ حوالي خمسة عشر بيتاً ، والتي نسبت إليه أبيات منها في مصادر أخرى غير ديوانه ^(١) ، بينما لا نجد مصطلحاً آخر ينسب هذه الأبيات للحسين غير الزهراء . . ومع أن صاحبه قريب عهد بالحسين إذ ولد سنة ٢٥٥ هـ ومات سنة ٢٩٧ هـ ، فإننا لا نستطيع أن نعتد عليه وحده في نسبة الأبيات إلى الحسين ، ونرجح أنه وقع في هذا الخلط ولم يتأكد من صحة نسبتها ، وإن كان الأستاذ عبد الستار فراج يرى أن تكون بعض أبيات من شعر الحسين دخلت في شعر العباس لاشتراكهما في الوزن والقافية وتقارب المعاني ^(٢) . وهذا احتمال بعيد لأن معاني هذه الأبيات أقرب إلى شعر العباس منها إلى شعر الحسين ، فالغزل فيها عفيف بعيد عن التبدل والمجون الذي نعهده في شعر الحسين ، وقد عرف العباس بهنا الغزل العفيف بين شعراء العصر العباسي ^(٣) ونذكر منها بيتين آخرين لنؤكد هذا الرأي يقول : ^(٤)

وماذا يضسرك من شهرتي إذا كان مسرك لا يشهر
أمنى تخساف انتشار الحسني سث وحظي في مسره أوفر
فالمحافظة على سر حبيبه وسره وغض الطرف إذا بدا ، هذه المعاني العفة أئيق بشعر العباس وأقرب إلى مذهبه منها إلى مذهب الحسين الماجن .
وبيتان آخران ذكرهما أبو هلال العسكري ، ولكنه لم يحدد قائلهما تحديدا قاطعاً بل قال إنهما للعباس بن الأحنف أو الخليل وهما : ^(٥)

قد صعب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رى بالظن غيركم وصادق ليس يدرى أنه صادق

(١) انظر ديوان العباس بن الأحنف ص ٨٥ وكتاب الغافل ص ١٠٢ والشعر والقصائد ص ٥٢٧ والأغاني ج ١٤ ص ٤٥ ط يولات في ترجمة هاشم بن سليمان وطبقات الشعراء ص ٢٥٦ .

(٢) انظر أشعار الخليل ص ٥٦ .

(٣) انظر فنون وملاحيق الشعر العربي ص ٦٤ الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٦ .

(٤) انظر الخليل ص ٣١٢ وديوان العباس .

(٥) انظر الخليل ص ٢٨٨ ط سنة ١٩٥٢ .

على أن اليتيم ذكرنا في ديوان العباس وبعدهما بيت ثالث هو قوله ^(١)

يظن هذا وذا بالدمع معترف ودمع عيني بما أخفيه قد نطقا

وواضح أن النسبة للعباس هي الأرجح بهذا الدليل الذي لم يتوفر مثله للحسين ، وأن أبا هلال قد اختلط عليه في نسبهما فأوجد الشك فيها وتركه قائما دون قول فاضل .

وحدث الاختلاط أيضا بين شعر الحسين وشعر إسحاق الموصلي على نحو ما نرى في هذين اليتيم وأولهما قوله : ^(٢)

كنت حرا فصرت عبد الماني من هوى شادن هواه براني

فأبو الفرج ينسبها لإسحاق على أنه « قالهما في جارية كانت لعل الماني وقد استهم بها زمانا » ولكنه يقول بعد ذلك « وقد زعم قوم أن الشعر للحسين بن الضحاك » ^(٣) ومعنى ذلك أنه لا يؤكد نسبتهما لإسحاق ، بينما نسبهما إلى الحسين بعد ذلك ابن فضل الله العمري ^(٤) فالأرجح أنهما للحسين ، ولكن الموصلي صنع فيهما لحنا غني به ، فجاءت نسبتهما إليه من هذا الطريق .

ويتان آخران نسبهما ابن شاعر الكبي للحسين وأولهما قوله ^(٥) :

كان أبساريق الدام لديهم ظباء بأصل الرقستين قيام

ولكن النويري ^(٦) قبله نسبهما لإسحاق الموصلي ، كما نسبهما إليه النواجي ^(٧) بعده وهذا يجعل كفته أرجح من الحسين في نسبتهما إليه . ومع ذلك !

(١) انظر ديوان العباس بن الأختف .

(٢) انظر الأغاني ج ٥ ص ١٨ ط بولاق .

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة .

(٤) انظر مسالك الأبيصار (مخطوط) ج ٩ ص ٩٣ .

(٥) هيون التواريخ ج ٧ ص ٧١٠ حوادث ٢٥٠ هـ .

(٦) انظر نهاية الأرب ج ٤ ص ١٢٢ ط ٩٢٥ .

(٧) انظر حلة الحكميت ص ١٤٨ ط سنة ١٢٧٦ .

لا نستطيع أن نجزم بصحة هذه النسبة لأن المصادر الثلاثة متأخرة عن زمنهما
بحوالى خمسة قرون .

والحسين يبتان نسبهما إليه أبو الفرج وهما قوله ^(١) :

إذا ما الماء أمكنتنى وصفو سلافة العنب
صببت القنعة البيضاء فوق قراضة الذهب

وذكر راويهما أنه « سمع الرياشي » ينشدهما ويستحسنهما ويستظرفهما
جلدا ، فقال له من يقولهما يا أبا الفضل ؟ قال أرق الناس طبعاً وأكثرهم
ملحاً وأكملهم ظرفاً حسين بن الضحاك ، وقد وجدت البيتين منسوبين
لرقاشي مع بيتين آخرين بعدهما في عيون التواريخ ^(٢) ، ورواية أبي الفرج هي
الأقرب إلى الصواب لقرب عصره من عصر الحسين أكثر من ابن شاذان
الكوفي بأربعة عشر عاماً ، ولأن الرياشي ^(٣) الذي تنهى إليه رواية الأبيات كان
علماً راوية ثقة عارفاً بأيام العرب ، وقد روى عن الأصمعي وأبي عبيدة ،
كما خرج له أبو داود في سننه عدداً من الأحاديث ، ولعل تقارب حروف
اسمه مع اسم الرقاشي هو الذي أحدث هذا التصحيف .

ومقطوعة أخرى من أربعة أبيات للحسين نجدها في مصارع العشاق ^(٤)
منسوبة لأعرابي ، وذكر أنه أنشدها أمام هارون الرشيد فأعجب بها وأمر له
ب عشرة آلاف درهم وأمر إسحاق أن يغنيها شهراً ، وهى التى تبدأ
بقوله :

لا وحييك لا أصلاً فح باللمع ملمعاً

(١) أغاني البحار ج ٧ ص ١٥٤

(٢) عيون التواريخ ج ٦ ص ٢٤٢ .

(٣) انظر إجماع الأعلام ص ١١٨ .

(٤) انظر مصارع العشاق ص ٤٢٥ .

كما نجد البيتين الأول والثاني منها منسوبين لمحمد بن يزيد الأموي في زهر الآداب^(١) مع أن هذه المقطوعة قد وردت في أربعة مصادر^(٢) هامة منسوبة للحسين . وعلى هذا الأساس لا يمكننا أن نشك في نسبتها إليه ، ولنا أن نرفض الروايتين الأخريين ونعتبرهما من قبيل الخطأ أو الخلط .

وبيتان آخران للحسين روتهما مصادر كثيرة ، ومع ذلك نجدهما في المستطرف منسوبين لابن المعتز وهما^(٣) :

صل بخدي خديك تلق عجبيا من معان يحار فيها الضمير
فبخديك للربيع رياض وبخدي للدموع غدير

ولا يداخلنا شك في صحة نسبتها للحسين لا تفارق سائر المصادر التي أوردتها على ذلك^(٤).

ونسبت للخليفة الأمين مقطوعة من أربعة أبيات من شعر الحسين تبدأ بقوله^(٥) :

وصف البلر حسن وجهك حتى خلت أنى لما أراه أراكما

فقد ذكر ابن شاعر الكتبي أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : شرب الأمين ليلة على بساط نرجس وخادمه كوثر يسقيه فنظر إلى البلر وقد طلع فأشده (الأبيات) وذكر السيوطي مثل هذه الرواية على أنها مما رواه جماعة له عن إسحاق الموصلي . ولكنه استدرك بعدها بقوله ، « وقد رواه بعضهم

(١) انظر زهر الآداب ج ١ ص ١٨٥ ط وزارة المعارف .

(٢) انظر أغاني الدار ج ٧ ص ١٧٤ - ١٧٥ ومجم الأدباء ج ١٠ ص ١٥ - ١٦ ومساك الأبيات ج ٩ ص ٢٩١ ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٣ .

(٣) انظر المستطرف ج ٢ ص ٢٢ ط يولاق سنة ١٢٦٨ .

(٤) انظر النيات ترجمته ج ١ ص ١٩٣ ط يولاق سنة ١٢٩٩ والإبابة ص ١٨٤ ط سنة ١٩٦١ وشنرات الذهب ج ٢ ص ١٢٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ ، وترجمته في

في مخطوطات مساك الأبيات وهيون التواريخ وعقد الجمان حوادث سنة ٢٥٠ .

(٥) هيون التواريخ مجلد ٦ ص ٣١٤ حوادث سنة ١٩٨ هـ .

الحسين بن الفضاح الخليج وكان ندبه لا يفارقه ^(١) ، وبذلك أبدى شكه في نسبتها للأمين ، ومن المحقق أن هذه الأبيات للحسين لأنها نسبت إليه في خمسة مصادر ^(٢) من أهم المصادر التي روت شعره ، بل إنها في الأغاني ستة أبيات حسب إحصاء الروائين اللتين ذكرهما . وفي أغلب هذه المصادر أنها قيلت في مجلس صالح بن الرشيد إذ « كان بهوى خادما له فغاضبه في تلك الليلة فتحنى عنه ، وكان جالسا في صحن حوله نرجس في قمر طالع حسن ، فقال للحسين : قل في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتا يغني فيها عمرو بن بانه ^(٣) فقال هذه الأبيات . أما الرواية الثانية فيذكرها أبو الفرج على لسان أبي نواس قال : « كنت أتشتق ابنا للعلاء يقال له محمد وكان حسين يتعشق خادما لأبي عيسى بن الرشيد يقال له يسر ، فرارني يوما فسأته عنه فقال : قد كاد قلبي أن يسلو عنه وعن حبه ، قال : وجاءني ابن العلاء صاحبي فدخل على وفي يده نرجس فجلسنا نشرب وطلع القمر ، فقلت له : يا حسين أيما أحسن القمر أم محمد ؟ فاطرق ساعة ثم قال : اجمع جواب الذي سألت عنه ^(٤) » وأنشد الأبيات . وهي ستة في هذه الرواية كما ذكرنا .

ورواية الأبيات في خبرين مختلفين لا يشكك في نسبتها بأي حال ، وتفسير ذلك أنه قد يكون أنشدها في مجلس صالح ثم أعادها في حديثه مع أبي نواس أو العكس .

ومما نسب لغيره أيضا مقطوعة من أربعة أبيات تبدأ بقوله ^(٥) :

ألت تری دیمه تهنطسل وهذا صباحك مستقبل

(١) انظر تاريخ الخلفاء ص ١٢٠ ط ١٣٠٥ .

(٢) انظر كتاب بغداد ص ٣٢٥ وأغاني الدار ج ٧ ص ١٦٨ - ١٦٩ والديارات ص ٣١ وثمر الآداب ج ٣ ص ١٢١ ط سنة ١٩٢٥ ومعجم الأدباء ص ١٥ ط الوزارة .

(٣) ذكر هذا الخبر في كتاب بغداد والأغاني والديارات من المصادر السابقة .

(٤) أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٩ .

(٥) انظر وسائل مستغنى ص ١٩٤ .

فقد نسبها الثعالبي لسعيد بن حميد ، بينما ذكرها أبو الفرج في محاوره^(١)
بين الحسين والحسن بن سهل من خمسة أبيات . وكذلك ذكرها الشريشي^(٢)
بعده بنفس الخبر . وأبو الفرج أقرب إلى زمن الحسين وأوثق رواية من
الثعالبي الذي أخطأ في نسبتها .

ومما أخطأ الثعالبي أو خلط في نسبته أيضا من شعر الحسين مقطوعة من
ثمانية أبيات تبدأ بقوله^(٣) :

أتاني عنك ما ليس على مكروهه صبر
فقد ذكر في المتحفل قبلها هذه العبارة وقال محمود و يروى لغيره^(٤) :
ولم نعرف من هو محدود هذا الذي يقصده . على أنه قد نسبها للحسين في كتاب
آخر له هو « أحسن ما سمعت »^(٥) . وبذلك أثبت على نفسه الخطأ في النسبة
الأولى . ويؤكد صحة نسبتها للحسين أن ياقوت الحموي^(٦) نسبها إليه كذلك ،
وإن كان أبو حيان التوحيدي^(٧) قد ذكرها قبلهما في « الأدب والإشياء »
دون نسبة لأحد .

وذكر أبو الفرج من شعر الحسين ثلاثة أبيات في مدح المأمون وبينين
في رثاء الأمين والتعريض بالمأمون منسوبة إلى ابن البواب^(٨) في رواية على
لسان الحسين نفسه . ولكنه تنبه بنفسه إلى هذا الخلط في ترجمته للحسين إذ قال
— بعد أن ذكر تلك الأبيات وخبرها — : « وهذه الأبيات تروى لابن البواب
ومستذكر في أبوابه إن شاء الله تعالى ، وعلى أن الذي رواها غلط في روايته
غلطا بينا ، لأنها مشهورة من شعر حسين بن الضحاك ، وقد روى أيضا
في أخباره أنه دفعها إلى ابن البواب فأوصلها إلى المأمون وكان له صديقا ،
ولعل الغلط وقع من هذه الجهة »^(٩) .

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٧٩ .

(٢) شرح المقامات ج ٢ ص ٤٢١ ط سنة ١٢٨٤ .

(٣ ، ٤) انظر المتحفل ص ١٢٨ . (٥) أحسن ما سمعت ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٦) معجم الأدباء ج ١٠ ص ٢٢ ط الوزارة .

(٧) الأدب والإشياء ص ٩٢ ط المطايب سنة ١٣٠١ هـ .

(٨) أغاني يولات ج ١٠ ص ٤٣ . (٩) أغاني الدار ج ٧ ص ١٤٩ .

وذكر أيضا بيتين من شعر الحسين في رثاء الأمين ، وقال بأن «عريب»
للغنية ذكرت أن هذا الشعر للفضل بن يحيى ، ولها فيه لحنان . وأولهما قوله :

سألونا عن حالنا كيف أنتم من هوى نجمه فكيف يكون

ولكن أبا الفرج علق على هذا الغلط بقوله «وهذا غلط من عريب ولعله
بلغها أن الفضل تمثل بشعر غير هذا فأنسيته ، وجعلت هذا مكانه ، فأما هذا
الشعر فللحسين بن الضحاك ، لا بشك فيه يرثى به محمد الأمين»^(١) ولستنا
في حاجة إلى تأكيد صحة نسبتها للحسين بعد أبي الفرج ، وإن كنا نذكر أن
هناك مصادر أخرى نسبتها للحسين .

وذكر الراغب الأصبهاني بيتا من قصيدة الحسين في مدح الواثق ونسبه
لسلم الخاسر وهو قوله^(٢) :

ولى عند رؤيته روعة تحقق ما ظننه المتهم

وقد ذكر هذا البيت ضمن قصيدة الحسين في عدة مصادر هامة ،
فنسبته إلى الحسين مؤكدة لا شك فيها ، وإنما أخطأ الراغب في نسبته لسلم
الخاسر خطأ بيّنا .

وبيتان آخران نسبهما المسعودى إلى الحسين على أنه قالهما في مقتل
التوكل وأولهما^(٣) :

إن الليالى لم تحسن إلى أحد إلا أسامت إليه بعد إحسان

(١) أغاني يولاق ج ١٨ ص ١٧٨ .

(٢) انظر محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٤٦ ط ١٣١٦ وجمهر المشرق غرنا بلوم ضمن
شعره في كتابه شعراء عباسيون ص ١١٢ ترجمة الدكتور محمد يوسف نجم . والبيت المذكور ضمن
القصيدة في الأغاني ج ٧ ص ١٩٥ وجمهر الأدباء ج ١٠ ص ١٨ والزهرة ص ٤٠ ومسالكة
الأهسل ج ٩ ص ٢٩٢ .

(٣) انظر مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠٩ ط سنة ١٢٨٢ .

ولكنى وجعلتهما مع آيات أخرى من نفس القافية منسوبة إلى عمرو بن شيان الحلبي في عدة مصادر^(١) وإلى أبي الوارث قاضي نصيبين في مصادر أخرى^(٢) وخبرهما متشابه في الطريقة التي قبلت بها الآيات ، إذ روى أن عمرو بن شيان الحلبي قال : « رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل فيما يرى النائم كأن آتيا أتاني فقال لي : (الآيات) قال : فأصبحت فإذا الناس يجربون أن جفرا قد قتل في هذه الليلة^(٣) » كما روى أن أبا الوارث « رأى في النوم آتيا أتاه^(٤) » وهو يقول (الآيات) . فنسبها للحسين مشكوك فيها ، وقد ذكرت في الفصل السابق أنه من المستبعد أن يتعرض الحسين لمثل هذه الحادثة في شعره ، وخاصة بعد التجربة القاسية التي مر بها نتيجة رثائه الأمين . ثم إن المنتصر الذي قتل أباه المتوكل قد أكرم الحسين وأحسن معاملته لما ذهب لتهنئته بالخلافة ومدحه . ولا يعقل أن تكون معاملته له بهذه الصورة ، إذا كان قد قال هذه الآيات التي فيها تعريض بقاتلي المتوكل في بعض رواياتها . ونرى في طريقة روايتها التي لم تنسبها للحسين أن قائلها لا يجرؤ على نسبتها لنفسه وإنما ينسبها لمن أتاه في المنام هربا من العقاب على قولها . فكيف يجرؤ الحسين على ذلك وهو في ذلك الوقت كان قد جاوز التسعين من عمره ؟ إن كل الدلائل تشير إلى خطأ هذه النسبة التي انفرد بها المسعودي دون المصادر الأخرى .

(١) انظر ميون للتواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٣٦٣ وعقد الجمان (مخطوط) ج ١٤ قسم ١ حوادث سنة ٢٤٧ هـ ، وتاريخ بغداد ترجمة المتوكل ورواة الزمان (مخطوط) ج ٦ ص ٢٢ .

(٢) انظر شرح المقامات ج ٢ ص ٧٣ ط سنة ١٢٨٤ والطبري ج ٣ قسم ٢ حوادث سنة ٢٤٧ ط ايدي .

(٣) انظر هذه الرواية في مصادر هاشم (١) وخاصة تاريخ بغداد وحيون للتواريخ .

(٤) انظرها في مصادر هاشم (٣) .

وفي مختصر طبقات الشعراء نسبت ثلاثة أبيات من شعر الحسين لأبي خالد المهلبى ، وهى التى تبدأ بقوله ^(١) :

سبقت فيك ما يهدى لسانى إذا فئت هدايا المهرجان

وقد سبق أن نسبها ابن المعتز فى الطبقات للحسين ، ولا شك أن هذه النسبة هى الأصح لأن الطبقات هى الأصل الذى أخذ منه المختصر .

وأربعة أبيات أخرى نسبها ابن منظور للحسين ، ولكنه أبدى شكه فى نسبتها بقوله « وتروى لغيره » وتبدأ بقوله ^(٢) :

أدر الكأس علينا أيها الساقى لنطرب

ويلاحظ أنه لم يحدد اسم الشخص الآخر الذى تروى له ، وبهذا تعد نسبتها للحسين هى الغالبة ، أما نسبتها لغيره فجاءت من قبيل الخلط ، وعدم ذكر اسم صاحبها الآخر ، من شأنه أن يقوى نسبتها للحسين .

وفى الخبر الذى ذكر صلاة بعض الشعراء جماعة وبينهم الحسين ، وأن الإمام أخطأ فى قراءة « قل هو الله أحد » ، فتناولوه بالسنتهم مستهزئين ، وقال كل منهم بيتا فى ذلك ، نجد نسبة هذه الأبيات إليهم تختلف بين مصدر وآخر فبيت الحسين فى أغلب المصادر هو ^(٣) :

كأنما لسانه شد بحبل من مسد

(١) انظر طبقات الشعراء ص ٢٧١ ط سنة ١٩٥٦ ومختصر الطبقات ص ٢٤ .

(٢) انظر نثار الأزهار ص ١١٢ ط الجوائب سنة ١٢٩٨ .

(٣) انظر بدايع البداة ص ١٢٣ ط سنة ١٢٨٧ والصدرة ج ٢ ص ٩١ ط سنة ١٩٦٢ وديوان ملام بن الوليد ص ٢٧١ ط ليدن سنة ١٨٧٥ .

بينما ذكر في «الغرر والعرر» أنه قال^(١) :

يزحر في محرابه زحير جلي بولد

وينسب هذا البيت في روايات أخرى لمسلم بن الوليد^(٢) أو للعباس بن الأحنف^(٣) أو لعلي بن الخليل^(٤) . كما أن بيت الحسين لم ينسب إليه في مقدمة ديوان أبي نواس رواية حمزة الأصفهاني^(٥) وإنما ذكر قبله وقال آخر : دون تمديد لقائله . وقد حدث هذا الخلط بطبيعة الحال نتيجة تعدد أشخاص الشعراء من ناحية ، وتعدد الروايات من ناحية أخرى . والمرجح أن بيت الحسين هو الأول لا تفارق أغلب المصادر عليه .

هذه كل الشواهد التي عثرنا عليها بالبحث في المصادر المختلفة، ووجدنا خلطاً في نسبتها بين الحسين وبين شعراء آخرين ، ومنها نرى مدى ما تعرض له شعره من انتحال لغيره واختلاط في نسبه . ويتبين لنا أنه كان المعتدى على حقّه في أغلب الأحيان . وخاصة إذا كان التنازع على هذا الحق بينه وبين أبي نواس ، والذي ساعد على ذلك هو فقد ديوانه ، ولو أنه وصل إلينا لوضع حدا لهذا الانتحال أو الاختلاط ، ولكشف لنا عن قصائد أخرى في ديوان أبي نواس وغيره هي في حقيقتها من صميم شعره .

(١) انظر الغرر والعرر ص ١٧٤ .

(٢) انظر المصنف ج ٢ ص ٩١ .

(٣) انظر بدائع البداية ص ١٢٣ .

(٤) انظر تاريخ ابن حساكر ج ٤ ص ٢٩٨ ط سنة ١٣٣٢ .

(٥) انظر ديوان أبي نواس ص ٤١ ط آصاف .

٣ — الأغراض التقليدية :

١ — المديح :

لا شك أن قصيدة المديح هي الدعامة الأولى للشعر التقليدي ، وهي التي حفظت مظاهره وخطوطه المرسومة إلى حد كبير . فمن ناحية الشكل كان لها تخطيط لا ينبغي للشاعر أن يخرج عليه ، وعليه أن يلتزمه التزاماً . وكما يقول ابن قتيبة « ليس لتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين »^(١) ويوضح هذه الخطوط المرسومة لشكل قصيدة المديح بتدرجها من ذكر الديار والدمن واستيقاف الرفيق ، إلى النسب وذكر الشوق والصبابة ، ثم إلى الحديث عن رحلة الشاعر وسرى الليل وحر المجير ، حتى يوجب حتى الرجاء فيكون المديح . ومن ناحية المضمون عليه أن يلتزم بالعناصر الفنية الموروثة حتى ليخطيء من يقف على منزل عامر ومن يرحل على حمار ومن يرد المياه الجوراء ومن يقطع إلى الممدوح منابت الورد والترجم والأس^(٢) .

هذا النهج التقليدي لقصيدة المديح هو الذي أخذ به الشعراء في العصور الأولى للأدب العربي أي في العصر الجاهلي والأموي وبداية العباسي ، ولم يحدث فيه تغيير أو تطوير إلا مع الحركة التجديدية التي بدأت تظهر وتزدهر في العصر العباسي على يد الشعراء المحدثين من أمثال أبي نواس ومسلم والحسين وغيرهم . وكان أبو نواس هو أول من نادى بالندوة إلى نبذ هذا التقليد والتحرر من قيوده كما يقول^(٣) .

ولا شجاني ما شخص ولا طلل	مالي بدار خلعت من أهلها شغل
الأدل عنها ولا جيران منتقل	ولا رسوم ولا أبكي لمزلة
ولا سري بي فأحكيه بها حمل	بيداء مقفرة يوما فأنعتهم
فيها المصيف قلبي عن ذاك مرغل	ولا شئت بها عاماً فأدركني

(١) (٢٠١) الشعر والشعراء ص ٢٠ .

(٢) ديوان أبي نواس ص ٦٩٨ ط سنة ١٩٥٤ تحقيق أحمد عبد الحميد النزال .

ولا شدت بها من خيمة طنبا جارى بها الضب والحربا عو الورل
لا الحزن منى برأى العين أعرفه وليس يعرفنى سهل ولا جبل
لأنعت الروض إلا ما رأيت به قصرا منيفا عليه النخل مشتمل
وهكذا يفصل القول في هذه القضية مبرا تركه لهذا التقليد السقيم ،
شارحا وجهة نظره في الإعراض عنه ، فما انذى يدعوهُ إلى بكاء ديار لا تربطه
بأهلها صلة ولا يعلم عنها شيئا ؟ . وما انذى يدعوهُ إلى وصف رحلة في بيداء
أو ذكر ركوب الجمال وما يصادفه في هذه الصحراء من حيوانات وهو لم
ير من كل ذلك شيئا ؟ .

إن هذا كله لا حاجة له في ذكره والحديث عنه ، وإنما الأولى بالوصف
والذكر ما يراه من قصور منيفة يلفها النخل ، وما إلى ذلك مما يقع عليه بصره .
وتنفعل به نفسه .

ولم تكن هذه الدعوة وليدة نزعة شخصية من أبي نواس الذي اشتهر بأنه
رائدنا ، وإنما هي ترجمة لطبيعة العصر وتطور المجتمع في أفكاره وتقاليده .
ولسان الشاعر هو أداة التعبير عن هذا التطور وتصوير جوانبه المختلفة .
ونفسه هي البوتقة التي تنصهر فيها تجارب الحياة بكل ألوانها ومرئياتها فيصوغها
شعرا . وهو لذلك يميل إلى التعبير عما في نفسه وما يحول في خاطره ونحسه
مشاعره ، بينما تمج نفسه ترديد أقوال اشعراء القدياء أو السابقين في أشياء
لم يرها ولم تربطه بها صلة .

وموقف الحسين من هذه التقاليد الشعرية القديمة كوقوف أبي نواس ،
فراه يزدري البادية ويصف ما بها وصفا قبيحا ، فكل ما بها شوب أقداء .
وأعرابها أجلاف يتلفعون الأطمار البالية ، وإن كانت خيولهم العربية الأصيلة
هي الميرة الوحيدة لديهم إلا أنها لا تستحق أن نهم بها من أجلهم . هذا الازدراء
واضح في قوله ^(١) :

ما بين بطن ثبير إن حلت به إلى الفراديس إلا شوب أقداء
فقد همك عن طرف يمارسه جلف تلفع طمرا بين أحشاء

(١) انظر مقدمة ديوان أبي نواس رواية حمزة الأصمهاوى .

كما نجلده يفضل الخمر واللهم ، ويؤثر التغنى بذلك في شعره على ذكر
هند وأسما وديارهما وما إلى ذلك مما تعود ترديده الشعراء فيقول :

هذا النعم ولا عيش تكون به هند براية من بعد أسماء

ونلاحظ أيضا أنه لم يبك ديارا ولم يقف على أطلال في مطالع قصائده .
وإنما أخذ من هذه التقاليد بما تستجيب له نفسه ، أخذ منها النسيب وذكر
الصبا والشوق لأنها معان قريبة من نفس كل إنسان متجددة مع كل زمان
فراه يستهل قصيدته في مدح الواثق بهذه المعاني ، يقول ^(١) :

أُكأتم وجدى فـا ينكّم	بمن لو شكوت إليه رحم
وإني على حسن ظنى به	لأحسّر إن بحث أن يحشم
ولى عند لحظته روعة	تحقق ما ظننه التهم
وقد علم الناس أنى له	محب وأحبه قد علم
وإني لمغض على لوعة	من الشوق في كبدي تضطرم

وفي قصيدته التي مدح بها المعتصم نراه يستهلها بذكر شوقه ولحنه ،
ويرمز في نسيبه إلى ما يعانيه من الحرية والقلق والخوف نتيجة إبعاد المأمون
له ، وصلوده عنه ، وذلك في قوله ^(٢) :

هلا رحمت تلدد المشتاق	ومنت قبل فراقه ابتلاق
إن الرقيب ليسترب تنفسي الصـ	عدا لك لا وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة	عبرى عليك سخينة الآفاق
نفسى الفداء لخائف مترقب	جعل الوداع إشارة بعناق
إذا لا جواب لمفحم متحير	إلا اللعوع تصان بالإنطراق

فهو في ذلك ليس شاعرا تقليديا متصنعا يتكلف في شعره ، ويتبع
ما تملبه عليه التقاليد الشعرية دون أن يعبر عن حقيقة مشاعره . وإنما هو يعبر

(١) أغاني الفار ج ٢ ص ١٩٥ ومجموع الأدباء ج ١٠ ص ٨ .

(٢) أغاني الفار ج ٢ ص ١٥ - ١٥٢٢ ومجموع الأدباء ج ١٠ ص ١٨ .

في نسيبه عما يحول في نفسه وما تعانیه من آلام ، ويسجل أحاسيسه ومشاعره في صدق بالغ ، وانفعال عميق ، وطبع قوى . وبذلك يخضع التقليد الموروث لشاعريته ويشكله بالطريقة التي ترضاهما نفسه .

ونهج القصيدة التقليدية على الشاعر أن يذكر رحلته إلى المملوح على أن يكون رحيله على ظهور الإبل كالشاعر القديم ، فإذا جعل رحلته على ظهر حمار أو غير ذلك كان مخطئا ، لأنه يكون بذلك قد خرج على النهج للرسم . وهنا نجد الحسين يأخذ بالتقليد في وصف الرحلة ، ولكنه يخالفه في الوسيلة التي رحل عليها ، فلا يجعلها كوسيلة الشاعر القديم لأنه غير مقتنع بذكر شيء لم يحدث ، وإنما يذكر رحلته على ظهر السفينة في نهر دجلة ، وبذلك لا يعدو ذكر الحقيقة إذ أن سفره من البصرة إلى بغداد غالبا ما يكون طريق النهر ، فهما تتعان عليه ، والسفينة أسهل وسيلة للسفر بينهما . وهنا ما نجده في قصيدته التي مدح بها الواصل^(١) :

إلى خازن الله في ملكه	سراج النهار وبدر الظلم
ركبنا غرايب زفافه	بدجلة في موجهها الملتطم
إذا ما قصدنا لقاطولها	ودهم قراقيرها تصطبطم
سكنا إلى غير مسكونة	تيممها راغب من أسم
مباركة شاد ببنائها	بخير المواطن خير الأسم

وهكذا يمضي في وصف السفينة حتى يخرج من ذلك إلى مدح الواصل كما هو متبع في النهج التقليدي للقصيدة .

ويبلغ عدد ما وصل إلينا من أبيات هذه القصيدة سبعة وعشرين بيتا^(٢) ، وهي أطول قصيدة له في هذا الغرض ، مع العلم بأن أبا الفرج ياقوتا لم يروها كاملة .

(١) (٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٩٥ - ١٩٦ وسجع الأدباء ج ١٠ ص ٨ وما بعدها .

على أننا نلاحظ أن الحسين لا يتبع ذلك النهج في بعض مدائمه . فهو قصيدة أخرى في مدح الواثق^١ نراه بسّهلها بملحه مباشرة دون المقدمة التقليدية المعروفة وما يتلوها من ذكر رحلة وغير ذلك . وهذا واضح من مطلعها الذي يقول فيه^(١) .

سقى الله بالقاطول مسرح^٢ طرفكا وخص بسقياه مناكب قصركا

وإذا كانت هناك بعض أبيات لم تصل إلينا بعد هذا البيت ، لأن أبا الفرج الذي روى القصيدة اكتفى بأن قال — بعد هذا المطلع — « حتى انتهى إلى قوله » وذكر أبياتا أخرى في وصف الصيد ، وإذا كانت هذه الأبيات لم يروها أبو الفرج فإنها لا تعلق أن تكون استمرارا للمعنى الذي بدأ به مسّهلها مدّحه لواثق .

ويمكننا أن نرجع السبب الذي جعل الحسين يغفل اتباع النهج التقليدي في هذه القصيدة إلى المناسبة التي قيات فيها ، وهي أنه « كان مع الواثق بالقاطول وهو يتصيد ، فصاد صيدا حسنا وهو في الزوّ من الإوز والدراج وطير الماء وغير ذلك ، ثم رجع فتغلى ودعا بالجلساء والمغنين وطرب ، وقال : من ينشدنا ؟ فقام الحسين فأنشده » هذه القصيدة . ويبدو أن الحسين كان يتوقع أن يطلب الواثق ذلك فجهز الأبيات في نفسه قبل أن يعقد المجلس حتى إذا حانت الفرصة وطلب الإنشاد كان أول الملبين . ومع توقع الحسين ذلك فإن الوقت لم يكن يتسع لأن ينظم قصيدة طويلة يتبع فيها النهج التقليدي . وهذا ما دعاه للمدح المباشر ووصف الصيد ومجلس اللهو دون أن يضيع الوقت والجهد في مقدمات خارجة عن الموضوع

وهو في وصف الصيد يربطه بذكر الواثق وكأنه عنصر من عناصر ملحه فيقول^(٣) :

نحين للدراج في جنباته ولغمر آجال قدرن بكفكا

ويصف مجلس لهو وشرابه وطربه على أنه من مظاهر نعمته ، وطيب
العيش في دولته ، فيقول :

تصرف فيه بين ناي ومسمع ومشمولة من كف ظلي لسفيكا
قضيت لبانات وأنت نحس مريح وإن شطت مسافة عزمكا
ثم ينتقل إلى ملحه فيقول :

خلقت أمين الله للخلق عصمة وأما فكل في ذراك وظلسكا
وثقت بمن سماك في الغيب واقفا وثبت بالتأييد أركان ملككا
فأعطاك معطيك الخلافة شكرها وأسعد بالتقوى سريرة قلبكا
إذا كنت من جدواك في كل نعمة فلا كنت إن لم أفن عرى بشكركا

وقد روى أبو الفرج من هذه القصيدة اثني عشر بيتا . ومع ملاحظتنا
بأنها تنقص بعض الأبيات بعد البيت الأول ، فإننا نرجح أنها أبيات قليلة
لأنها قبلت على عجلة وبدون إعداد كاف ، كشأن قصائد المدح الأخرى التي
يقدّم فيها الشعراء أفضل ما لديهم من بضاعة الشعر ، والتي يستكملون فيها جميع
العناصر التقليدية المعروفة .

وهو على أي حال لا يتمسك دائما بالتقاليد الشعرية في مدائحه ، سواء قالها
على عجلة أو أعدها إعدادا كافيا لينشدها أمام مملوحه ولينال إعجابه
وتقديره وعطاءه ، وهنا ما نراه واضحا في مطلع قصيدته التي مدح بها
المتنصر وهنأ بالخلافة ، إذ يبلوؤها بلا نسيب أو بكاء على ديار أو وقوف
على أطلال وإنما يدخل في موضوعه مباشرة فيقول ^(١) :

تجددت الدنيا بملك محمد فأهلا وسهلا بالزمان المجدد
هي اللولة الغراء راحت ويكرت مشمرة بالرشد في كل مشهد
لعمري لقد شدت عرا الدين بيعة أعز بها الرحمن كل موجد
[هتاك أمير المؤمنين خلافة جمعت بها أهواء أمة أحمد

ومعظم ما وصل إلينا من شعر الحسين في المديح أبيات مختارة من قصائده
قصيدته في مدح المعتصم بمناسبة فتحه عموورية ، والتي ذكر المسعودي أنها
طويلة لم يذكر منها سوى أربعة أبيات هي قوله ^(١) :

لم تبق من أنقرة نقرة واجتحت عموورية الكبرى
إن يشك توفيل بتاريخه فحق أن يعذر بالشكوى
تفى بنو العيص وأيامهم وذكر أيامك لا يفنى
يارب قد أملكك من بابك فاجعل لتوفيلهم العقبى

ولو أن هذه القصيدة وصلت إلينا كاملة لأفادتنا في دراسة شعره إفادة
كبيرة ، لأن مناسبتها من أبرز المناسبات التاريخية ، ومن أهم الوقائع الحربية
التي تناولها الشعراء وتنافسوا في الإشادة بذكرها والافتخار بانتصار العرب
على الروم فيها ، فهي موضوع دسم للدراسة المقارنة ، ومعرفة قدرته على
قرض الشعر الحماسي ، وهو الذي عرف بالحنون والحنن .

ومثل هذه القصيدة قصيدة له أخرى في مدح أبي الحسين الأفشين قائد
جيوش المعتصم بمناسبة واقعة عموورية كذلك . وقد ذكر المسعودي أنها قصيدة
طويلة ومع ذلك لم يروها سوى أربعة أبيات زاد عليها الطبري ثلاثة أخرى ،
فمجموع الأبيات التي وصلت إلينا منها سبعة فقط ، نذكر منها قوله ^(٢) :

أثبت المعصوم عزا لأبي حسن أثبت من ركن لاضم
كل مجد دون ما أثله لبني كاوس أملاك العجم
إنما الأفشين سيف صله قدر الله بكف المعتصم

ونلاحظ أنه في مدحه للأفشين لا ينسى ذكر المعتصم وما له من فضل
عليه ، وأن الأفشين سيف في يده صله الله على أعدائه . ويسجل ما فعله
الأفشين بهؤلاء الأعداء وهم بابك الخرى وتوفيل الرومي فيقول ^(٣) :

ثم أهدى سلتما بابكهم رهن حجطين نجيا للندم

(١) التنبية والإشراف ص ١٧٠ .

(٢) ، (٣) الطبري ج ٣ ص ١٢٥٤ والتنبية والإشراف ص ١٤٤ .

وقرأ توفيل طعنا عبادة — فض جميعه في هسزم
قتل الأكثر منهم ونجى من نجا لحما على ظهر وضم

وقصيدته في مدح الحسن بن سهل وزير المأمون لم يصل منها سوى تسعة
أبيات، ولا شك في أنها كانت قصيدة طويلة، لأن الهدف منها لم يكن مجرد
المدح وكسب نوال المملوح كما هي العادة، وإنما كان هدفه أن يشفع الحسن
له عند المأمون؟ وكانت هذه أمنية صعبة التحقيق لسوء رأى المأمون فيه
كما عرفنا. وتلك عوامل من شأنها أن تجعل الحسين يبذل قصارى جهده
في إعداد قصيدة جيدة تنال إعجاب الحسن وتقنعه بأن يقوم بهذه المهمة.
وفي هذه الأبيات يظهر بوضوح هدف الحسين من مديحه، إذ يجعله معقد
الآمال وموئلاها في قوله^(١):

أرى الآمال غير معرجات على أحد سوى الحسن بن سهل

وصاحب الساحة المثل والفضل العميم في قوله :

يبارى يومه غلده سمحا كلا اليومين بأن بكل فضل

ورجل الحكمة الصائبة والقول الفصل في حل الشكالات العويصة
في قوله :

فإن حضرتك مشكلة بشك شفاك بحكمة وخطاب فصل

وهكذا يلور حول هذه المعاني كأنه يدفع الحسن دفعا إلى ما يريد،
ويشير حيته لبذل السعى الحميد.

ومع أن الحسين كان شاعر خمر ومجون وغزل بالدرجة الأولى،
لأنه قد بلغ في شعر المديح أيضا مرتبة عالية قصبه في مصاف شعرائه
المبرزين. وليس أدل على ذلك من أن أبا القرج في روايته لشعره في مدح

المعتم قال بأنه « مما قلده أهل العلم على سائر مقالاته الشعراء »^(١) ، حيث قال :

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى	متعفين تصف المراق
إني أحلركم بواذر ضيغم	درب بحلم موائل الأعناق
متأهب لا يستفز جنـانـه	زجل الرعود ولا مع الإبراق
لم يبق من متعمرين نوثبوا	بالشام غير جاجم أفـلاق
من بين منجلد تمج عروقه	علق الأخادع أو أسير وثاق
وثى الخيول إلى معاقل قيصر	تخال بين أحزة ورقاق
يحملن كل مشعر متغشم	ليث هزبر أهرت الأشداق
حتى إذا أم الحصون منازل	والموت بين ترائب وتراق
هرت بطارقها هرير ثعالب	بُدعت بزأر قساور طراق
ثم استكانت للحصار ملوكهم	ذلا وناط حلوقهم بخنـساق
هربت وأسلمت البلاد عشية	لم يبق غير حشاشة الأرماق

ونستطيع أن نقول إن أبا الفرج لم يعد ألحق في قوله ؛ لأن الشاعر في هذا المديح قد أعطانا صورة رائعة لقوة المتصم وشجاعته في الحرب وانتصاره على أعدائه الروم ، كما صور قوة جيوشه وشجاعة جنوده وما قاموا به من أعمال بطولية ، وإلى جانب ذلك فإنه قد صور هزيمة الأعداء وما أصابهم من رعب وإذلال وبلاء وهلاك ، حتى إن المتصم من شدة إعجابه « ملأفه جوهرًا من جوهر كان بين يديه ثم أمره بأن يخرج من فيه ، وأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعله ، كما أمر له لكل بيت بألف درهم وقال له : « أنت تعلم يا حسين أن هذا أكبر ما ملحنى به مادح في دولتنا »^(٢) :

وعلى العموم فإن ما وصل إلينا من شعر الحسين في المديح قليل بالنسبة لما قاله في هذا الغرض . فدأخه في الأمين^(١) لم يصل إلينا منها شيء ، والمعتقد أنها كثيرة لأنه كان أول من نادى من الخلفاء ، ولابد أنه قال في مدحه ما يجعله أهلاً لقربه ومناذمته ، وما يعبر به عن شكره لفضله الذي غمره به . وكذلك مدأخه في الأمراء من أبناء الرشيد وغيرهم . وما ذكره هو نفسه من مدأخه للناس في أول مقدمه إلى بغداد^(٢) . كل هذا لم يصل إلينا منه شيء . ولكن من هذه القصائد القليلة التي وصلت إلينا . ومن الأبيات المختارة من قصائده الطويلة ، يمكننا أن نرى صورة واضحة المعالم لمديح الحسين ، ونخرج من دراستها بنتائج هامة تضع الحسين بين الشعراء المجيدين في هذا اللون ، كما تضعه إلى جانب أبي نواس بين المجيدين من الشعراء في العصر العباسي ، الخارجين على التقاليد الشعرية الموروثة للقصيدة العربية والتي تتمثل بصورة واضحة في شعر المديح . وإن لم يكن هذا الخروج خروجاً تاماً أو نبذاً كاملاً ، إذ أنه ينحصر في عناصر القصيدة التي تتنافر مع طبيعة الحياة الجديدة وحاجة العصر المتطورة .

• • •

(٢) الرثاء :

من الأغراض التقليدية الخانة في شعر الحسين الرثاء ، ورثاؤه يكاد يقتصر على الخليفة العباسي الأمين ، الذي كان لمقتله أشد الأثر على نفسه حتى قيل : « إنه خولط من جزعه عليه فكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول : إنه مستر وإنه قد وقف على تفرق دعائه في الأمصار يدعون إلى مراجعة أمره والوفاء ببيعتة ضنابه وشفقة عليه »^(٣)

ولعل هذا القول لم يجانب الحق كثيراً في وصف حال الحسين بعد مقتله الأمين ، لأننا نجد صلبه في شعره قويا ، بل إنه يكاد يكون شرحاً أو تفسيراً لمعانى الأبيات التي يقول فيها^(٤) :

سألونا أن كيف نحن فقلنا : من هوى نجمه فكيف يكون

(١) ذكر جورجى زيدان أن مدأخه في الأمين كثيرة دون اعتداد في قوله على أية نصيدة في مدحه . أنظر تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٨١ سنة ١٩٣٦ .

(٢) أغاني البار ج ٧ ص ١٦٣ . (٣ ، ٤) أغاني البار ج ٧ ص ١٥١ .

نحن قوم أصابنا حدث الدهر فظننا لربيه نستكين
تتمنى من الأميين إيابا لهف نفسي وأين مني الأمين

فهو ما زال يأمل في رجعة الأمين ويتمناها ، وكيف يعتقد في إمكان
حلول ذلك إلا إذا كان لا يصدق بقتله ، ويظن أنه ما زال حيا مستترا يدعو
الناس إلى الوفاء ببيعتهم كما يقول أبو العرج .

والذي يقرأ مراثي الحسين في الأمين يحس فعلا بشدة فجيعة فيه وحزنه
عليه ، ويشعر بدموعه المنهرة وكبدته الحرى ، ورزيتة البالغة ، وذلك واضح
من قوله (١) :

يا خير أسرته وإن زعموا إني عليك لثبت أسف
الله يعلم أن لي كبدا حرى عليك ومقالة تكف
ولئن شجيت بما رزيت به إني لأضمر فوق ما أصف

وفي رثائه يصف ما حل بأسرة الأمين وأهل بيته من ذل وهوان وما فعل
بهم جنود المأمون من القذائع ، وكأنه بذلك يثير ثائرة الناس ويستعملهم على
المأمون وجنوده الذين هتكوا حرمة أبيه وبالتالي حرم الرسول ، ونهبوا
وسلبوا ما شاعوا من بيته ، وفي ذلك يقول (٢) :

هتكوا بحرمتك التي هتك حرم الرسول ودونها السجف
وتبت أقرارك التي خذلت وجميعها بالذل معترف
تركوا حريم أبيهم نقلا واخصنات صوارخ هتف
أبدت مغلخلها على دهمش أبكارهن ورنن التصف
سلبت معاجرهن واجتليت ذات النقاب ونوزع الشنف
فكأنهن خلال منهب در تكشف دونه الصدف

(١) ، (٢) انظر القصيدة في الطبرى ج ٣ ص ٩٤١ ط ليدن وابن الأثير ج ٦ ص ١١٨ ط
أولى سنة ١٣٠١ و ج ٦ ص ٢٠٤ ليدن .

ويكرر ذكر هذه الفضائل التي حلت بيت الأمين أو آل النبي في قصيدة أخرى ليريد ثورة الناس ويلهب الحمية في نفوسهم ، مبدئياً أسفه لهذه الأحداث الشنيعة فيقول : (١)

وما شجى قلبي وكشف عبرى محارم من آل النبي استحلّت
ومتهوكة بالخلد عنها سجونها كعاب كقرن الشمس حين تبلّت
إذا خفرتها روعة من منازع لها المرط عاذت بالخشوع وورنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
أردّ يدا منى إذا ما ذكرته على كبد حرّى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامين بعبطة ولا بلغت آمالهم ما تمتت

وقد عرف الحسين كيف يطرق المواطن الحساسة في دعواه تلك ، حتى إنه لم يثر نائرة الناس فحسب — بل أثار نائرة المأمون نفسه ، وأجج غيظه فغضب عليه أشد الغضب لهذه الأقوال التي تمس العرض والشرف أكثر مما غضب لمجائه ، ولذلك كان تأنيبه له — لما دخل عليه — منصبا عليها ، إذ قال له : « أخبرني هل رأيت يوم قتل أخى هاشمية قتلته وهتك ؟ قال : لا ، قال فما قولك ؟ » وذكر له الآيات السابقة .

وفي رد الحسين على المأمون ببرر ما قاله وبين الأسباب التي دفعته إلى هذه الأقوال ، نحس صدق فجيعة وعميق حزنه ، حتى أن المأمون دمت عيناه تأثرا من قوله وعفا عنه ولم يعاقبه إلا بعدم استخدامه . هذا الرد هو قوله : « يا أمير المؤمنين : لوعة غلبتني وروعة فاجأتني ، ونعمة سلبتها

(١) انظر الآيات والحوار الذي دار بين الحسين والمأمون بينهما في ابن الأثير ج ٦ ص ١١٩ ط أول سنة ١٣٠١ و ج ٦ ص ٢٠٤ ليدن و عيون التواريخ ج ٧ حوادث سنة ٢١٨ ترجمة المأمون والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢٦ ط دار الكتب سنة ١٩٣٠ والأخا ج ٧ ص ١٦٦ والفرج بعد الشدة ج ١ ص ٧٤ .

بعد أن غمرني ، وإحسان شكرته فأنتأني وسيد فقدته فألقاني فلإن عاقبت
فبحقك وإن عفوت فبفضلك^(١) .

ويذكر الحسين في رثائه أن المأمون قد غدر ونقض العهد المعقود مع
أخيه أيام الرشيد ، ويجعل من ذلك حجة ضده وخطأ لا يقدر فيقول^(٢) :

لا هيوا مصفا مشرفة للغادرين تحتها الحسد
أفبعد عهد الله تقتل..... وأقبل بعد أمانة مسرف

وكان الحسين قد نسي أن الأمين هو الذي بدأ بنقض العهد حين هم
بخلع المأمون من ولاية العهد وتولية ابنه مكانه . ولعل لوعة الشاعر هي التي
دفعت إلى هذه المغالطة وإلى اختلاق الأخطاء للمأمون . وقد عرفنا أنه زاد
في رثائه حتى تجاوز الحد وعرض بالمأمون ودجاء متمنيا له التثريد والتلف
وبالأ يفرح بالملك بعد الأمين .

وكان بعد المأمون عن بغداد وإقامته بخراسان زهاء سنة ، نوات بعد مقتل
الأمين عاملا هاما في رثاء الأمين ، إذ وجد الحارثية في أن يطلق لسانه
بما شاء من القول دون رقيب يحاسبه أو زاجر يمنعه .

وفي مراثية أخرى يبدو أنه قالها بعد مقتله بمدة وجيزة لأنه يذكر فيها
منازل الأمين وأماكن ماؤه وأيام حزنه وما تثيره نفسه من حجون وأحزان
فيقول^(٣) :

إذا ذكر الأمين نعي الأمينسا وإن رقدت الخلى حتى الحفونا
وما برحت منازل بين «بصري» «وكلوا ذى» تهيج لي شجونسا

(١) خلق بن شاذل الكوفي على هذا الشعر والحوار بقول له أبيه وهو : والله ذكره
الخليج هو الصحيح وأي هيبة أعظم من خروج زبيدة أم المؤمنين سامرة مكشوفة الرأس ناشر
فهرها ومعهما بنات الخلفاء علي بن المديح وإسماعيل بن شوارع بغداد ويحيى بن علي بن رستم الرماد حتى
ثنا علي بن كل صديق وكل عدو . وإنما الخليج خاف من المأمون فأنذر بما ذكره (أقوال عربون
التواريخ ج ٧ حوادث سنة ٢١٨) .

(٢) الطبري ج ٣ ص ٩٤١ وابن الأثير ج ٦ ص ٢٠٤ ط لين .

(٣) الطبري ج ٣ ص ٩٤٢ .

عراص الملك خاوية تهادى بها الأرواح تنسجها فنونا
تخون عجز ماكنها زمان تلقب بالقرون الأولينا
فشقت شملهم بعد اجتماع وكنت بحسن ألفهم ضئينا
فلم أر بعدهم حسنا سواهم ولم ترمهم عيون الناظرينا
فوا أسفا وإن شئت الأعادى وآه على أمسير المؤمنيننا

ففي هذه الآيات نحس صدق العاطفة وتدفق المعاني عن طبع قوى ، وأن
وقع المصيدة ما زال شديدا على نفسه ، يهيج أشجانها ويشير كوامن ذكرياتها .

وينبى أيام السعادة الجميلة وما صارت اليه بعده من ضلال عن عرفه
الحسن ، وترك لطريقته المثلى في البذل والكرم ، حتى أنه طايا الراغبين
وقصاد بيت الخلافة قد أصبحت في راحة وترف لأنهم لم تعد تتركب ، ولم تعد
تحمل أصحابها إلى مكان العز والجاه الذي خلا بموته فيقول ^(١) :

أضل العرف بعدك متبوه ورُفَّسه عن مطايا الراغبينا
وكن إلى جنسابك كل يوم يرحن على السعود ويغتدينا

ومع ما عرف عن الأمين من حب اللهو والترف وحياة الحجون ومجالس
الشراب والغناء فإن الحسين يتنامى كل ذلك ، وينبى أنه كان من المقربين
إليه لخلافة وظرفه ومجونه ، فلا يشير من قريب أو بعيد إلى شيء من ذلك ،
وإنما يصفه بعكسه تماما ، فهو حاشى خي الدين الذى صار بعده مطروحا
مهينا ، وهو الذى روع الصالحون بمقتله ونجوا فيه ، بل إن الدنيا لتندب
بعده الدين المصون ، الذى مات بموته ، أو لم يعد مصونا كما كان في أيامه ،
وبموته ذل المسلمون بينما عز شعب كسرى وعزت ملتهم ، وكأنه يعنى بذلك
أن القرم الذين نصررو المأمون ليسوا بمسلمين ، وأنهم بذلك يعيدون مجد
كسرى وملته . كل هذه المقالطات يجمعها الحسين في قوله ^(٢) :

هو الجبل الذى هزت المعالى لهسسته وريع الصالحونا

ستندب بعدك الدنيا جوارا وتندب بعدك الدين المصونا
فقد ذهبت بشاشة كل شيء وعاد الدين مطروحا مهينا
تعقد عـز متصل بكسرى وملتـسـمـه وذل المسلمونا

ولعل الحسين في قوله هذا يأخذ بالمبدأ الذى عرف من قديم في الشعر العربى وهو قولهم « أعذب الشعر أكذبه » ولكننا لا ننظر إلى صدق الحقائق في تقويم الشعر ، وإنما ننظر إلى صدق الشاعر ؛ فالحسين هنا وإن كان كاذبا لم يذكر الحقيقة فإنه صادق في عاطفته ، صادق في حزنه وفجيئته ، ولذلك يرى صاحبه أفضل الناس ويصوره لم أحسن صورة تملها مبادئهم ودينهم ، وهو في سبيل ذلك ينسئ أصله الفارسى ، ويندد بما فعله أنصار الأمون من الفرس ويتهمم بالخروج على الدين وإعادة دين كسرى وإذلال المسلمين ، وما دفعه إلى كل ذلك إلا حبه للأمين وحزنه لفقده بلا تكلف أو افتعال .

ولا نجد للحسين شعرا في الرثاء غير رثائه للأمين إلا بيتين في رثاء أبي نواس يعبران عما كان بينهما من محبة أكثر مما يعبران عن حزن . ولا نحس فيهما صدق العاطفة كما في رثاء الأمين وهما قوله ^(١) :

كابرنيسك الزمان يا حسن فخاب مهـمى وأفلح الزمن
ليتك إذ لم تكن بقيت لنا لم تبق روح يحوطها بدن

أما ما نسب إليه من رثاء المتوكل فهو لا يعدو أن يكون تقريرا لما حدث وهو أقرب إلى الموعظة والعبرة منه إلى الرثاء ، كما أن نسبه إليه مشكوك فيها كما سبق أن ذكرنا .

وعلى العموم فإن الرثاء في شعر الحسين لا يقل جودة عن بقية شعره ، وقد وصف أبو الفرج وغيره مرثيه للأمين بأنها « كثيرة جياذ » ^(٢) ، ومما عرضناه منها نستطيع أن نرى مدى جودتها . فهي تجمع إلى قوة الطبع صدق

العاطفة وتوقد الشعور ، وهذا كفيلا بأن يضعها في مرتبة أجود شعر قيل في الرثاء . أما كثرتها فلم تتحقق لنا لأن ما وصل إلينا منها قليل ، شأن الأغراض الأخرى في شعره ، ولكن هذا القليل تمثل فيه عناصر القوة والجودة التي تنفع الدارس وتغنيه عن الكثير .

(٣) المعجاء :

والمعجاء في شعر الحسين لا يمثل جانباً هاماً ، فليس له فيه إلا مقطوعات وأبيات قليلة ولكنها لا تقل عن مستوى شعره في الأغراض الأخرى قوة وجودة ، ولعل قلة هجائه راجعة إلى أنه لم يكن ميالاً إلى السخرية المقلدة أو لأنه كان في شغل عن المعجاء بمناذمة الخلفاء وبشعر الخمر والمجون .

وأكثر ما قاله فيه إما بدافع المزاح والظرف وإما بدافع المجاملة للآخرين .

فما قاله على سبيل المزاح والظرف : بينان في مغنية كان قد عبث بها مرة فصاحت عليه واستخفت به ، فأراد أن يضحك الجالسين عليها ، ويجعلها موضع سخرتهم فقال ^(١) :

لها في وجهها عكن وثلاث وجهها ذن
وأسمنان كريش البسط بين أصـولها عفن

وبكت الحارية لذلك بكاء مرا وشاع البيتان فكسدت من أجلهما ، وكانت إذا حضرت في موضع أنشدوا البيتين فتجن ، ثم هربت فسا عرف لما بعد ذلك خبر . والواقع أن في البيتين هجاء مقلداً ، وخاصة أنها جارية مغنية جل عملها في مجتمعات الرجال ومجالسهم .

ومن ذلك أيضاً ثلاثة أبيات قالها في هجاء جراح منحت اسمه نصير وهي ^(٢) :

نصير ليس المرء من شأنه نصير طَبَّ بالإنكار يش

يقول للتكريش في خطوة مقال ذي لطف وتجميش
هل لك أن نلعب في فرشنا قلب الطير المراعىش

واشتهرت الأبيات فكان الصبيان بعد ذلك يصيحون به إذا رأوه
يا نصير ، نلعب قلب الطير المراعىش فيشتمهم ويرميهم بالحجارة ،
والذى يجعل الأبيات لاذعة أن الحسين يقصد نقطة الضعف أو مركب النقص
ينصب عليه فخريته ، ولشهرة الأبيات وصياح الصبيان بعد ذلك أن يذكرها
ويجعلها شديدة اللذع على نفس المهجو .

وبيتان قالهما في شخص اسمه « سابور » يصف وجهه بالقبح الشديد كما
رميه بالخسة وكثرة الغيوب . فيقول^(١)

سابور ويحك ما أخسك بل أخسك بالعيسوب
وجبه قبيح في التبيس كيف يحسن في القاطب

أما المهجاء الذى يقوله بمجاملة لآخرين فنه هذه الأبيات التى قالها في غلام
أمر د حسن الوجه ، كان يتنافس صديقا له في حب جارية مغنية ، وقد مالت
الحارية إليه لشبابه ورواه ، نذذب هذا الصديق إلى الحسين يشكو ، وسأل
أن يقول فى الغلام شعرا . وهنا يختار الحسين الجانب الذى يصب عليه هجاءه ؛
وهو أن الغلام كان ينفذ الشعر الذى يخرج من لحيته ، فقال فى ذلك^(٢) .

خل الذى عنك لا تستطيع تدفعه يامن يصارع من لاشك بصرعه
جاءت طرائق شعر أنت تانفها فكيف تصنع لو قد جاء أجمعه
الله أكبر لا أنفك من عجب أنت تحصد ما ذوالعرش يزعه
تبا لسعيك بل تبا لأماك . . إذ ترعى حى خالق الأحياء بمنعه

فهو لم يزد على أن قال له : تبا لأماك ولما فعله من تنف شعيرات
نقنك ، وأنك لن تستطيع منع خروج الشعر إذا زادت غزارته ، وهكذا

(١) شرح المقامات ج ٢ ص ١٤٠ ط سنة ١٢٨٤ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٧٦

مخاطبه بلهجة خفيفة لا تكاد تبلغ درجة الهجاء . ويزيد من شدتها في أبيات أخرى فيقول (١) :

ثكلتك أمك يابن يوسف	حسام ويحك أنت تنذف
لو قد أتى الصيف النذى	فيه رهوس القوم تكشف
فكشفت عن خديك لى	لكشفت عن مثل المقوف
أو مثل زرع ناله الـ	يرقان أو نكباء حرجف
ففلدا عليه الزارعو	ن ليحصلوه وقصد تقصف
فظلات تأسف كالأولى	أسفوا ولم يغن التأسف

فهنا يشبه خديه بالبرد المخطط من أثر تنضمها ، أو بالزرع الذى أكلت الآفات أو أقصدته الرياح الباردة ، فلما جاء الزارعون ليحصلوه وجلود متقصفا لا تنفع فيه ، وبذلك يعطينا صورة لوجهه مشوهة المعالم قبيحة الشكل ، نتيجة تنفه الشعر منه .

وفى هجائه للعباس بن المأمون نجده لا يزيد على أن يكون مجاملة للمعتصم ، أو أنه اضطر إلى قوله ، لأنه كان قد أشيع عنه أنه مدح العباس وتمنى له الخلافة فغضب منه المعتصم ، ثم عفا عنه بعد أن اعتذر وشفع له الواقف فقال هذه الأبيات يهجو العباس إرضاء للمعتصم ، وإبعاداً للهمة عن نفسه . وفيها يصفه بالجهل وقلة المروءة والأدب لحسده المعتصم على مكانه الذى اختاره له أبوه المأمون ، وبأنه لم يرع ديناً ولا قرابة فى فعله ، فعليه اللعنة والعار ، يقول (٢) :

خل اللعين وما اكتسب	لا زال منقطع السبب
يا عورة الثقلين لا	ديناً رعيت ولا حسب
حب الإمام مكانه	جهلاً حناك على العطب
وأبوك قسمة لما	لما تخبر وانتخب

ما تستطيع سوى التنفـ من والتجـ سرع للكرب
ما زلت عند أهلك منـ ستقصـ المسروعة والأدب

ولم يكن الحسين ليستطيع أن يقول ذلك في أمير عباسي لولا أن العباس
تأمر على المعتصم وأراد خلعه من الخلافة ، وهو لذلك يسبه ويسفل فعله ويحقر
شأنه ويفضح جهله ، ومع ذلك لا يصل به الأمر إلى درجة الإقذاع التي
نجدها في شعر المهجائين .

(٤) الاعتذار :

كانت طبيعة حياة المنادمة التي عاشها الحسين تفرض عليه أن يكون دائما
موضع رضا من ينادهم وأن يحافظ على مكانته في نفوسهم ، وأن يلتزم
الحدود المرسومة لاحترامهم ، فإذا حدث منه ما يسبب غضب أحدهم عليه ،
وجب أن يعتذر ويعمل على إصلاح ما أفسده حقه أو خطؤه ، ويقتدر لباقة
في الاعتذار ، وحسن معالجته للخطأ ، ووقوع كذابه من نفوسهم موقعا طيبا ،
يكون نجاحه في مهمته ، ورضاهم عنه . ومن الطبيعي أن تتكرر ظاهرة الخطأ
والاعتذار في حياة الحسين لظروفها التي عرفناها . ومن ثم يكون الاعتذار
في شعره غرضا بارزا من الأغراض التقليدية ، وأن يعمد فيه إلى الإجابة
ليبلغ به مراده . ومع أن ما وصل إلينا من القصائد والمقطوعات في هذا الغرض
قليل ، فإنه يمكننا أن نرى فيها مدى إجادته ومقدار براعته في هذا اللون من
الشعر .

وباستقراء الأسباب التي دفعت الحسين إلى الاعتذار نجدها ثلاثة :

أولها : يتصل بمجالس الشراب والمنادمة وما يجري فيها من حماقات وخروج
على حدود الوقار والاحترام .

ثانيها : يتصل بالسياسة وما يوقعه فيه هواه من أقوال لا تعجب الخلفاء .

ثالثها : يتصل بكبر سنه وعدم قدرته على مواصلة منادمته الخلفاء وتلبية
رغباتهم :

أما بالنسبة للسبب الأول ، فينتج تحت بعض الحوادث التي جاءت في ترجمته نحكي ما كان يجري في مجالس شراهم ولوهم ، وما تسببه الخمر من سكر يجعلهم يأتون بأفعال وأقوال بعيدة عن التعقل والوقار . ويقع الحسين نتيجة لذلك في الخطأ فيسبب جليسه أو يرد عليه ردا يغضبه ، فيهاجره ويمنعه من حضور مجالسه بعد ذلك ، فيلجأ الحسين إلى إرضائه بالاعتذار إليه . ومن ذلك ما يقوله الحسين : « كنت يوما عند صالح بن الرشيد فجرى بيننا كلام على التبيذ وقد أخذ مني الشراب مأخذا غوريا ، فرددت عليه ردا أنكره وتأوله على غير ما أردت فهاجرني ، فكبت إليه :

ياين الإمام تركني مـلا . أبكى الحياة وأندب الأمل
ما بال عينك حين تلحظني ما إن تقل جفونها ثقلا
لو كان لي ذنب لبحت به كي لا يقال هجرني ملا
إن كنت أعرف زلة سلفت فرأيت مئة واحد عجا

قال : فكبت إلى و قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه في وقت سكرك ، وقد رضيت عنك رضا صحيحا ، فصر إلى على أتم نشاطك ، وأكل بساطك . فعادت إلى خدمته فما سكرت عنده بعدها » (١) .

ونلاحظ في اعتذاره أنه يتدب خيبة أمله ، ويبكى نقاسة حياته ، نتيجة إهمال صالح له وانصرافه عنه . وبهذا الأسلوب اللين يرضى غروره ويشعره بأن غضبه عليه فيه ضياعه وفساد حياته ، وأنه لا يستطيع أن يتحمل هذا الإهمال منه ، وفي سبيل إرضائه يضحي بولده الوحيد وما أعزّه على نفسه . كما نلاحظ أن الحسين يحافظ على مكانته كندم ، ويحرص على ألا تتغير الفكرة المأخوذة عن ظرفه ولطف معشره ، فيخشى أن يقال عنه : إن عمالها هجره بعد أن مل مجالسته وضاق بسخفه وسوء أدبه ، فهذا كثرل بأن يشوه سمته ، ويقطع عليه سبيل الحياة الناعمة اللاهية في هذه الأوساط الراقية .

وفي حادثة أخرى له مع الأمين إذ أمر أن يسقى ثلاثة أوطال من الخمر ، فلم يستوفها الحسين حتى غلبه السكر وقذف ، فأمر بحمله إلى منزله فحمل . فلما أفاق كتب إليه أبياتا يعتلز فيها عما بدر منه . وهنا يتبع طريقة أخرى في اعتذاره ، يعتمد فيها على إظهار ظرفه فيسب نفسه ويصفها بالآثوم والنذالة ، وبأنها لم تعرف قدر الأمين العظيم فأخطأت وأنت بما لا يليق في حضرته . وأنه لم يقلل ارتفاع درجة من يتادهمم الآن عن درجة مناديه السابقين من طبقة الدنيا حيث كان يشرب الكثير ، ويسهر الليل الطويل دون أن يهتم بما يأتيه من سيء الفعل . ومثل هذا لا ينبغي أن يصدر منه في مجلس الأمين الذي أكرمه القدر بأن يكون من نداهما ، فيقول : ^(١)

إذا كنت في عصبية	من العشر الأخيب
ولم يك لي مسعد	نديم سوى جعدب
فأشرب من رملية	وأسهر من قطرب
ولما جاني الزما	ن من حيث لم أحسب
ونادمت بـ بلر السما	في فلك الكوكب
أبت لي غضوضيتي	ولو من المنصب
فأسكرني مسرعا	قوى من المشرب
كذا النذل يدوبه	من سادة المنجب

وبهذا الأسلوب الظاريف استطاع الحسين أن ينفذ إلى قلب الأمين ويتنسى خطاه ويشغله بظرفه وخفة روحه ، وبذلك يبلغ مراده فبرده الأمين إلى منادته ويحسن جائزته وصلته .

وأما بالنسبة للسبب الثاني الذي يتصل بالسياسة ، فإن سيرة الحسين تعرفنا أن ميوله السياسية قد أوقعت في الخطأ وعرضته للعقاب مرتين ؛ في المرة الأولى بعد مقتل الأمين الذي عرض في رثائه بالمأءون وهجاء ، فعاقبه بجرمانه من خلعتة ، وإذ ذاك حاول الحسين لإرضاءه بالاعتذار والمديح مرات لم

تمحفظ لنا المصادر من شعره فيها إلا القليل : فقصيدته المشهورة في مدح
المأمون نجده يخطط فيها بين المديح والاعتذار فيجعل مديحه عنصرا من عناصر
اعتذاره ، وعاملا مدعما لموقفه لأن الموقف يقتضي ذلك فيبدوها مستعطفًا
بطلب منه أن يجبره ويتقنه مما هو فيه من ضياع فيقول : (١)

أجرني فإني قد ظمئت إلى الوعد متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعبدك من خلف الملوكة وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجد

ويستشفع لديه بما يديه من حب له وميل إليه ورغبة عارمة في وده
حين يقول :

أيخل فرد الحسين عني بنائل قليل وقد أفردته بهوى فرد
فقال شفيع عند حسنك غيره ولا سبب إلا التمسك بالسود

ويظهر ما في نفسه من الآلام الشديدة ، التي تكاد تحرقها حرقا نتيجة
عقاب المأمون بإبعاده حين يطلب من عمرو بن مسعدة أن يشفع له عنده وأن
يحمل اعتذاره إليه في كلام حسن طيب حين يقول : (٢)

قم إلى سيد البرية عني قومة تستجر حسن خطاب
فلعنسل الإله يطوق عني بك نارا على ذات الهباب

والمرة الثانية هي التي غضب فيها المنصم عليه لأنه بلغه عنه أنه مدح
العباس بن المأمون وتغنى له الخلافة ، فكتب إليه أبياتا يعتذر فيها بقوله : (٣)

غضب الإمام أشد من أدبه وقد استجرت وعزت من غضبه
أصبحت معتصما بمنصم أنى الإله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سيبا أرجو النجاة به سوى سيبه
مالي شفيع عند حرمته ولكل من أشقى على عطبه

(٢) نفسه ج ٧ ص ١٦٧ .

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٦٥ .

(٣) نفسه ج ٧ ص ١٦٧ .

فهو يعتذر إليه بطريقة حكيمة تقع من نفسه أحسن موقع ، وكأنه ينظم الحكمة القائلة « أحمى الناس بشفاعتك من لم يستشفع إليك بغيرك » وكان ما توقعه الحسين فعلا ، فقد أعجب المعتصم بحكمته وتأثر من قوله ، وهذا واضح من قوله لوائق « يمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ، ما هو إلا أن سمعت آيات حسين هذه حتى أزال ما فى نفسى عليه ، فقال له اللوائق : هو حقيق بأن يوجب له ذنبه ويتجاوز عنه » ^(١) فرضى عنه وأمر بإحضاره .

ومع ما قيل من أن سبب هذا الاعتذار لم يكن سياسيا ، وأن غضب المعتصم كان فى شىء جرى على التيز ، فلننا نذكره هنا على علاقة ، وإن كنا قد أبدينا شكنا من قبل فى حدوث سببها السياسى الذى ذكرناه . واحتمال حدوثه — وإن كان ضعيفا — يسمح لنا بوضعه فى هذا الجانب السياسى من جوانب الاعتذار .

وعلى العموم فإن اعتذار الحسين عن أخطائه السياسية يبدو فيه اهتمامه وتوضيح آلامه النفسية وترقى درجة استعطافه إلى حد أكثر بعدا وعمقا مما نراه فى اعتذاره لأخطاء جرت فى مجالس الشراب والمناذمة .

وأما بالنسبة للسبب الثالث الذى يتصل بكبر سنه وعدم قدرته على تلبية رغبة المتوكل فى منادته ، فإن المصادر قد حفظت لنا من ذلك قصيدة من ثلاثة عشر بيتا ومقطوعة من ستة أبيات ، يعتذر فيها للمتوكل عن ضعفه وعوده عن خلعتة ومنادته ؟ فقد تجاوز الثمانين من عمره وأشرف على التسعين ، وفى ذلك عنركاف يؤيده ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا بلغ العبد ثمانين سنة فإنه أسير الله فى الأرض ، تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات » ^(٢) هذا الحديث يقتبس الحسين معناه محتجا به أو معتمدا عليه فى اعتذاره فيقول : ^(٣)

أما فى ثمانين وفيها عذير وإن أنا لم اعتذر

(١) قصر المصدر السابق والصفة .

(٢) أنظر معجم الأدباء ج ١٠ ص ١٣ - ١٤ والأغاني ج ٧ ص ٢١١ .

فكيف وقد جزتها صاعدا مع الصاعدين بنسج أخسر
وقد رفع الله أفلأله عن ابن ثمانين دون البشر
وإني لمن أسراء الإله في الأرض نصب حروف القدر

ويرجو المتوكل ألا يلومه على هذا الكبر الذي هد قواه ولا ذنب له فيه : (١)

فلا تلح في كبر هدى فلا ذنب لي أن بلغت الكبر
ولا يفوته أن يشيد بنعمة المتوكل عليه وخبره الذي يرفل فيه : (٢)

وإني لسني كنف مغدق وعز بنصر أبي المتنصر
يبارى الرياح بفضل السما ح حتى تبسّد أو تنحصر

ويخبره من قول الوشاة الحاسدين الذين ذكروا له أن الحسين « يطبق الذهاب إلى القرى والواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك ؟ » (٣) فيقول :

وما للحسود وأشياعه ومن كذب الحق إلا الحجر

وفي المقطوعة الثانية يذكره بأنه خدم أسلافه ونادهم زمانا طويلا يزيد على ستين عاما ويكرر اعتذاره بضعفه وكبره فيقول : (٤)

أسلفت أسلافك فيما مضى من خدمتي إحسدي وستينا
كنت ابن عشرين وخمس فقد وفيت بضعسا وثمانينا
إني لمعروف بضعف القوي وإن تجلّدت أحايينا

وهكذا نرى الاعتذار في شعر الحسين يتناسب مع السبب الذي قيل من أجله ، ويعالج بالأسلوب الذي يلائم الظروف ويقنع المعتذر إليه وينفذ إلى قلبه ونفسه .

(١) (٢٤٢٤١) أغاني البحار ج ٧ ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٤) الديارات ص ٣٦ .

ومع أنه غرض تقليدى فإن شعره فيه يعطينا صورة حية وترجمة صادقة لظروفه ومناسباته ، ويشرح لنا موقف الحسين وانفعالاته فى كل مناسبة شرحا دقيقا :

(٥) الاستمناح :

ومن الأغراض التقليدية التى تناولها الشعراء من قديم نتيجة اتصالهم بالخلفاء ووجهاء القوم كان الاستمناح ، وهو قرين المديح لأنه نشأ فى نفس الظروف التى نشأ فيها ، فالشاعر يمدح طلبا للعطاء والنوال ، وإن كان لا يظهر رغبته تلك بصورة مباشرة ، فإذا أبدأها بصورة واضحة ، وطلب ما يريد بلا مواربة أو رز سعى شعره فى ذلك استمناحا . ومن الطبيعى أن يكثر الشعر فى هذا الغرض عند الشعراء المتصلين بالخلفاء وأعيان الناس اتصالا مستمرا مثل الحسين ، ولكننا لا ننظر بهذه الكثرة فيما وصل إلينا من شعره باعتبار ما ضاع منه ، فلا نجد سوى قصيدة من عشرة أبيات ومقطوعة من ستة أبيات وثلاثة أبيات فى حوار جرى بينه وبين هويس بن عمران . أما القصيدة فهو يخاطب بها المتوكل ويطلب منه أن يجرى أرزاق ابنه محمد على زوجته وأولاده لأنها قطعت عنهم بعد وفاته . ونراه يعرض قصيدته عرضا طيبا مقنعا ، يستكمل فيه العناصر التى تحقق نجاح سماعه وتبلغه مراده . فيبذلها مستشفعا لديه بابنه وولى عهده المعتز بالله فيقول : ^(١)

إنى أتيتك شافعا بولى عهد المسلمينا
وشبهك المعتز أو جه شافع فى العالمينا

ثم يوجه الخطاب إليه فلا ينسى أن يذكر مكانه العظيم وشرفه المحيد وكرم عهده فيقول : ^(٢)

يا بن الخلفاء الأول ن وبأب المتأخرين

وبعد ذلك يعرض شكواه ، فيبين ما أصاب أحفاده وأمهم من بلاء بعد وفاة عائلهم ، وما زاد شدة بلائهم بقطع أرزاقهم التي كانت تصرف لأبيهم في حياته ، دون مبالاة بما يصيبهم من جوع وعرى وفاقة ، إن حالهم هذه لتثير الشفقة عليهم والرحمة بهم ، وليس من الإنسانية في شيء أن يعاملوا هذه المعاملة الظالمة القاسية ، وما من رقيب يحاسب ظالمهم ، أو منصف يرد حقوقهم وينقلهم من شر البلاء سوى المتوكل . وفي هذا يقول الحسين :^(١)

إن ابن عبدك مات والـ	أيام تخترم القوينسا
ومضى وخلف صبية	براصرة متساردينسا
ومهيمة عبرى خلا	ف أقارب مستعبرينسا
أصبحن في ريسب الحسوا	دث يحسنون بك الظنونسا
قطع الولاة جرايينسا	كانوا بها مستعبرينسا
فامنين برد جميع مسا	قطعهوه غدير مراقبينسا
أعطاك أفصل ما توئمـ	سل أنفصل المتفضلينسا

ونلاحظ أنه لا يباح في طلبه ولا يتجاوز فيه الحد المقبول ، ولعل ذلك لشعوره بقوة موقفه وبأن العناصر الإنسانية مستكملة في قضيته ، وهي وحدها كفيلة بالفتاد إلى قاب الخليفة وإثارة مشاعر العدل والإنصاف في نفسه ، أضف إلى ذلك ما كان يتمتع به الحسين نفسه من مكانة طيبة عند المتوكل تجعله واثقا من تحقيق مطالبه بلا كثير جهد أو عناء .

ويمثل هذه الروح الواثقة واليساطة في عرض طلبه ، يطلب من المعتصم أن يقطعه مساحة من الأرض في مدينته الخريفة « سر من رأى » ليتنى عليها دارا له ، وكان المعتصم قد أقطع الناس الدور بها وأعطاهم التفقات لبناتها

ولم يقطع الحسين ، فدخل عليه وأنشده أبياتا بين له فيها حاجته إلى دار جديدة في مدينته الجديدة ليكون بقربه دائما كما هي عادته ، ولأن داره القديمة المظلمة لم تعد تصلح لسكناه وهو الشيخ الكبير ، فهو أحق بأن يمنحه ما منح أصحابه وأن يعده لهم ، فيقول (١) :

يا أمين الله لا خطـة لي	ولقد أفردت محبي بخطط
أنا في دهياء من مظلمة	تحمل الشيخ على كل غلط
صعبة المسلك يرتاع لها	كل من أصعد فيها وهبط
بوني منك كما بوأتهـم	عرصة تبسط طرفي ما انبسط
أبني فيها لنفسى موطنـا	ولعقبى فسرطا بعد فرط
لم يزل منك قريبا مسكنـي	فأعد لي عادة القرب تـسط

فهو في استمناحه لا ينزل إلى درجة السائل الذليل ، ولا يلج إلحاح القاصد الخليل ، وإنما يعبر عن حاجته في بساطة وكياسة ، ويرسل القول بلا تصنع أو تهويل ، وبلا حشو أو تطويل ، فلا يزيد على تبيان ما يريد ، ولا يخرج عن موضوعه إلى أشياء أخرى قد يستدعيها الموقف من قريب أو بعيد .

٤ — الأغراض التجديدية :

١ — الخمر :

ونذكر شعر الخمر على أنه من الأغراض التجديدية ، لا لأنه جديد على الشعر العربي في ذلك العصر ، ولكن لما أحدثه الشعراء من تطور فيه ، وما أدخلوه من تجديد عليه ، وكان الحسين من هؤلاء الشعراء ، وأسهم بنصيب وافر في ذلك ، وكان له كما يقول أبو الفرج : « معان في صفتها أبدع فيها وصيق إليها » (٢) .

(١) قصص المصدر السابق ج ٧ ص ٢١٠ .

(٢) أغلق الدار ج ٧ ص ١٤٦ .

وقبل أن ندخل في هذا الموضوع من شعره ينبغي أن نشير إلى أن الشعراء منذ العصر الجاهلي قد عرضوا للذكر الخمر في شعرهم ذكراً موجزاً، ووصفوها بصفات العامة المعروفة في بساطة، فتحدثوا عن قلمها وتعتيقها وصفاتها وطيب رائحتها ، ولذة طعمها ، وما تحدثه في النفوس من نشوة وانبساط ، كما تحدثوا عن مجلسها وساقها وآتيها . كل هذه المعاني تناولوها في شعرهم، ولكن دون تفصيل في القول أو توسع في الخيال ، فلم يكن يزيد قولهم فيها على أبيات قليلة ، إذا استثنينا الأعشى الذي تميز شعره فيها على غيره ، فأبدع القول فيها وفصل المعنى ووسع الخيال ، وأظهر ولعها بها وثالكة عليها ، ونسج القصص الذي يدور حولها . وبلغت قصائده فيها العشرين بيتاً^(١) .

وجاء عصر صدر الإسلام ثم العصر الأموي فلم يزد الشعراء كثيراً على ما قاله الجاهليون ؛ وإن كان الأخطل قد أبدع القول فيها، وعرف بولمه وإدمانه لها ، ولكنه مع ذلك لم يتجاوز درجة الأعشى، بل يراه أشعر منه كما تذكر بعض الروايات . على أننا نذكر ظهور بعض الشعراء المحييين في الخمر في أواخر العصر الأموي كالوليد بن يزيد وأبي الحنيد والاقشير ، ممن نرى في شعرهم بعض التطوير في تعبيرهم عن الإحساس النفسي ، وبعدم عن تلك الصور اليدوية والتقليدية التي شاعت في شعر السابقين^(٢) . ولنا بصدد تفصيل القول في ذلك تجنباً للإطالة ، وإنما نكتفي بهذا الإجمال الموجز لئلا نرى الخطوط التي سار عليها شعراء الخمر قبل الحسين .

فإذا تناولنا بالبحث شعر الخمر عند الحسين وجدنا مظاهر التطور والتجديد واضحة فيه كل الوضوح ، ووجدنا قدرة فائقة على الإبداع وتفصيل القول وتفتيق المعاني لم يسبق أن وجدناها عند غيره . ويكفي شاهداً على ذلك قصيدته الطويلة التي تبلغ أربعين بيتاً كلها في الخمر ومطلعها^(٣) :

بدلت من تفحات الورد بالآء ومن صبوحت درالبل والشاء

(١) انظر تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٥٦ . (٢) نفسه ص ١٦٦ .

(٣) القصيدة كلها كاملة في مقدمة ديوان أبي نواس بتحقيق ناظر ص ٢٦ وما بعدها

نظيمة آصاف ص ١٩ وما بعدها وفي مختارات البارودي ج ٤ ص ٨٢ - ٨٣ .

ففي الآيات الثلاثة الأولى يذكر البادية وما فيها من أقداء ، فالحياة فيها جافة ليس فيها من الطيبات ما في الحاضرة ، ليست فيها زهور طيبة الرائحة كالورد ، ولكن فيها نبات الآء الذي لا تطيب رائحته . ولا يشربون فيها صبوح الخمر ، وإنما يشربون لبن الإبل والشاء . ولا تجدد فيها إلا شوب أقداء . ويطلب من صاحبه ألا يهيم حتى ينجوها الكريمة الأصلية التي لا يربها ويركبها إلا أعراب أجلاف ، يتفعون الأطمار والثياب البالية ، فيقول بعد المطلع ^(١) :

ما بين بطن ثبير إن حالت به إلى الفرديس إلا شوب أقداء
فعد هلك عن طرف ممارسه جلف تلع طمراً بين أحناء

وهو يزرى بحياة البادية الجافة المقفرة ليلح حياة الحاضرة الناعمة الطيبة كحياة الجنان ، ثم يحصر هذا النعم في خمرها الطيبة اللذيذة . ويفصل القول في ذلك تفضيلاً بديعاً ، فيتناول نشأة الخمر الأولى منذ غرس شجرتها في الأرض ويتبع نموها إذ يرويه ماء القرات ، وتهطل عليها الأنواء ، فتورق أغصانها وتخرج ثمارها كعقود الجنان ، ثم تنضج ويحين قطفها وتجمع في دلاء واسعة ، لتجرى عليها عملية التخمر . هذه المرحلة من غرس الكرمه حتى جنى ثمارها يقول فيها ^(٢) :

ففي غد لك من زهراء موقفة بطير ناباذ ماء ليس كالماء
بما تخير أولاه وأودعها رب الخسورق في جوفاء ميثاء
راح القرات عليها في جدلوله وباكرتها بحبسات بأنسواء
فاستنفض القطر ماوشى المصيف لها واستبدلت جددا من بعد أنضاء
تنشى فواصل كالآذان منشأة مثل الجنان عقوداً أي إنشاء
حتى إذا حكّت الحبشان شائلة دهم العناقيد في لقاء خضراء
راحت لها عصب شعث ملوحة دكن التباسين من كوني وسوراء
نجنى على العين ما آتت مقاطفه حتى إذا حبل في كلفاء جوفاء

فهذه المعاني جديدة على شعر الخمر كل الجدة ، ولم يسبق لشاعر أن
طرقها قبل الحسين .

بعد ذلك بشرح عملية تخميرها ، وما يجري عليها من تسخين وتبريد
لاستخلاص عصارة الكرم الطيبة ، فإذا أنضجت بعد هذه الحركة الحامية
وضعت في بيت صانعها الذي اختاره يهوديا حنكته التجارب ، واكتسب
خبرة طويلة في إجادة صنعها ، فيصونها في مخزن بعيد عن الشمس ويهملها
إهمالا كأنه مستخف بشأنها ، أو كأنه نسيها ، وما هو بناسيا وإن طال عليها
الزمن ، ولا يعرضها للبيع ، بل يزرى بها ليصوغ عنها المساومين في شرائها ،
ويطرى غيرها ويحسنها في عيونهم ليشتروها ويتركوا الأولى ، التي يبالغ
في تعتيقها ويعقد الآمال على ما سيحنيه من ورائها من ثراء ، لأن تعتيقها سيرفع
من قيمتها ، فيبيعها بغالى الثمن . وتظل مختزنة هكلنا زمنا طويلا حتى تتغير
تماما ولا يبقى فيها ما يشير إلى أصول حياتها الأولى إلا شيء قليل وكأنها
فقدت حياتها فلم يبق الدهر منها إلا جزءا من سلالها . وتتعاقب الأحداث
على صاحبها حتى تأتية المنيّة ، فيموت وقلبه معلق بها مشغول بحظوتها .
فحزنه عليها أكثر من حزنه على الحياة نفسها ، فقد قضت علته على أمسه
الكبير الذي علقه عليها . ولم يفز بها إلا جماعة من أصحابه الذين كانوا
يرتادون حانته فاشتروها من ورثته ، وما أعظم ما ورثهم أبوهم وما أشبه
بميراث سبأ العظيم ، هذه المرحلة الهامة في تصنيع الخمر وتعتيقها ، يتناولها
الحسين بهذا التفصيل الدقيق البديع فيقول ^(١) :

واستخلص العفُو من ذوبٍ سلسلةٍ من قبل جائلةٍ فيها بإبطاء
صارت إلى وطن أرمى بمعترك ما بين عُبّةٍ لإبرادٍ ورمضاء
حتى إذا أنفضج الوشمي صفحته قطرا وأعقبه قُرأ بأنداء
صيفت عن الشمس في قيطونٍ محتكٍ من اليهود لأُمّ الراح غنّاء
ما زال يهملها كالمستخف بها عصر الشباب كناسٍ غير نساء

(١) انظر القصيدة في مصادرها المذكورة في الماشق السابق .

يُطرى سواها إذا تسميت مناصرة . عنها ويوسعها من كل لآزاء
يسومها البيع أحيانا فيمنعه . أن قد يؤملها يوما لإثراء
حتى إذا الدهر أبى من سلالتها . جزء الحياة وقد ألوى بأجزاء
دبت إليه من الأحداث بأسلة . أبكت عوايد من أجبار تها
فات والقلب مشغول بحظوتها . لم يشف من شجنه علة الداء
وحاز صفوتها مرتاد محبته . بيع المزاود من مبرات سباء
هذه المعاني أيضا نجد لها جديدة على شعر الخمر ، وقد وصفها الشعراء
قبله بأنها معتقة وأنها اخترنت دهر ، ولكن هذا الوصف كان مجملا
مباشرا^(١) يذكره الشاعر في بيت أو في شطر من بيت كقول الأعشى :

من قهوة صينت بيا بل حبة . تدع القى ملكا أغر متوجا
ولم يحدث أن تناول شاعر قبل الحسين معنى تعتيق الخمر وتخزينها بهذه
الصورة المفصلة ، فهو يروى قصة حياتها منذ بدء تخميرها إلى أن أحضرت
للشرب في أحد عشر بيتا ، ويوضح البوامل التي دفعت صانعتها إلى إجادة
صنعتها وتعتيقها ، وما كان يعتل في نفسه من آمال وأفكار ، ولم يشأ
الشاعر أن يحقق آماله بل يجعل الموت فاصلا يمنعه من تحقيقها ، وليس هدفه
من ذلك إلا التركيز على معنى تعتيق الخمر بتعاقب الأجيال عليها ، ومرور
السنين تلو السنين ، وهي قابعة في مكانها المظلم ، حتى يخرجها ورثة صانعتها .
فهو لا يقول لنا : إنها معتقة أو أنها صينت حبة طويلة من الزمن ، كما يقول
الشاعر القديم بطريقته الموجزة المباشرة ، ولكنه يسلسل هذا المعنى ويفتح
جوانبه ، ويحكى قصته بطريقة جديدة فيها كثير من التفنن والإبداع .

بعد ذلك يعرض الحسين في قصيدته لوصف الخمر في ثمانية عشر بيتا .
فيلتحل في طريق صعبة المسالك ، لا لأنها لم تجتز من قبل ، ولكن لأنها أجتزت
كثيرا ، وسار فيها كل شعراء الخمر قبله . وتراحم الشعراء في هذا الباب

(١) انظر تطور الخمرات في الشعر العربي ص ٦١ والبيت في ديوان الأعشى .

جعلهم يستهلكون معانيها ويكررونها بصورة ماثلة أو شبه ماثلة . وهذا من شأنه أن يضيق الخناق على الشعراء المحدثين من أمثال الحسين ، ويجعل تجديدهم في وصفها أمرا عسيراً وشاقاً يحتاج إلى كثير من البراعة والإبداع وتدفق الشاعرية . ولم يكن الحسين قليل الحظ من هذه المواهب فاستطاع أن يجدد في وصفها، وأن يأتي بالمعاني النادرة التي لم يسبقه بها شاعر قبله ، من ذلك قوله (١) :

حتى إذا أسندت للشرب واحتضرت عند الشروق ببسامين أكفاد
فضت خواتمها في نعت واصفها عن مثل رقراة في جفن مرهأ
فهو يشبه الخمر في صفائها بالدمعة التي تفرق في عين امرأة مرهأ
لم تكنحل، وقد اختار المرأة غير مكتحلة، لأن الدمعة في عينها تكون أكثر صفاء وتلاؤماً .

ولهذا المعنى الجديد قصة طريفة ، نذكرها لنستدل بها على قيمته في نظر شعراء عصره، فيروى أبو الفرج : حجج أبو أنواس وحسين بن الضحاك فجمعهما الموسم فتناشدا قصيدتهما : قول أبي أنواس :

دع عنك لوى فإن الوم لغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

وقصيدة الحسين :

بدلت من فحات السورد بالآء ومن صبوحتك در الإبل والنساء

فتنازعا أيهما أشعر قصيدته ، فقال أبو أنواس : هذا ابن مناذر حاضر الموسم وهو يبنى ويبنك ، فأنشده قصيدته حتى فرغ منها ؟ فقال ابن مناذر ما أحسب أن أحداً يحجى بمثل هذه وهم بتفضيله ، فقال له الحسين : لا تعجل حتى تسمع ، فقال : هات فأنشده قوله :

بدلت من فحات السورد : حتى انتهى إلى قوله :

فضت خواتمها في نعت واصفها عن مثل رقراة في جفن مرهأ

(١) انظر القصيدة في مصادرها للذكورة سابقاً .

فقال له ابن مناذر : حبسك قد استغنيت عن أن تزيد شيئا ، والله لو لم تقل في دهرك كله غير هذا البيت لفضلتك على سائر من وصف الخمر ، قم فأت أشعر وقصيدتك أفضل فحكم له وقام أبو نواس منكسرا^(١) :

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى بعد ذلك في قوله^(٢) :

أتى بها قهوة كالأسك صافية كلمة منحتها الخلد مرهء

ومع ذلك فعالجة الحسين له أفضل من معالجة أبي نواس ، لأن الأخير جعل اللمعة على الخلد ، ولا يكون صفاؤها في هذه الحالة كصفائها وهي تفرق في عين المرهء :

وليس هذا المعنى فحسب هو الخلد في قصيدة الحسين ، ولكنه يتناول في وصفها معاني أخرى كثيرة معظمها جديد، وإذا عرض للمعنى قديم فإنه يعالجه بطريقة فيها محاولة تجديدية تكسبه رونقا وحسنا ، فقد سبقه شعراء بوصف صفاء الخمر ، ولكنهم لم يوفقوا إلى مثل تشبيهه السابق ، الذى لم يكف به بل نراه يعود فيبالغ في وصف صفائها مبالغة مقبولة ، إذ يجعل روئيتها وهما ، وكأنك لا ترى منها شيئا أو كأن الشيء منها إذا تحققت منه وجدته لا شيء^(٣) :

لم يبق من شخصها إلا توهمه فالشيء منها إذا استبنت كاللآء

ويتدرج من ذلك إلى جعلها روحانية ، طبيعتها من طبيعة الروح ، إذ تخرج بها في أعماقها تمازجا تاما كتمازج النور بالنور . وهى لطبيعتها هذه لا يدرك الحس منها شيئا إلا أن يتسم رائحتها الطيبة أو يشعر بلذعتها اللذيذة في الأحشاء^(٤) .

تمازج الروح في أخفى مداخله كما تمازج أنوار بأضواء
لا يدرك الحس منها حين تبعها إلا التئسم أو لذعاً بأحشاء

(١) أغاني النار ج ٧ ص ٢٠٣ . (٢) انظر ديوان أبي نواس .

(٣) انظر القصيدة في مصادرها السابقة .

وحين يصف راحتها الطيبة لا يشبهها بريح المسك ، أو يجعلها تستل الزكام كما يقول السابقون ، بل يحاول تجليد المعنى فيجعلها ريحانة النفس التي تهوى شمها وتستمتع به ، ويزيد هذا المعنى قوة بأن يجعله حقيقة مسلمة تتناقلها الأجيال والروايات ، فهي مرة تميزت بها منذ القدم^(١).

ريحانة النفس تهوى عند شمها جاءت بذلك روايات ابن دحياء وما أشد مرور النفس بها وجيشان المزاج راقصا طربا ، إذ يراها وهي تفور عند مزجها بالماء ، فيلذو قعرها وكأن به رقما ، ويلذو الحب المتصاعد منها مطوقا كأسها كأنه واوات كتبها عسراء في غير انتظام^(٢) :

جاش المزاج لما رقصا على طرب فاهتاج في قعرها رقمٌ بشلسراء
يحكي تفاوقها بالكأس من ذهب طوقا أطافت به واوات عسراء
وهذا المعنى أيضا نجده عند أبي نواس في قوله^(٣) :

كتب المزاج على مقدم تاجها سطرين مثل كتابة العسراء
وقوله^(٤) :

خلته في جنبات الـ سكاس واوات صسقارا

ويأدى فيشبه الحب بالدر الذي يكون لما عرشا على الماء ، قائما بلا عمد تسنده والزبد من فوقه يزيد للألادة حسنا يجعل عن الوصف^(٥) :

ثم استحبال لها در فعرشه حتى استقل لها عرش على الماء
عرش بلا طنْب من فوقه زبد فلجل عن صفة في حسن لآلاء

وواضح من هذا الوصف أنه تجرأ على مقام الأوهية العظيم ، فجعل عرش الخمر كعرش الله مقتبسا معنى قوله تعالى «وكان عرشه على الماء»^(٦)

(١) انظر القصيدة في مصادرها السابقة .

(٢) انظر ديوان أبي نواس .

(٣) انظر قصيدة الحسين في مصادرها السابقة .

(٤) انظر سورة هود الآية رقم ٦ .

وهذه المرأة على المقدسات الدينية أو المعاني التي تمس حرمة المقام الإلهي كانت نزعة شائعة عند شعراء الخمر والمجون في ذلك العصر وعلى رأسهم أبو نواس .

ووصف الشعراء قبل ذلك بريق الخمر فشبهوها بشنخ الشمس وبالحنوة المتقدة ، ولكن الحسين يتناول هذا المعنى بطريقة مبتكرة ، فيذهب إلى أن النظر لا يستطيع أن يواجه سنا نورها إلا إذا كان فيه حول حتى لا يقع على ضوئها الباهر وقعا مباشرا ، أولا يلتقي بسنا ضوئها فينهر من شدة لمعانه وإشعاعه . هذه الصورة الجديدة واضحة في قوله ^(١) :

لا يستطيع سنا نور لها نظره ، حتى تعود له لحظات حواء

ويصف حجب الخمر وصفا آخر فيشبهه بجلد الحية الذي تنزعه عنها لتستبدل به جلدا آخر ، ويكون جلدها المسلوخ أبيض فيه تقسيات تلبو وكأنها فقاقج الحجب وفي هذا يقول ^(٢) :

كأن تأليف ما حاك المزاج لها سلخ تجللها عن ظهر رقشاء
وقد تقل أبو نواس عنه هذا المعنى أيضا فقال ^(٣) :

كأن مازجها بالماء طوقها منزوع جلدة ثعبان وأفعاء

ولا ينسى الحسين ذكر ساق الخمر ، وهو من العناصر الهامة عند شعرائها ، وقد سبق في بيت مما ذكرناه أن وصف ساقها وصفا عاما بأنهم بسامون أكفاء ، ويعود في بيت آخر فيقول في الساق ^(٤) :

لا شيء أحسن منها في تصرفها من كف مُتطق الأعطاف وشاء
ونلاحظ أن حديثه عن الساق في هذه القصيدة حديث خاطف لا يعبرد كثيرا من الاهتمام ، ولعله أراد ألا يخرج عن الموضوع الأساسي في القصيدة

(١) انظر الأبيات في القصيدة بمصادرها السابقة .

(٢) انظر ديوان أبي نواس .

(٣) انظر القصيدة في مصادرها السابقة .

وهو الخمر ، فذكر الساقى بتوسع يدخل فى باب الغزل بالمذكر الذى
سنأوله بالبحث بعد قليل .

ويعود إلى وصف تأثيرها فى النفس فيشبهه بالأطناب المتألثة تمتد
فى جوانبها فتملؤها ابتهاجا ومرورا فيقول^(١) :

إذا جرت لك تحت الليل سائحة ، مدت خلاك أطنابا بلألاء

ويشير إلى العلاقة الوثيقة التى تربطه بها ، إذ تسبب حبه لها وإدمانه
عليها فى أن يلقبوه بالخلج . فهى عماد طوه وصانعة مسراته^(٢) .

تلك التى وسمتنى غير عثم وممّ المحبون وسمتنى بأسماء
لا أتبع اللهو فيها غير مرة منها قفستنى فى كل مساء

ويجتم قصيدته بمدح هذه الحياة الناعمة والعيش الرغد بين مجالس الخمر
واللهو التى لا يكثر صفوها ويفرق صاحبها سوى الموت ، والتى هى فى
نظاره أمتع من حياة الحب والهيام بالنساء وبكاء ديارهن كما هى العادة
الشائعة بين شعراء العرب .

ما أطيب العيش لولا ذكر واحدة فيها مفارقة بين الأحياء
هذا التعم ولا عيش تكون به هند برايسة من بعد أسماء

من هنا العرض التحليلى لقصيدة الحسين فى الخمر نرى قدرته على
الإبداع فى هذا الفن ، ونرى كثيرا من المعانى الجديدة التى تفتقت عنها
شاعريته ، والتى سبق بها أبى نواس وغيره من شعراء الخمر .

وكما ذكرنا تفضيل ابن منذر لهذه القصيدة على قصيدة أبى نواس
نذكر خبرا آخر فيه حكم عكسى لأحمد بن خلاد ، إذ أنشده الحسين قصيدته
هذه حتى أتى على آخرها وقال له : ما قال أحد من المحدثين مثله ، فقال له
ابن خلاد : أنت تحوم حول أبى نواس فى قوله : دع عنك نوى . . . وهى

أشعر من قصيدتك . فغضب الحسين وسب أبا نواس . . فقال له : هل
في قصيدتك بيت نادر غير قولك .

فضت خواتمها في نمت واصفها عن مثل رقاقة في عين مرهأ
وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها :

دارت على فتية ذل الزمان لم
صفراء لا تزل الأحزان ساحتها
فأرسلت من فم الإبريق صافية كأنما أخذها بالعقل لإغفاء
والله ما قدرت على هذا ولا تقدر عليه ، فقام وهو مغضب كالقمر^(١)
بقوله ، كما يقول ، ولا أظن الحسين قد أقر بقوله كما قال ، لأنه واثق من
أفضلية قصيدته ومن عدالة حكم ابن منافر بذلك ، وهو شاعر مثلها وعلى
مذهبها ، ولم يصدر حكمه إلا في حضرتهما وبعد سماع إنشادهما ، فحيدته
لا شك فيها ، أما ابن خلاد فيبدو أنه لم يعجبه تفضيل الحسين لنفسه ، فأراد
أن يحطم غروره وأن يهون من شأن قصيدته ، ويقلل من قيمتها الأدبية بالنسبة
لقصيدة أبي نواس ، بل اتهمه بأنه يحوم حولها ، مع أن أبا نواس هو الذي
حسد الحسين على قصيدته ، كما يوضح لنا الخبر الذي رواه أبو الفرج بثلاث
روايات مختلفة الإسناد وفيه أن الحسين أنشد أبا نواس قصيدته هذه حتى
انتهى إلى قوله : فضت خواتمها . فصعق صعقة أفزعته وقال : أحسنت
والله يا أشعر ؟ فقال له : ويحك يا حسن ؟ إنك أفزعني والله . ؟ فقال :
بل والله أفزعني ورعني . هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بد أن
ينتهي إليها أو أغوص عليها وأقولها فسبقني إليه ، واختلست مني ، وسنعم
لمن يروى إلى أم لك . . قال الحسين : فكان والله كما قال ، سمعت من
لا يعلم يرويه^(٢) له ، والذي يؤكد كلام الحسين أن الصولي ذكر قصيدته
هذه من بين القصائد التي نخلت لأبي نواس ورويت ضمن شعره فعلا ونبه
إلى ذلك في مقدمة ديوانه^(٣) :

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ٢٠٢ . (٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٤٧ .

(٣) ديوان أبي نواس المخطوط رواية الصولي .

من ذلك ثبت لنا أصالة الحسين وعدم أخذه عن أبي نواس ، بل ثبت لنا أن أبا نواس هو الذى أخذ معا فى الحسين كما ذكرنا فى مواضعها . فإذا أضفنا إلى ذلك أن قصيدة أبي نواس لا تزيد عن اثني عشر بيتا ، بينما تبلغ قصيدة الحسين أربعين بيتا تبين لنا مدى إجحاف ابن خلد بنحو الحسين وتعمده الانتقاص من قدره لما ذكرناه .

ومن المعاني الجديدة التى أبدعها الحسين فى الخمر تشبيه صورة الشارب المنعكسة على صفحة الخمر فى الكأس وسط الحبيب المتصاعد منها بالقمر يكرع فى بعض نجوم السماء فى قوله :

كأنما نصب كأسه قمر يكرع فى بعض أنجم الفلك

وهذا المعنى أيضا أخذه أبو نواس ، إذ أن الحسين لما أنشده قصيدته التى فيها هذا البيت لقيه أبو نواس بعد أيام فأنشده لنفسه :

إذا عب فيها شارب القوم خلته : يقبل فى داج من الليل كوكبا
فقال له : يا أبا على هذه مصالته ، فقال له أبو نواس : أظن أنه يروى لك فى الخمر معنى جيد وأناحى^(١).

ويذكر أبو الفرج تعليقا لإبراهيم بن المدبر على هذا الخبر يقول فيه : « إن الحسين كان يزعم أن أبا نواس سرق منه هذا المعنى ، فإن كان سرقة منه فهو أحق به لأنه قد برز عليه ، وإن كان حسين قد سرقة منه فقد قصر عنه^(٢) وهذا الحكم فيه كثير من الإجحاف بنحو الحسين والغض من شاعريته ، مع أن الواضح أن الصورة الفنية فى بيت الحسين أكثر جمالا ووضوحا منها فى بيت أبي نواس ، لأن فيها تشبيها جليلا يرسمان معا خطوطها فى براءة وإبداع ، فوجه الشارب المنعكس على الخمر كالقمر ، والحبيب كالنجوم ، واختلاطهما فى الكأس كاختلاط القمر بنجوم السماء أو كأن القمر يكرع فى بعضها . وهذه صورة طبيعية جميلة زادها افتتان الشاعر جمالا

(١) أغانى الدار ج ٧ ص ١٥٥ . (٢) نفسه ج ٧ ص ١٥٦ .

وروعة . أما أبو نواس فيشبه الشارب وهو يعب في الكأس عن يقبل
كوكبا في ليل داج ، ولا نستطيع أن نحدد ما الذى يشبه بالكوكب ،
هل يقصد الكأس بجمرها ؟ أم يقصد صورة الشارب المنعكسة فيها ؟ أم
يقصد الحبب المتصاعد منها ؟ فصورته مبهمة غير واضحة المعالم ، وهذا
قص فى كبير . وحتى إذا أمكننا تحديد الصورة باختيار أى مشبه من هذه
المشبهات ، فإنها لا تصل إلى درجة الصورة الأولى فى بيت الحسين
فى جمالها وفيتها .

ويلقى ابن رشيق على يتيهما بما يؤيد وجهة نظرنا فيقول « وأنت ترى
سيرورة بيت أبي نواس كيف نمتى معها بيت الخليل على أن له فضل سبق ،
وفيه زيادة ذكر القمر^(١) فهو يرى أن بيت الحسين أجود وإن أوجز
فى ذكر السبب الذى فصلناه تفصيلا كاملا . وإن كان لبيت أبي نواس سيرورته
فهي ليست دليلا على جودته ، لأنها لم تأت إلا من شهرة أبي نواس نفسه .

ومن هذا الشاهد والشواهد الأخرى يتأكد لنا صدق ما سبق أن ذكرناه
من أقوال أبي الفرج وياقوت والصولى وابن منظور ، من أن أبا نواس كان
يأخذ معانيه فى الخمر فيغير عليها ، وإذا شاع له شعر نادر فى هذا المعنى نسبته
الناس إلى أبي نواس .

ومن معانيه الجديدة التى اشتهرت لطفها ورقتها حتى نخلت لأبي نواس
تشبيه الخمر بالتفاح النائب وكذلك التفاح بالخمر المتجمد ، وبما يزيده
جمالا عكس المشبه والمشبّه فى التشبيهين : ثم طلبه أن يشرب هذا مع ذاك
لتم المنة ، يقول^(٢) :

الراح تفاح جرى ذائبا كذلك التفاح راح جمدا
فاشرب على جامده ذوبه ولا تدع لفة يوم لقد

(١) انظر البداة ج ٢ ص ١٨٣ تحقيق محى الدين عبد الحميد ط سنة ١٩٦٣ .

(٢) انظر معاهد التنصيص ج ١ ص ١٥٤ .

ومن المعاني التقليدية التي عالجها معالجة جديدة فأكسبها رونقا وجمالا
تشبیهه الماء بالفضة يصب على خر كالذهب في قوله^(١) :

إذا ما الماء أمكنني : وصفو سلافة العنب
صببت الفضة البيضاء فوق قراضة الذهب

وكان أبو الفضل الرباشي وهو عالم ثقة يعجب جدا بهذين البيتين
ويستحسنهما ويستظرفهما^(٢).

ويعبر الحسين عن شدة شغفه بالخمر وإدمانه عليها ، فيجعل حياته
كلها سكرا بعد سكر وبيع عمره في سبيل الخمر فيقول^(٣) :

أتبعت سكرا بسكر . وأتعت خمرا بعمر

وقد اعتبر هذا البيت أهلك بيت قالته العرب ، وذلك في مناقشة
دارت في مجلس المكتنى بالله بين الصولي وابن المنجم حين سألهما عن أهلك
بيت من الشعر وأفجر قائل ، فاختار ابن المنجم قول أبي نواس :

ألا فاسقنى خمرأ وقللى هي الخمر . ولا تسقنى صرأ إذا أمكن الجهر

ولكن الصولي فضل عليه قول الحسين المذكور وأيده المكتنى في رأيه
فقال : هذا لعمري أهلك من ذاك^(٤) والواقع أن بيت الحسين على بساطته
يبين شدة إغراقه في حياة السكر وإدمان الخمر إلى درجة لا مزيد عليها وهذا
ما جعله أهلك من بيت أبي نواس :

(١ ، ٢) انظر أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٤ .

(٣ ، ٤) انظر ديوان المعاني ج ١ ص ٢٠٢ ط سنة ١٣٥٢ وفي محاضرات الأدباء ج ١ ص
٤٢٠ ذكر الخبر محاولة بين المكتنى والصولي الذي اختار قول أبي نواس فردد المكتنى بتفضيل
قول الحسين .

ويصف زقاق الخمر المعتمة فيشبهها بالفتيات المحجبات في خلورهن ،
إذ يخرجهن ويكشف حجابهن ويبيح حرقهن ، ويفضهن ليشرب من خمرهن
الحرراء كالدماء فيقول :

وعواقب باشرت بين حسدائق ففضضتهن وقد غنين صحاحا
أتبعت وخزة تلك وخزة هذه حتى شربت دماءهن جراحا
أبرزتهن من الخلدور حواسراً وتركتهن صون حريمهن مباحا
ومن معانيه المبسكرة وصفه لأباريق الخمر وتشبيهها بالظباء ووصفه
لحال السكرى ، وتمايلهم من شدة السكر وكأن رقابهم لاعظام فيها
فيقول (١) .

كان أباريق المدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قياسا
وقد شربوا حتى كأن رقابهم من اللين لم تخلق لمن عظام
ويصف حال نشوته وابتهاج نفسه في سكره فيقول (٢) .

مازلت أشربها والليل معتكر حتى تضاحك في أعجازه القمر
ثم انبت على كفى وقد أخذت مني مأخذ ما في دونها وطر
ولا يقف شعره في الخمر عند هذا الحد ، إذ أنه لا يفتأ يذكرها ويمتدحها
في شعره الماजन وفي شعره الذي قاله في الديارات وأماكن اللهو ، على نحو
ما سنرى فيما بعد .

من كل ذلك نرى أن الحسين كانت له اليد الطولى في تجديد شعر
الخمر والإبداع في معانيها حتى وضع في مصاف شعرائها البارزين ،
قال الصولي : سمعت بعض العلماء بالشعر يقول : أول الشعراء المتقنين
في صفة الخمر الأعشى ثم الأخطل ثم أبو نواس ثم الحسين بن الضحاك ثم

(١) انظر ميون التواريخ (مخطوط) ج ٧ ص ٧١١ حوادث سنة ٢٥٠ هـ

(٢) انظر أمال القفال ج ٢ ص ١٧٠ ط الدار سنة ١٩٢٦

ابن المعتز^(١) ، وهذا الترتيب زمني لا يعني تفضيل السابقين عليه ، وإذا كان أبو نواس قد نال شهرة ذائعة في هذا اللون الشعري ، فإنه مما لا شك فيه أنها كانت على حساب الحسين وأضرأ به من الشعراء الذين غلب على كثير من شعرهم ، وقد رأينا الشواهد الكثيرة على ذلك ، كما أن ضياع ديوان الحسين كان عاملاً هاماً في انطلاق هذه الشهرة ، ولعلنا في هذا البحث نكون قد استطعنا أن نرد إلى الحسين بعض حقه ، ونضعه في المكانة التي تليق به بين شعراء الحمر والمجدين .

٢ - الغزل والمجون :

والغزل من الأغراض المقلمة في شعر الحسين ، وهو كثير جيد كما قال أبو الفرج وياقوت وغيرهما ، بل هو أكثر ما وصل إلينا من شعره . وفيه كثير من المجون والخلاعة ، وفيه أيضاً كثير بعيد عن المجون ، قريب من الغزل التقليدي في تحفظه أو عفته .

والظاهرة الجديدة في غزله الماخن هي الغزل بالمذكر ، إذ يعد المذكر من الشعراء الأوائل الذين نشروا هذا اللون من الشعر في المجتمع الأدبي في ذلك العصر . وكان عشق الغلمان عرفاً شائعاً بين الناس أوجدته الحضارة الجديدة ، وساعد على نشره اختلاط العرب بالفرس والروم الذين شاع بينهم ذلك من قديم ، كما ساعدت عليه حياة الترف واللاهو التي انغمس فيها الخلفاء والأمراء وسراة القوم ، بل أصاب من ترفها ونعيمها أفراد الطبقة المتوسطة من الشعب الذين غمرهم ثراء الدولة وتدفق خيراتها .

وقد عرفنا في سيرة الحسين أنه اشتهر بعشق غلام اسمه (يسر) كان من غلمان أبي عيسى بن الرشيد . وله فيه شعر كثير يتغزل فيه

(١) اثمار أولاد الخلفاء ص ١١٤ طсте ١٩٣٦ .

ومحكي ما يجري بينهما من ود وخصام وهجر ووصال ، فن غزله
فيه^(١) :

أيا من طرفه سحر ومن ريقه خمير
تجاسرت فكاشفت لك لما غلب الصبر
وما أحسن في مثل لك أن يتهتك السر
وإن لأمي الناس فني وجهك لي عسر

فهو يتحدث عن جمال وجهه ويصر عينيه وطيب ريقه كأنه يتغزل
في امرأة ، ولكنه لا يقف عند هذا الحد ، بل يتعداه إلى ذكر رغبته فيه
واشبهاته له ، ويطلب منه أن يتيسر له كاسمه وألا يتمسك بما في الرجال من
نخوة وكبر فيقول^(٢) :

ولو شئت تيسرت كما سميت يأسر
وكن كاسمك لاتمنعك النخوة والكبر

ويذكر ما يعانيه من صده وما يكابده من الصبر على فعله ، ومحاولته
لتأديبه بالهجر تارة وبالنصح والزجر تارة أخرى فيقول^(٣) :

أتاني عنك ما ليس على مكروهه صبر
فأغضيت على عمد وقد يغضى القى الحر
وأدبتك بالهجر فما أدبك الهجر
ولا ردك عما كا ن منك النصح والزجر

ولما لم تنفع معه كل هذه الوسائل ؛ واشتد المكروه على الحسين لم يجد بدا
من اتباع الشدة معه وتنفيذ رغبته بالقوة فيقول^(٤) :

فلما اضطرني المكروه واشتد بي الأمل

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ٢١٧ - ٧ - ١٨٩ .

(٢) معجم الأدباء لياقوت ج ١٠ ص ٢٢ ط وزارة المعارف .

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة .

تناولتك من ضرى بما ليس له قـلـد
فحركت جناح النذل لـمـا مسك الضـر
إذا لم يصلح الخـير اـمـمـرأاً أصلحه الشر

ومثل هذه المعاني لا نجد لها في الفـزل بالنساء ، لأنها لا تتفق مع طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وما ينبغي أن يكون عليه من لطف ورقة .

ويبدو أن المعاملة الخافية كانت متبادلة بينه وبين غلامه ، الذي ضاق بعربدته ومجونه فاستل خنجره وهدده به ، وفي ذلك يقول (١) :

حشمت يسراً على تكبره وقد دهاني بحسن منظره
فهم بالفتك بي فـنـاشده في كريم من خير معشره
يا من رأى مثل شادن خـنـث يـصـول في خـلدـه بـزـوره
أخاف من كبره بـوادره أذانتى الله من تكبره
ويل على شادن تـوعـلنى بـلـ سـكـينه وخنـجـره
أما كفاه ماخر في كبلى بسحر أجفانه وعـجـره

ولكنه يحكى ما حدث بينه وبين يسر من ود ووصال ، وما قضاه معه من ليالى المحون والخلاعة في قصيدة طويلة تبلغ ست وعشرين بيتاً ، نذكر منها هذه الأبيات التى تدل على مجونه وتهتك (٢) :

وليلة القفص إن سألت بها كانت شفاء لـعـلـة السـقـم
بات أنيسى صريع خـرته وتلك إحدى مصارع الكرم
وبت عن موعد سبقت به أـلـم ذراً مـفـلجاً بـنـسـم
وابأبى من بدا بروعة لا وعاد من بعدا إلى مـم
أباخنى نفسه ووسلنى بـمـي يديه وبات ملتزى

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٩١ .

(٢) قسه ج ٧ ص ٢١٩ .

ويحتم قصيدته بانثاس العنر لنفسه فما فعل ، فإذا عنتره كان بها ، وإذا
لمته فلا قيمة لأومك عنده ولك أن تأوم كما تشاء^(١) :

فراجع العنر إن بدا لك في الـ عنتر وإن عدت لأنما فلم

وللحسن غزل في غلمان كثيرين غير يسر لسا بصدد تعدادهم ،
وهو يصف جمال الفلام وزينة ، فلا يرى من العيب أن يكون بوجهه كلف
لأن البدر كذلك ، أو أن يكون مخطفاً منطوى الحشا خفيف اللحم ، ويعجب
بتصنيف شعره وبشعراته التي سلطا على صدغيه كالعقرب ، وقد حف
أصداغهم ونف شعرها لتبلى ناعمة ملباء ، ثم تطيب بالمسك لتفوح منه
رائحته الجميلة ، وفي ذلك يقول^(٢) :

لا تولا نراه أكلف نضواً محققاً

نعم ربحانة النديم وإن كان محطفاً

إن يكن أكلفاً فإني أرى البدر أكلفاً

بأبي ماجن السريرة يسلى تعففاً

حف أصداغهم وعقربها ثم صففاً

وحشا مخرج القصاص بمسك ورصففاً

ويصفه مرة أخرى باليافس في صفرة كالقضة ، مزوجة بالذهب. وبأن جسمه
بض لن يتنى كالقطن على روادف ممثلة ، وخده كالنفاحة الحمراء عليه
كلف كأنه الطل المنشور ، صفاته فاتنة كلها ينبي بعضها عن بعض يقول^(٣) :

وا بأبي أبيض في صفرة كأنه تبر على فضه

جرده الحمام عن درة تلوح فيها عكن بضه

غصن تبلى يتنى على مائكة مثقلة الهضبه

كأنما الرش على خده طل على نقاحة غصه

صفاته فاتنة كلها فيعضه يذكرني بعضه

يالبني زودني قبله أولاً فن وجته عضه

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ٢١٩ .

(٢) ، (٣) نفسه ج ٧ ص ١٨٠ .

وهكذا يبدى شغفه وإفتانه بالغلام في جون عابث وغزل حتى صارخ ،
ولكنه لا يتبادى في مجونه إلى درجة الفحش والابتذال والتهتك المكشوف ،
فمع ذكره ما يحدث بينه وبين غلامه من دعاية وعبت وخلاعة ومجون ، يعتمد
جهده عن الألفاظ الفاحشة المنكرة التي تجمعها الأذواق وإذا وصل إلى ذكر
ما يفعله من منكر وإثم اكتفى بأن يقول أن معشوقه أباحه نفسه وبيات ملتزمه
ويكتم ذكر التفاصيل الآثمة فيقول ^(١) :

فما زلت أبسطه مازحاً وأفسرط في اللوح حتى ابتسم
وحككتي الريم في نفسه بشيء ولكنسه مكتم

وإذا عاتبه معشوقه على ذكره في الشعر . ولا مفعلى إعلان ما حدث بينهما
أخذ من هذا العتاب مادة لغزله ، والتمس لنفسه العذر عنده محتجاً بما يحمله قلبه
من صباية وحنين لا يستطيع الصبر عليهما لكبره ، وفي هذا يقول ^(٢) :

فدبت من قال لي على خفري وغض من جفني على حوري
سمع بي شعرك المليح فما ينفك شادبه عسلى وتره
حسبك بعض الذي أذعت ولا حسب الصب لم يقض من وطره
فقلت يا مستعير سائلة الخشيف وحسن الفتور من نظره
لا تنكرن الحنين من طرب عاود فيك الصبا عسلى كبره

وكثيراً ما كان يطالب من الحسين أن يتغزل في الغلام الذي يسقيه ودو
في مجلس المدامة ، ويغنى بغزله الممتون ويشرب عليه التذمان فتتم بهجة المجلس ،
من ذلك ما قاله في مجلس لصالح بن الرشيد وكان يهوى غلاماً له فغاضبه
فتنحى عنه ، وكان جالسا في صحن حوله نرجس في قمر طالع حسن ، فطلب
من الحسين أن يقول في ذلك أبياتا يغنى فيها عمرو بن بانه فقال ^(٣) :

وصف البدر حسن وجهك حتى خلت أنى لما أراه أراكا
وإذا ما تنفس النرجس توهمت نسيم شذا كسا

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٢ .

(٢) نفسه ج ٧ ص ١٦٩ .

(٣) نفسه ج ٧ ص ٢١٣ .

وإخال الذى نمت أنبىى وجلىسى ما با شرته يسدا كا
فإذا ما نمت نمتك فيه فكأنى بذاك قبلت فاكسا
خدع للمنى تعللى فى — لك بإشراق ذا وبهجة ذا كا
لأدومن بإحببى على العهد له — لنا وذاك إذ حكى كا

ويتنزل فى غلام المتوكل الذى أوعز إليه مولاه أن يعاينه ليرى ما بى من
صبوته بعد أن كبر وضعف ، فيثبت أن شا عريته مازالت متوقدة وأن معانى
للغزل مازالت حية فى نفسه فيقول (١) :

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر وكالورد يسعى فى قرأ طق كالورد
له عبثات عند كل تحيسة بعينه تستدعى الخلى إلى الوجع
تمنيت أن أسقى بكفيه شربة تذكرنى ما قد سبت من العهد
سقى الله عيشا لم أبت فيه ليلة من الدر إلا من حبيب على وعد

ويتنزل بساقى الخمر فيربط بين متعته بجمال محسنه ومتعته بسقيه و
يسقيه فيقول (٢) :

حت صبوحي فكاهة اللاهى وطاب يومى بقرب أشباهى
فاستتر اللهو من مكانه من قبل يوم منغص ناهى
بأنه كرم من كف متطق مؤتزر بالمجون نيساه
يسقيك من طرفه ومن يده سقى لسطيف مجرب داهى
كأسا فكأسا كأن شاربها حيران بين الذكور والساهى

ويظهر مجونه بصورة أوضح حين يتنزل فى غلام الواثق فيقول (٣) :

يحث كئوسهم مخطف تجاذب أردافه أمردا

(١) أغاني الفار ج ٧ ص ١٩٠ ، ٢١٦ . (٢) نفسه ج ٧ ص ١٧١ .

(٣) نفسه ج ٧ ص ١٩١ .

ترجل بالبان حتى إذا أدار غداثه وفسرا
وفضض في الجلتار البها ر والآبوسة والعهبهـرا
فلما تمازج ماشنرت مقاريض أطرافه شسذرا
فكل ينافس في بسره ليفعل في ذاته المنكرا

ولا يقتصر غزله الماخن على الغلمان فقط ، بل يمتد مجونه كذلك إلى
غزله في المرأة ، ومن ذلك مايقوله في مغنية كانت تألفه اسمها فن^(١) :

لا تلمني على فـتن إنها كامدها فـتن
طيب نشر إذا نـشـت ست وخنج ومحتضن
رال عشراً من الصبح على وجهها الحمن
رعلى لفظها المنـسو ن اللام بالغـنـن
لست أنسى من الغريبـ رة إذ بحت بالشـجن
قولها إذ سلبهـا من كتيب وعن عـكن
ليس يرضيك يافـتى من هوى دون أن تهـن
فامترجنا معاً عـما زجة الروح للبيـن

فهو يحكى ماحدث له معها في جلستهما الفراية ومادار من حديث الهوى
عبراً عن شغفه بلفظها العذب حين تنطق باللام في غنة جميلة ، وهو مع ذلك
لا يتبدل في ذكر المنكر وإنما يكتفى بالتعبير عنه تعبيراً أدبياً ، فيشبهه امتزاجه
معه بامتزاج الروح والبدن ، وبذلك يشغلنا بالصورة الفنية عن فعله
الآثم .

وهو لا يفضل الغلمان على النساء كأبي نواس ، ومع كثرة غزله فيهم
وتولاه بهم فإنه يفضل النساء عليهم ، ويعبر عن ذلك في تصيدة يحكى فيها
للة غرام مع امرأة فيقول^(٢) :

سقى لها لاأخى شعرة شعرته كالشعرة الوافرة
وفى غد تتبعها الحيسة تاحقه بالكرة الخاسرة

ويتنزل في جارية كانت لأم جعفر، وقد أحباها بشديداً، وأعيتة الحيل
في الوصول إليها، ووسط عاصبا الغساني في استيائها فلم يمكنه ذلك ، فقال
يصف جمالها ويعبر عما يعانيه من الالوعة والعلاب (١) :

رمتك غداة السبت شمس من الخلد	بسم الهوى عمداً وموتك في العمد
مؤزرة السربال مهضومة الحشا	غلامية التقطيع شاطرة القصد
محنة الأطراف روؤد شبابها	مقربة الصدغين كاذبة الوعد
أقول ونفسي بين شوق وزفرة	وقد شخصت عيني ودمعي على الخلد
أجبرني على من قد تركت فواده	بلحظته بين التأسف والجهد
فقال عتاب في الهوى مع قريبكم	وهو إذا أقرحت قلبك البعد
لقد فطنت للجور فطنة عاصم	لصنع الأيادي الغر في طالب الحمد

ونلاحظ أنه يصف جمال تقطيعها بأنه غلامي ، وهي ذلك أن جمال
الغلمان أو وسامة ملاعهم كانت عندهم مثلاً رفيعة ، وأنهم كانوا يعجبون
بها ويفتنون بجمالها حتى يشبهون بها ملاع النساء ، كما نلاحظ
تكرار بعض الصفات التي يقولها في الغلمان كقوله « مقربة الصدغين . .
ومن الصفات المولدة الجديدة أن يصف رشاقة قوامها بقوله شاطرة القصد،
وكان اسم الشاطر يفتق في ذلك العصر على كل من هو من أهل البطالة
والفساد، ولعل فئة الشطار هذه اشتهرت برشاقة اقدود، فأخذ الشاعر هذه
الصفة وعبر بها . أما الصفات الأخرى فهي مما عرف في الغزل التقليدي
كقوله « مؤزرة السربال » ومهضومة الحشا ومحنة الأطراف .

وغزله في المرأة قليل بالنسبة لغزله في الغلمان ، ويبدو أن طبيعة
الاجتماع في ذلك العصر كانت أكثر ميلاً لهذا اللون الجديد . كما أن مجالس
الشرب والمناذمة كانت تقوم على خلعة هؤلاء الغلمان، وفيهم ينزل الشاعر

ليغنى المغنون بقوله ، وأصبحت هذه العادة شائعة بين هذه الأوساط التي يتادها الحسين ، ويقدم لها كثيراً من هذا الغزل لينال الخطوة لديهم ، كل هذه العوامل دفعته إلى الاكثار منه حتى صار يمثل جانباً كبيراً في شعره .

وإذا تركنا جانب الغزل المألوف ، لننظر في الجانب الآخر البعيد عن المحون والخلاعة ، وجدنا للحسين فيه تفوقاً وإبداعاً شهد له به شعراء ونقاد لهم مكانتهم في الأدب العربي فهذا أبو نواس يلتقي بالحسين فيقول له : « أنت أشعر أهل زمانك في الغزل ، قال : وفي أي ذلك ؟ قال : ألا تعلم بالحسين ؟ قال : لا ، قال في قولك :

وا بأبي مُقَحَّمٍ لفرثه	قلت له إذ خلوت مكتما
تحب بالله من يخلصك بالسود	فأقال لا ولا نعم
ثم تولى بمقلتي خجل	أراد رجوع الجواب فاحتشما
فكنت كالمبتغى بحيلته	برءاً من السقم فابتدا سقماً ^(١)

فأبو نواس يشهد له بذلك لطرافة المعنى الذي تضمنته الأبيات ، إذ أراد الشاعر أن يسر لمعشوقه بحبه ليعرف منه مدى استجابته إليه ، ففنه الخجل من الرد عليه ، بينما عبرت عيناه عن معان زادت من لوعة الحب في نفس الشاعر . ولم تنفع حيلته في الفوز بكلمة منه تشفي سقمه ، بل زادته سقماً على سقم ، وأذكت نار الحب في قلبه :

وهذا أبو العباس ثعالب — وهو عالم كبير من علماء العربية — ينشد قول الحسين^(٢) .

لاوحيك لا أصـ	فج بالسمع مدهـ
من بكى شجوه اسـ	ح وإن كان موجـ

كبدى في هواك — قم من أن تقطع —
لم تدع سورة الضنى في السقم موضعاً

ثم يعلق عليه بقوله : ما بقى من يحسن أن يقول مثل هذا^(١) وإذا كان ثعلب لم يشرح سبب إعجابه بمعانى الأبيات فذلك لأن روعة الإبداع فيها واضحة كل الوضوح .

فالشاعر في البيتين الأولين يثبت حقيقة نفسية هامة أقرها علماء النفس في العصر الحديث ، وهى أن البكاء يخفف كثيراً من شدة الكبت النفسى الناتج عن الأحزان والآلام الواقعة على النفس ، والشاعر لا يريد أن يبكى كما يبكى العاشقون حتى لا يزيح عن نفسه هموم الحب أو يريحها من أوجاعه ، وهذا معنى جديد لم يصل إليه شعراء الغزل قبله . أما معنى البيتين الأخيرين ففيه أيضاً تجديد طريف ، إذ لا يقول أن كبده قطعها آلام العشق كما تعود أن يقول الشعراء ، بل يصل إلى أبعد من ذلك ، فيقول أن ماسيه لها العشق من سقم جعلها في حالة من الإعياء والعلقة لا تناس بها آلام تقطيعها ، ثم يزيد المعنى قوة وروعة بأن يجعل تأثير الحب في نفسه مضنياً إلى درجة شديدة حتى إنه لم يعد فيها مكان لعلقة جديدة .

وابن الرومى كذلك يعجب بغزل الحسين فيقول : إنه أغزل الناس وأظرفهم حين يقول :

يا مستعير سواك الخشف اسمع لحلفة صادق الخلف
إن لم أصح ليلى : ويا حربي من وجنتك وفترة الطسرف
فجحدت ربى فضل نعمته وعبدته أبداً على حرف^(٢) .

ولعل إعجاب ابن الرومى راجع إلى إحساسه بتجديد الشاعر في معناه وفى طريقة تعبيره ، إذ يرى نفسه بالحدود واضطراب العقيدة والفكر بنعمة ربه التى تتمثل في جمال محبوبه ، إذا لم يصح بأعلى صوته قائلاً (وا حربي)

لما يراه من جمال وجنتيه فتور نظراته فهو لا يكاد يحزن من أسر حاله ، ومع
لك فصباحه المحزون هذا تعبير عن إيمانه بالله واعتراف بنعمته الجزيلة ،
ولو لم يفعل ذلك لكان جاحدا ولكانت عبادته لله على حرف كمباداة المنافقين :

وكان الخليفة المتوكل شديد الإعجاب بشعر الحسين ويفضله على جميع
شعراء زمانه ويتغنى بشعره في الغزل ، قال علي بن الجهم : « دخلت
يوما على المتوكل وهو جالس في مجلس فدخله وفي يده غصن آس وهو يتمنأ
بهذا الشعر :

بالشط لي سكن أفديه من سكن أهدي من الآس لي غصنين في غصن
فقلت إذ نظما إلفين والتبسا مقيا ورعيا لقال فيكما حسن
فالآس لا شك آس من تشوقنا شاف وآس لنا يبق على الزمن
أبشرناي بأسباب ستجمعنا إن شاء ربي ومهما يقضه يكن

قال فلما فرغ من إنشادها قال لي وكنت أنشئ حسدا : لمن هذا الشعر
يا علي ؟ فقلت : للحسين بن الضحاك يا سيدي . فقال لي : هو عندي أشعر
زماننا وأملحهم مذهبا وأظرفهم نعتا . فقلت وقد زاد غيظي : في الغزل
يا مولاي . قال : وفي غيره وإن رغم أنفك ومت حسدا . وكنت قد مدحته
بقصيدة وأردت إنشادها يومئذ فلم أقبل ، وعلمت أني لا أنضع مع ماجرى بيننا
بشيء لا به ولا بالقصيدة ، فأخترتها إلى وقت آخر ^(١) .

ففي هذا الخبر تسليم تام بتفوقه في الغزل من علي بن الجهم ، الذي اعترف
في ضراحة بأنه كاد يشق حسدا لهذه المكانة التي بلغها الحسين عند المتوكل ،
والتي كانت عاتقا دون إنشاده القصيدة التي أعدها في مدحه لشعوره بانتهاله
عن كل ما حوله واستغراقه في الإعجاب بأبيات الحسين التي يتمثل بها ،
وتفضيله على كل من علاه من شعراء عصره في الغزل وفي غيره . وإذا نظرنا

في معاني هذه الأبيات وجدنا تجديدا طريفا وتفاوتا مشرقا ، إذ يرى الشاعر في هدية حبيبه إليه فالأ حسنا وبشرى طيبة بأنهما سيلتقيان كما يلتقي غصنا الآس المتشابكين في غصن واحد ، بل يجعل الآس آسيا مشفقا عليهما لما يقاسيا من عذاب الشرق ، عاملا على جمعهما معا شافيا لقلبيهما من سقم البعد ، فما أجمل هذه الهدية من حبيبة ، وما أجمل المعاني التي توحى بها ، والآمال التي تبعثها .

ومن مظاهر التجديد في غزل الحسين ما يراه أستاذنا الدكتور شوقي ضيف من وجود ضرب من الغزل المعنوي الواهم ^(١) على نمط ما نقره في قوله ^(٢) :

إن من لا أرى وليس يراني	نصب عيني ممثل بالأمانسى
بأبي من ضميره وضميري	أبدلا بالمغيب ينتجيان
نحن شخصان إن نظرت ورو	حان إذا ما اخترت بمزجان
فلذا ما هممت بالأمر أو هم	بشيء بدأنه وبدانسى
كان وفقا ما كان منه ونهى	فكأنى حكيمته وحكانسى
خطرات الحفون منا سواء	وسواء تمرك الأبيــــــــــــــدان

ويعلق أستاذنا على هذه الأبيات شارحا وجهة نظره بقوله : « فإنك تحس بتغير واضح في طريقة التفكير ، إذ ينزع الشاعر إلى منزع جديد في غزله ، فهو لا يعنى بالصورة الحسية كما نجد في شعر الأعشى وأمرئ القيس أو غزل يشار وأبي نواس ، وكأنى بالشاعر يتأثر بعناصر أفلاطونية في تفكيره ، فقد مثلت القطة روحا جديدة بل صياغة جديدة ، فقد ألف الناس أن يتحدثوا عن الصياغة الحسية الظاهرة ، ويتركوا الصياغة الذهنية الباطنة وهي أبعد غورا ومثالا ، وتقصد بها تنظيم الأفسكار وطريقة صوغها وتصورها . ولست نشك في أن هذا الشعر يمثل صياغة جديدة في الفن العربي

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٠٥ ط ثالثة .

(٢) انظر الأبيات في الأغاني ج ٧ ص ١٨٧ .

أو هي من بعض الجوانب جديدة فيه تجريد ووهم وفرض وبعد إغراق في الخيال^(١) .

ومن قبيل الغزل المعنوي الواهم أيضا قوله يناجي طيف معشوقه الذي زاره في المنام فعاتبه على ما كان منه ، ورضى منه بالاعتذار مع أنه لا حقيقة له في الواقع ، يقول^(٢) :

سقى لزور من طيف محتجب عاتيته في المنام فاعتسلا
فزال حقد الضمير عن سكن يسخطني رائحا وهبكترا
رضيت من علم من أقام على الذ نب بطيف ألم معتسلا

وفي غزل الحسين كثير من المعاني الطاريفة التي تدل على رفاقة حسنة ورقة طبعه وروعة إبداعه ، فإذا فارق حبيب ساعه أحس أنه غريب بين الناس ، وإذا أراد أن يسلو عنه هواه خانه ضميره ، وكأنما عليه رقيب فرضه هذا الهوى ، فلا يستطيع منه فككا ، وفي ذلك يقول^(٣) :

كأنني إذا فارقت شخصك ساعة لفقدك بين العالمين غريب
وقد رمت أسباب السلوفخاني ضمير عليه من هواك رقيب

وقلبه طائر صادته الحاظ معشوقه ونقطة الخال التي نصبها له على خده ، يقول^(٤) :

يا صائد الدبر كم ذا بالخط تضيئي وتعي
نصبت نقطة خال نصبات «نار» قادي

ولا يغيب عنا أن ذكر الخال من المعاني الجديدة التي كان يولع بها القرمس ، والتي دخلت عن طريقهم إلى الشعر العربي وكثيرا ما رده شعراؤهم في أشعارهم .

(١) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٠٥ - ١٠٦ طبعة ثالثة .

(٢) انظر الزهرة ص ٢٦٢ .

(٣) قسه ص ١٦٦ .

(٤) المستطرف ج ٢ ص ٢٢ ط بولاق سنة ١٢٦٨ .

ويعبر الحسين عن تأثير ، المجر عليه في تقسيم حسن ، فيجعل بعضه محترقاً
بناؤه ، وبعضه الآخر غريقاً في دموعه . . ثم يبين ما سببه عذاب العشق له من
لهو هاف في الحس وخفة في الفكر ، حتى أصبح لا يسمع عاشقاً يشكو من
لوعة عشقه إلا ويظن أن معشوقه هو سبب كل شكوى ومعذب كل عاشق .
وهذا في قوله ^(١) :

بعضى بنار المجر مات حريقاً والبعض أضحى بالدموع غريقاً
لم يشك عشقا عاشق فسمعتنه إلا ظننتك ذلك المعشوق

وهكذا يتبين لنا مدى الإبداع الذى حققه الحسين في غزله ، ومدى التجديد
الذى أضافه إليه ، وقد شهد له بذلك شعراء ونقاد لهم مكانتهم في الأدب العربى
قدما وحديثا . وأنه لم يقتصر في تجديده على الغزل الماجن في الغلمان أو في النساء
، إنما خلق بشاعريته في كل أجوائه حتى بلغ ذروة الإجداد والإبداع .

٣- الديارات وأماكن اللهو :

كانت الديارات المسيحية منتشرة في نواحي العراق وسوريا من زمن
بعيد قبل الإسلام ، ولم يكن يأتى ذكرها في شعر الشعراء إلا نادرا وبه وردة
خاطفة ، كذكرهم أسماء الأماكن في ديارهم من توضع والمقراة ، وحواماتا
الدراج والمتنم ، وما إلى ذلك من أسماء .

وظل الشعراء على هذه الحال إلى أواخر العصر الأموى ، إذ كان الدين
الإسلامى ما يزال محتفظا بهيئته ووقاره ، وكان الناس يرفعون عن زيارة
محللات العبادة الغريبة عن الإسلام ، ولا يقصدونها إلا إذا كانوا على سفر
وأرادوا أن ينالوا قسطا من الراحة في طريقهم ، ولم تكن قد طفت على المجتمع
بعد هذه الموجة الحارقة من الترف والمجون وشرب الخمر والاستهتار بالدين .
فلما جاء العصر العباسى كانت هذه الآفات قد تمكنت من نفوس الناس

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٢٢ .

ولا سيما الشعراء ، ونشأت منهم هذه الطائفة المأجنة من أمثال الحسين وأبي نواس ، وكثر ترددهم على هذه الديارات وأماكن اللهو ، حيث يجلدون كل ما تهو إليه نفوسهم من خورها الحيدة المعقة ، ويعقلون مجالس لهموم ويجونهم في حرية تامة واستهتار صريح ، ومن ثم لمجت ألسنتهم بذكرها ، وكثر شعرهم حول ما يقضونه من أوقات لهموم ومتعهم .

وقد حفظت لنا معاجم البلدان والكتب التي تخصصت في الحديث عن هذه الديارات ككتاب الشاشي ، كثيرا من شعر الحسين في هذا الموضوع؛ فإذا قرأنا هذه الأشعار وجدناها تلور حول الخمر ومجالس الشراب والمجون والنزل بالمذكر ووصف الطبيعة وأحوال رهبان الدير . من ذلك قوله في دير سرجس ^(١) :

أخوى حتى على الصبوح صباحا	هبا ولا تعلدا الصباح رواحا
هذا الشميط ^(٢) كأنه متحير	في الأفق شد طريقه فالأحسا
ما تأمران بقهوة قرويسة	قرنت إلى درك النجاح نجاحا
مهما أقام على الصبوح مساعد	وعلى الغبوق نلن أريد براحا
عودا لعادتنا صبيحة أمسنا	نالود أحمد هتدي ومراحا
هل تعلدان بدير سرجس صاحبا	باصحو أو تريان ذاك جناحا
إني أعيد كما بألفة يبتسما	أن تذر يا بقرى انزرات قراحا
عجت قواقزنا ^(٣) وقلس قسنا	هزجا وأصغينا الدجاج صياحا
للجاشرية ^(٤) فضلها فتعجلا	إن كتبنا تريان ذاك صلاحا

(١) انظر القصيدة في الديارات ص ١٥١ وفي مسالك الأبصار ج ١ ص ٢٨٥ ومعجم البلدان مادة دير سرجس . وكان هذا الدير بطبرستان بين الكوفة والقادسية على وجه الأرض بينه وبين القادسية ميل . وكان يحقوا بالكروم والأشجار والحانات ، وقد خرب وبطل ولم يبق منه إلا غرائب على ظهر الطريق يسميها الناس قباب أبي نواس .

(٢) الشميط : الصبح .

(٣) القواقز : جمع قاقوزة وهي القمح .

(٤) الجاشرية : شرب يكون مع الصبح .

يارب ملتبس الجفون بنومة نهته بالراح حين أراحا
فكان ربا الكأس حين نديته للكأس أنفض في حشاه جناحا
فأجاب يعثر في فضول ردائه عجلان مخطط بالثار مراحا
مازال يضحك بي ويضحكني به ما يستفيق دعابة ومزاحا
فهتكت ستر مجونه بهتكي في كل ملهية وبحت وباحا

فهو يدعوصاحبيه للشراب في الصباح الباكر الذي وصفه بالحيرة؛ وكأنما سد الطريق أمامه في الأفق فلاح نوره من خلف السد باهتا ضعيفا ، ثم يعود إلى الحديث عن الخمر التي يرى فيها نجاح حياتهم ، ويعبر عن شغفه الشديد بها بأنه لا يريد مبارحة هذا المجلس ، ويود أن يظل على هذه الحال واصلا يومه بغده كما وصله بأمره ، ويسأل صاحبيه : هل لأحد من الصحاب عذر في أن يبقى صاحيا لا يشرب ولا يسكر مثلهم ، وهل يقبل منه هذا العذر أم يعتبر ذنبا لا يقتدر له ؟ وكأنه يريد بالسؤال إدانته بصحوه ومخالفته ما اجتمع عليه الصحاب . ويصور الصخب والضجيج في الدير الذي اجتمعت عليه ثلاثة أسباب من قرع أتلحاح الخمر ، وصلاة القسيس متغنيا بآياته وصياح الدجاج مع إشراقة الفجر . ثم يعود فيطلب التعجيل بالشراب .

وينتقل من ذلك إلى الغزل بالمذكر ، إذ فيه غلامه من غفلته ، فاستيقظ من نومه على ريح الخمر وكأنها رفرفت في أحشائه بجناحين ، ومازالا يضحكان ويلهوان حتى وصلا إلى درجة التهلكة التي عبر عنها في البيت الأخير وكأنه يفخر بمجونه وتهتكه . فعظم القصيدة بدور على الخمر والمجون والغزل بالمذكر ، بينما لم يتعد ذكر الصباح وصلاة القس وصياح الدجاج يبتين اثنين :

ويتحدث عن صاوات الرهبان وغنائهم بصورة أوضح في قصيدته عن عمر نصر^(١) فيقول :

يا عمر نصر لقد هيئت ساكنة هاجت بلابل صب بعد إقصار

(١) كان عمر نصر بسر من رأى وذكر اليعربى أنه كان من منتزهات آل المنذر بالحيرة . انظر معجم ما استعجم ص ١٠٩٠ ط سنة ١٩٤٧ .

لله هاتفة هبت مرجعة زبور داود طورا بعد أطوار
بجها دالتى بالقدس محتسك من الأساتف مزورا بمزمار
عجت أساقفها فى بيت منبجها وعج رهبانها فى عرصة الدار

ولكنه ينتقل من ذلك إلى الحديث عن الخمار ويتنزل فيه فيقول :

خمار حانتها إن زرت حانتسه أذكى بجامرها بالعود والغار
يهز كالنصن فى سلب مسودة كأن دارسها جسم من القصار
تلهيك رفيقه عن طيب خمرته سقيا لذلك جنى من ريق خمار
أغرى القلوب به ألحاظ ساجية مرهاتعارف عن أجفان سحار

ويعرج بين الخمر ووصف الطبيعة فى قصيدته عن عمر مريونان فيقول (١) :

أذنك الناقوس بالفجسر وغرد الراهب فى العمر
فحن مخمور إلى خمسه وجادك الغيث على قسدر
واطردت عينك فى روضة تضحك عن صفر وعن حمر
فعاط نلحانك من خمرة مزاحها معترف الغسدر
على خزامها وحواناتها ومشكل من حال الزهر
فى مسرح ترقع أكفافه مشادن من بقر زهر
يا حبلا الصبحة فى العمر وحبلا نيسان من شهر

وتبيح دواعى الشوق فى نفسه حين يذكر دير مديان (٢) القائم على نهر
كرخايا قرب بغداد ، ويذكر أوقاته الجميلة التى قضها به ، وهو حينئذ

(١) عمر مريونان أودير مريونان كان يقع بالأنباء على الفرات وهو كبير وعليمور
محكم والجامع ملاصقة . انظر معجم البلدان .

(٢) دير مديان على نهر كرخايا ببغداد - وكرخايا نهر يشق من الحول الكبير وكان الماء فيه
جاريا ، ثم انطم واتصلت جريته بالشوق التى انفتحت فى الفرات ، وهو دير حسن نزه ، حوله
بساتين وعامرة ، ويقصد التزه والشرب ، ولا يخلو من قاصد وطارق وهو من البقاع الحسنة
للزهر . انظر الديارات ص ٢١ .

مع المعتصم بالشام وقد حط ركبهم بدير مران هناك ، فلا تجود قريحته بشعر
إلا في ذكر الدير الذي تربطه بنفسه ذكريات تثير أشجاناه ، فيقول :

حس المدام فإن الكأس مفرجة	بما يهيج دواعي الشوق أحيانا
إني طربت لرهبان مجاوبة	بالقدس بعد هلو الليل رهبانا
فاستغفرت شجنا منى ذكرت به	كرخ العراق وأحزانا وأشجانا
فقلت والدمع من عيني منحدر	والشوق يقدر في الأحشاء تيرانا
يادير مديان لأعريت من سكن	ما هجرت من سقم يادير مديانا
هل عندك من علم فيخبرني	أن كيف يسعد وجه الصبر من بات
سقياً ورعياً لكرخايا وساكته	بين الحنينة والروحاء من كانا

من كل هذه الشواهد نرى أن الديارات كان لها تأثيرها العميق في نفس
الحسين ، وأنها احتلت مكانا من شعره لا يهون شأنه ، وإن كان ارتباطها
بالحمر والمجون قد جعل لهما الحظ الأكبر في المعاني التي تدور حولها
قصائده فيها . . .

أما أماكن اللهو من المنزهات والحانات فلها أيضا مكانها في شعر الحسين .
وشعره فيها يدور كذلك حول الخمر والغزل ووصف الطبيعة . فهله قصيدته
التي قالها في منزهه يباري^(١) وكان قد شرب فيه مع صالح بن الرشيد . يقول :

أما نأجك بالنظر الصحيح	وأن إليك من قلب قريح
فليتك حين تهجره ضراراً	منتت عليه بالقتل المريح
يحسبك كان أول حسن ظني	أما ينالك حسبك عن قبيح
وما يتفك متها لتصحى	بتغنى نفس متهم نصيح
أحب النعم من نخلات باري	وجو سقاها المشيد بالصفيح

(١) يبارى من أعمال كلوا ذي . وكان لصالح بها بستان حسن جميل وسوره باق إلى الآن
وأثاره . انظر الديارات ص ٤٨ .

ويعجني تناوح أيكها
ولن أنسى مصارع للسكرى
وكأس في يمين عقيد ملك
صريح ملهمة هويت صريحاً
ألا يا عمرو هل لك في الصبح
فقام على تحاذل مقتلته
وأنتع سكرة سلفت بأخرى
وخلى الصحو للكر الشحيح

فهو يلدوها بالغزل في أربعة أبيات ثم يصف جمال المنظر حوله من نخيل
يسبق مشر وزهور متفتحة جميلة وقصر منيف ، وحمام ينوح على الطلوح ،
ثم مصارع السكرى وسط هذه الرياض وكأنها مكحلة لجمال المنظر
ثم يتحدث بعد ذلك عن الخمر وعن صالح والكأس في يده وما أشبه الخمر
به في صراحتها وصفاتها ، ويصفها بأنها صفة كل روح وبأنها حرام كل
فلاذيع ، ويصف ساقيا وسكرهم بعد سكر في هذا المجلس الإلهي العايب :

وفي قصيدة أخرى يذكر حانة الشط التي شرب فيها مع الخليفة الواثق
وما قضوه فيها من أوقات السرور والمتعة والخلاعة التي احترز فجعلها
في غير فاحشة ، لكرامة الخليفة الذي وصفه بالمرح والدعابة في كمال ذكر
من ألوان المتعة عزف الموسيقى من ضرب على الطنبور ومن زمر وزنار المشهور ،
والساق يدور بينهم بكتوس الخمر ، ثم وصف ما يحيط بهذه الحانة من طبيعة
جميلة ورياض ناضرة ، يقول (١) :

با حانة الشط قد أكرمت مشوانا
لا تفقدنا دعابات الإمام ولا
ولا نخالعتنا في غير فاحشة
إذا يطربنا الطنبور أحياناً

(١) الخوذان : ثبت من نبات السهل يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء في أصلها صغيرة .

(٢) انظر القصيدة وخبرها بالأغاني ج ٧ ص ٢٩٧ - ١٩٨ .

وهاج زمر زنام^(١) بعد ذاك لنا شجوا فأهدى لنا روحا وريحانا
وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السقيا فألحق أولانا بأخرانا
سقيا لشكلك من شكل خصصت به
دون التماكر من لذات دنيانا
حفت رياضك جنات مجاورة في كل محرق نهرنا وبستاننا
لا زلت أهلة الأوطان عامرة بأكرم الناس أعراقا وأغصانا

من ذلك يتبين لنا أن أماكن اللؤلؤ لها — كما كان للديارات — أثرها في
شعر الحسين، وأن شعره فيها كانت له مميزات الخاصة التي تتفق مع طبيعتها
ومع تجربته بها ، ولذلك اجتمعت فيه عدة عناصر من شعر الخمر والفزل
والمجون ووصف الطبيعة وأحوال الرهبان والنجارين وما إلى ذلك مما
يتصل بهذه الأماكن وطبيعة وجودها كما رأينا . وهذا لون من التجديد الذي
شارك الحسين في إضافته إلى تراث الشعر العربي .

(١) زنام : زمار حاذق علم كلا من الرشيد . والمصمم والواقع ، وهو الذي أحدث
الفاخر في زمن المصمم فيقال : نأى زنامي .

الفصل الثالث

خصائصه الفنية

١ - تجربة حية :

من أبرز الخصائص التي تميز بها شعر الحسين بن الضحاك أنه يعبر عن تجربة حية عاشها الشاعر ، ويترجم عن أحاسيسه ومشاعره التي جاشت بها نفسه في معاناتها لتجربتها ترجمة صادقة ، نابضة بالحياة ، ناطقة بأحاسيسها وملابسها ، فهو شاعر قد اكتملت طبيعته الفنية ، وهى تلك الطبيعة التي تجعل من الشاعر جزءا من حياته أيا كانت هذه الحياة من الكبر أو الصغر ومن الثروة أو الفاقة ، ومن الألفة أو الشنود ، وتتمام هذه الطبيعة أن تكون حياة الشاعر وفنه شيئا واحدا لا ينفصل فيه الإنسان الحى عن الإنسان الناطم ، وأن يكون موضوع حياته هو موضوع شعره ، وموضوع شعره هو موضوع حياته^(١) .

وإذا أردنا أن نطابق بين حياة الحسين وشعره ، وجدنا الصورة متائلة في كليهما ، وكأنما ، هذا الشعر مرآة انعكست عليها صورة حياته بأحداثها ، وخلاجات نفسه وهواجسها ، فرى فيه أحداث مجونة وخلاعة ، وأخبار لهوه ومنادمته ، ومغامرات حبه وعشقه وانفعالات أحزانه وآلامه ، وأحاسيس فرحه وسروره ، وانطباعات خوفه وضعفه ، وبسات ظرفه ونادرته ، كل هذه التجارب نراها واضحة في شعره تنبض بالحياة في صمدى بالغ ، وتنبىء عن صاحبها في أمانة خالصة :

وقد عرفنا عن حياة الحسين وسيرته ما يبهر علينا مطابقتها مع شعره ، أو مطابقة شعره مطابقة فنية لا تلتزم بتفاصيل هذه السيرة الزاما تقريريا ،

(١) انظر ابن الرومى - حياته من شعره - ص ٤ الطبعة الثانية .

بل تستخلص منها التجارب البارزة التي كانت لها طاقة موحية ، وقوة شعورية ،
يتفتق عنها الإبداع الفني عند الشاعر ، وتصهر تجربته في بوتقة شاعريته
ليخرجها لنا فنا رقيقا وشعرا بديعا . عرفنا عن هذه الحياة ما اتسمت به من
من المحن والخلاعة ، وقرأنا في شعر الحسين ترجمة لتجارب كثيرة من مجونه
وخلاعه ، فصلاته بالقلبان والحواري بما فيها من عشق ووصال ومتعة
وعبت ، وهو ومداعبة ، وتهتك وعريضة ، وما فيها من هجر وخصام ،
يعد وعذاب ، وحرمان ولوعة ، وشوق ولهفة . كل هذه العناصر تحفل بها
نصائده ومقطوعاته التي نظمها مبعرا به عن تجاربه مع معشوقيه هؤلاء ، نذكر
نمنا على سبيل المثال قصيدة يحكى فيها أحداث ليلة من لياليه الماجنة
نضاها مع غلام الحسن بن مهمل الذي كلفه بخدمته وسقيه ، وكان الحسن قد
طلب منه المبيت عنده ، فلما أصبح سأله : كيف كنت في ليلتك وكيف
كنت عند نومك ؟ فقال له : أأصف ذلك ثرا أم نظما ؟ فقال : بل نظما
فهو أحسن عندي ، فقال (١) :

فواصلني بعد ما قد صرم	نألت ظبي غزال الحرم
بما تجنيه بنان الحلم	وما زلت أفتح من نيله
ألم به الذوق فيا زعم	بنفى خيال على رقبة
من البهر تحت كدوف الظلم	أتاني مجاذب أردافه
وحسرة ريقه وأتسم	تمج سواقفه مكة
قطاب من القرن حتى القدم	نضمخ من بعد نجميره
على أن يقول لثيء نعم	بقول وتازعته ثوبه
وأعرض لإعراضه المحتشم	ففض الحفون على خجلة
وأصغيت ألم درا بفهم	فشبكت كفى على كفه
بجد ولا مطمع معترم	فنهني دفع لا مسوئس
تثنى وقال لي الويل لم	إذا ما همث فأذنتيه
وأفرط في اللهو حتى ابتسم	فأزلت أبسطه مازحا

وحككى الريم فى نفسه بشئء ولكنه مكتم
فواها لئلا من طارق على أن ما كان أبقى سقم

فراه فى بذاية القصيدة يحاول التستر على حقيقة ما حدث بادعائه أن
طيف معشوقه زاره فى الحلم ، ليوم الحسن بأن كل هذا الذى قاله ما هو
إلا أضغاث أحلام ، ولكن حيلته هذه لم تنطل عليه ، فقال له : « يا حسين
يا فاسق . أظن ما أديته على الطيف فى النوم كان فى البقطة مع الشخص
نفسه ، وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن نرحض^(٢) العار عن أنفسنا بهية
الغلام لك ، فخذ لا بورك لك فيه^(٣) . فأخذه وانصرف . وهذا القهم من
الحسن يساعدنا على معرفة حقيقة التجربة ، وأنها قد حدثت فعلا بتفصيلاتها
التي ذكرها فى القصيدة . وليست من نسج خياله أو من تأليفه وابتكاره ،
فهي تجربة حية من واقع حياته ، نحس فيها صدق الحدث ، ونرى خلافا
عنه ومجونه ومداعبته للغلام وأخذه بكل وسيلة ، كما نرى إغراض الغلام
عنه ، ودفعه له دفعا لينا لا يبعث فى نفسه اليأس ، وخجله من الموقف ومن
الفعل الشاذ ، وما زال به حتى أستطاع أن يصل إلى بغيته التي لا يصرح بذكرها
وما هو بحاجة إلى تصريح بعد ما قال .

ومثل هذه القصيدة قصائد أخرى ومقطوعات كثيرة تحكى كل واحدة
منها تجربة حية من واقع مجونه أو من صميم علاقاته بالغلمان والحوارى ،
كما رأينا فى شعره عن الغلام « يسر » وعن الحارية « فن » وغيرهما ،
وكما رأينا فى شعر الديارات وأماكن اللهو .

وهو فى غزله لا يصطنع الحدث ولا يتكلف القول ، وإنما يصدر عن
تجربة حية من واقع حياته . ويترجم عن معان ولذتها هذه التجربة وأبرزتها
فى تخيلته . من ذلك مثلا ما يحدث بينه وبين حبيبته حين يجتمعهما المجلس مع
شخص أو أشخاص آخرين يخشى من التصريح أمامهم أو إبداء أى تصرف
يفهم منه وجود علاقة حب بينهما ، وهنا تتلاقى نظراتهما وفيها كل معاني

الموى ، ولكنها نظرات خاطفة تخشى الرقيب فلا تتناجى ولا تطيل ، ومع ذلك فهي تعبر عما يقاسيه من لوعة الحب ، وتخبر عما بقلب حبيبه من وجد لا حيلة له في إظهاره ، فهو يسترق اللحظ ناظرا إلى وجه الرقيب لخوفه منه ، متحينا فرصة غفلته لينظر إلى وجه حبيبه . هذه التجربة يترجم عنها الحسين في قوله ^(١) :

ومسترق للحظ لم يظهر الحوى يريد يتاجنى فيمنعه الخجل
يشكوت بطرفى ما أقامى من الموى إليه فأوما بالسلام على وجل
تخبرنى عيناه عما بقلبه وقد مات من وجد وليس له حيل
فعين إلى وجهه الرقيب لخوفه وعين إلى وجهه الحبيب إذا غفل

وتحدث لمثوقه يسر ، حادثة مع صالح بن الرشيد تغضب ، ولاءه وأبا عيسى ، فيأمر بحجبه كما تحجب النساء ، ويمنعه من الاتصال بأحد ، ويأمره ألا يخرج إلا ومعه حافظ له ، وكل به ، ويضيق الحسين بهذا القرار ، ويعانى من البعد عن معشوقه ويحرق شوقا إليه ، ويفتاض من منع الأحرار له من لقائه ، فيعبر عن هذه التجربة بقوله ^(٢) :

ظن من لا كان ظنا يحببى فحماء
أرصد الباب رقيب حين له فاكتفاه
فإذا ما اشتاق قريبا ولقائى منعا
جمل الله رقيبى من الدوء فداء
واللى أفرح فى الشا دن قلبى ولواه
كل مشتاق إليه فن السوء فداء
سبا من حالت الأح سراس من دون مناه

(١) تاريخ ابن سائر ج ٤ ص ٣٠٠ .

(٢) أنقى الأدب ج ٧ ص ٢٢٠ .

وخوفه من هجر معشوقه له يحدث في قلبه روعة واضطرابا ، وهو مجرد ظن لا حقيقة له ، ولكنه يخيفه ويؤرقه فيتنى أن يكون ظنا كاذبا . هذه التجربة الشعورية الحية يترجم عنها فيقول ،

بحرمة السكر وما كانا عزمت أن تقتل إنسانا
أخاف أن تهجرنى صاحبا بعد سرورى بك سكرانا
إن بقاى روعة كلما أضمر لى قلبك هجرانا
يالىت ظنى أبدا كاذب فإنه يصدق أحيانا

ونذ كر تجربة أخرى من علاقاته بالغللمان ليس فيها مجون وخلاعة ، وإنما فيها هجر وخصام وجفافة ، ذلك أنه عبث بيسر يوما على سكر ، فأخذ هذا قينة فضرب بها رأسه فشجه شجة منكرة ، وشاع خبره ، وتوجع له إخوانه ، ودولج منها مدة ، فجفا يسرا وطرحه وأبغضه ولم يعرض له بعدها ، فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبث به الغلام وغازله ، فلما أكثر ذلك قال له الحسين (١) :

هويتكم جهدى وزدت على الجهد ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فلن أمس فيكم زاهداً بعد رغبة فبعد اختيار كان فى وصلكم زهدى
لعمرى لقد أضضيت فيكم على الهى تجرعى المكروه من شخص الحقد
تأنتكم بقيا الصديق لتقصدا وتأبون إلا أن تجوروا عن القصد
تعزوا بيبأس عن هواى فلانى إذا انصرفت نفسى فزيهات من ردى
أبى القلب إلا نبوة عن جميعكم كتبوكم غنى فى سحق والبعد
أرى القدر ضدا لوفاء وإنسى لأعلم أن الضد يذب عن الضد
إذا ختم بالغيب عهدى فمالسكم تدلون إدلال المقيم على العهد

(١) أبيات القصيدة منتثرة فى الموشى ص ١١٤ والأغان ص ٧ و ١٨٤ والزهرة ص ١٥٤

ومعون التواريخ حوادث سنة ٢٥٠ ومساك الإبصار ص ٩ .

صلوا وافعلوا فعل المدلّ بوصله وإلا فصلوا وافعلوا فعل نى الصد
ولى منك بد فاجتنبى مذمماً وإن خلت أنى ليس لى منك من يد
فكم من نذير كان لى قبل فيكم وما أنفا فيكم نذير لمن بعدى
فوا أسفاه من صبوة ضاع شكرها مضت سلفا من غير أجر ولا حمد

فهو يعبر عن جفاء شديد وألم نفسى عميق ونبولا قرب بعده ، إذ جعلته هذه الحادثة زاهداً فى غلامه أشد الزهد ، بعد أن جهد فى هواه أعظم الجهد ، وبعد أن أغضى عن كثير من أخطائه وغدره ، وتجرع المكروه من غصص جوره ، ولم يكن هذا الصبر منه إلا حفاظاً على الود وإبقاء على الحب ، ولكن بعد هذه الفعلة الشنعاء لم يعد فى قلبه ذرة من قبول أو رغبة فى معاودة ، وقد انصرفت نفسه عن هذا الموى انصرافاً تاماً هيئات أن ترد بعده ، فكيف يجتمع ضدان متنافران من غدر غلامه ومن وفائه ؟ . فليجز الغلام نفسه باليأس فى هواه ، ولا داعى لهذا الدلال الذى يظهره ، وكأنه مبق على العهد ، فإنه جاد فى قطيعته وجفائه تمام الجد ، وإن ظن أنه لا يستطيع الاستغناء عنه . وإن ما فعله يكفى نذيراً لكل من أراد وصاله ، ويحتم قصيدته مبدى أسفه على هذه الصبوة التى ضاعت بلا فائدة ، واتقضت بلا حمد . كل هذه الانفعالات العميقة النابعة من أغوار نفسه ومن صميم قلبه ، تدل دلالة واضحة على معاناته لهذه التجربة وتأثره بها إلى درجة بعيدة ، ولهذا جاء شعره فيها نابضاً بالحياة فى صدق وإبداع ، بعيداً عن التكلف والاصطناع .

وتتمثل التجربة الحية كذلك فى شعره الخمرى ، إذ أنه كان من شاربها الممنين . وقد عرفنا مدى إجادته وبراعته فى هذا اللون من الشعر ، وعرفناه شاعراً من شعراء الخمر المجلدين المفاقيين ، فشعره فيها نابغ من

أعماق نفسه ومن صميم تجربته . وكثيراً ما يدخل شعره في الخمر كجزء
من تجربة مجونه ، وعنصر من أهم عناصرها ، كما نرى في قوله ^(١) :

وشاطرى اللسان مختلق التكا	ويه شاب المحبون بالنسك
بات بغمى يرتاد صالية النـ	سار ويكنى عن أبنه الملك
دست صفراء كالشعاع له	من كف عالج يدين بالافك
مخلف في طبخها بملته	ودين موسى ومنشئ الفلك
كأنما نصب كأسه قـ	يكرع في بعض أنجم الفلك
حتى إذا رنحته سورتها	وأبدلته السكون بالحرك
كشفت عن وزه مزعفرة	في لين صينية من الفنك
فكان ما كان لا أبوح به	في الناس من هاتك ومنهك

فوق يتحدث عن معشوقه الذي جمعه به مجلس الخمر في أحد أماكنها
المشهورة ، حيث يستقيما خمار يهودى لا يفتأ يحلف بدينه مؤكداً جودها
وتعقيها ، فدسها لمعشوقه كأنها شعاع الشمس في صفرتها ، وكأنما صورة
وجهه في الكأس بين جنبها قمر يكرع في نجوم السماء ، فظل يشرب منها
حتى أسكرته وأفقده وعيه ، وصار يترنح من تأثيرها عليه ، وأبدلته
سكوناً بعد حركة ، عند ذلك وجد فرصته سانحة لارتكاب إثمه الذي
لا يبوح به ، ويكنى بما أشار به إليه . وفي ذلك نرى ذكر الخمر ووصفها
والحديث عن خمارها وعن تأثيرها في شاربها ، كل ذلك داخل في صميم
تجربته المألوفة .

وحين يتحدث عن شربه ولحوه في دير سابو يذكر الخمر في أربعة أبيات
ثم يذكر مجونه مع معشوقه في أربعة أخرى فيقول ^(٢) :

وعواتي باشرت بين حداثتي ففضضتني وقد غنين صحاحاً

(١) طبقات الشعراء ص ٢٧٠ .

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٥١٢ ط بيروت والديارات ص ٢٥ .

أتبعت وخزة تلك وخزة هذه حتى شربت دماء من جراحا
أبرزهن من الخلدور حواسراً وتركت صونَ حريمهن مباحا
في دير سابر والصباح يلوح لي فجمعت بلداً والصباح وراحا
ومنعم نازعت فضل وشاحه وكسوته من ساعدى وشاحا
ترك الغيور بعض جلدة زنده وأمال أعطافا على ملاحا
فعلت ما فعل المشوق بلبسة عادت للناظها على صباحا
فاذهب بظنك كيف شئت وكله مما اقترفتُ لنادةً ورجاحا

فهو يعبر عن متعته بالشراب ، وفضه زقاق الخمر الممتعة ، وكأنه يستمتع بهتيات محجبات أخرجهن من خلدورهن وأباح حريمهن ، ثم يعبر عن متعته مع الغلام الذى يشبهه بالبلد ويصفه بأنه منعم مرفه ، ولا يفصل القول في تجربته معه ، وإنما يكتفى بالتعبير الموجز الذى يوحى إلينا بما لا يريد أن يفصح عنه من فحش . ويترك لنا أن نظن ما نشاء وتتجلى مهارته في أنه عبر عن تجربة مجونه دون حاجة إلى الصراحة المكشوفة ، فبلغ ببراعته وقوة إيحائه إلى درجة أنه أعطانا صورة صادقة حية ، لا تريد عليها درجة التصريح بالفحش .

وإذا كانت التجربة الحية ميرة فنية لغزله ومجونه في شبابه ، فإنه لم يفقد هذه الميرة كذلك في مشيبه ، وإن كانت التجربة تختلف في هذا عنها في ذاك . ففي شبابه كان يعيشها بكل كيانها مستمتعا أو ماجتا مهتكا . أما في مشيبه فإنه يرى الغلام ويعجب بجماله ويشرب من يديه خرا للذيلة ، ويلحظ الخلاعة في نظراته ولكنه لا يستطيع الاستجابة إلى نداء الهوى ، إذ يمنعه ضعف الشيخوخة ويستشعر خشية الله ، ولولا ذلك لكان أول عاشق له ، يلتمس لنفسه العذر على شغفه به ومينه إليه ، مع أن سنه غير لافقة بزهده .

الشباب ، وشكله لا يتلاءم مع ملاحه الصبا . هذه الأحاسيس هي التي تختلج بها نفسه في تجربة الشيخوخة فيعبر عنها تعبيراً صادقاً حياً فيقول : (١)

وأبيض في حمر الثياب كأنه	إذا ما بدا نسرته في شقائق
سقاني بكفيه رحيقاً وصامتي	فسوقاً بعينيه ولست بفاسق
وأقسم لولا خشية الله وحده	ومن لا أسمى كنت أول عاشق
وإني لمعدور على شغفي به	وإن وممتني شية في المفارق
ولا عشقني أو يحدث الدهر شره	تعود بعادات الشباب المفارق
ولو كنت شكلاً للصبا لاتبعته	ولكن منى بالصبا غير لائق

وهو يعاني من هموم الشيخوخة أشد المعاناة ، ويستشعر مساوئها من ضعف وقبح فيبكي أيام شبابه ، وما كان يستمتع به من ألوان اللهو والمجون ، فإذا نظر إلى نفسه وتأمل شخصه وجد تغيراً شديداً ، لم تبق معه مسحة من ملاحه الصبا ونضارة الشباب ، وكأنه يتنكر للحسان فيفرون من شكله ، وقد أصبح يستحي من تدهور حاله ، ويندب شبابه ، فيعبر عن معاناته لهذه التجربة المأساوية ، ويرجم عن تلك الأحاسيس التي تنبض بها نفسه فيقول : (٢)

تذكر من عاداته ما تذكر	وأعول أيام الشباب فأكثر
وما برحت عاداته مستقرة	ولكن أجل الشيب عنها وقر
يهم ويستحي تقارب خطوه	فتركهم النفس في الصدر مضمر
ولم يبق فيه إذ تأمل شخصه	شفيع إلى الحساء إلا تنكرا
إلا لا أرى في العيش للمرء متعة	إذا ما شباب المرء ولي وأدبر

والنتيجة التي يخرج بها من هذه التجربة والتي يضمنها البيت الأخير قد تبدو بسيطة في فكرتها ، ولكن الحيوية المتدفقة في معاني الأبيات والمشاعر النابعة من أعماق نفسه ، تضفي على تجربته صمراً ، وتلبس نتيجتها ثوب الصديق وتجعل لها قيمة فنية كبيرة ؟

(١) أغاني ، ج ٧ ص ٢٢٣ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ٢ .

وتتمثل التجربة الحية في مرأى الحسين كذلك أصدق تمثيل ، وأغلب مراثيه كما رأينا كانت في الأمين الذى وجد الحسين في منامته ظلا ظليلا من نعيم الحياة ورغد العيش ، فاستقرت نفسه في صحبته واطمأن قلبه بعد تعب الكفاح ، فكان قتله بالنسبة إليه بلاء شديدا وفاجعة مدمرة ، إذ تحطمت كل آماله ، وفقد ولى نعمته ، وسدت أمامه السبل . وكان وقع المصيبة على نفسه قاسيا ، حتى قيل أنه خولط في عقله . هذه التجربة التى تعرض لها الحسين وعانى آلامها كأشد ما تكون المعاناة نجد تسجيلها في مراثيه بصورة ناطقة بالصدق في كل خلجاتها وانفعالاتها . معبرة عن حزن عميق بالغ الأثر ، كما في قوله^(١) :

الله يعلم أن لى كبــــــــــــيدا	حرى عليك ومقامة تــــــــــــكف
ولئن شجيت بما رزيت به	إنى لأضمر فوق ما أصف
قد كنت لى أملا غيت به	فضى وحسل محله الأسف

وكما في قوله^(٢) :

إذا ذكر الأمين نعى الأمينا	وإن رقد الخلى حى الجفونا
وما يرحل منازل بين بصرى	وكلواذى نهج لى شجوننا
فوا أسفا وإن شئت الأعادى	وآه على أمير المؤمنيننا

وتسرى نغمة الحزن في كل بيت وفي كل كلمة من هذه المراثى فتجعلنا نشعر بشعوره وتناثر لآلامه ، ونحس أننا أمام تجربة حية لحزن حقيقى لا تصنع فيه ولا رياء .

ولم يكن تعريضه بالأمون ووجه جاوله في هذه المراثى إلا نتيجة لهذه الثورة النفسية التى فجرتها أحزانه لقتل الأمين . لذلك نراه يربط بين الأمرين من هجاء ورناء كما في قوله^(٣) :

أطل حزنا وابك الإمام محمدا	بحزن وإن خفت الحسام المهندا
----------------------------	-----------------------------

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٩٤١ . (٢) نفسه ج ٣ ص ٩٤٢ .

(٣) أدبى الدار ج ٧ ص ١٥٠

فلا تمت الأشياء بعد محمد ولا زال شمل الملاك فيها مبدا
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريقا مشردا
فهذه الأشياء مع دلالتها على وفائه العظيم وشجاعته الحققة من الناحية
الأخلاقية ، تدل كذلك على شعور صادق وتجربة حية من الناحية الفنية .

ولما اطرحة المأمون وجفاه ، وحرمه من حضور مجالسه عقوبة له على
ما فرط منه كان ذلك بمثابة الحكم عليه بالموت الأدبي ، وأصبح يعاني آلام
الحرمان ويعيش في تجربة قاسية من الفاقة والهوان ، لا يجد من الناس يدا
حانية أو قلبا شفوفا ، فكلهم يتجنبونه حرصا على أنفسهم . فشعر بوحدة
قاتلة وأحس غربته ذليلة ، وعبر عن ذلك في قوله ^(١) :

كم لك لما احتمل القطسين	من زفرة يبعها الأنسين
وعبرة تحسرها الشئون	إلى بيغــــــــــــداد استكين
حظ الغريب الشوق والشجون	يا لأمي لكل يوم هون
إليك عني إنني مفتــــــــــــون	الشعر في كاسد ودون
وحان من تحريكه تسكين	قد ركبت أربابها الديسون
بضاعة أكسدها المأمون	إمام عدل لتقى أميين

إنه يعبر عن تجربة حية عاشها بكل كيانه ، وعانى من آثارها معاناة
شديدة ، فانعكست صورها وآثارها واضحة جلية في قوله ، نحس فيها زفرات
أنيته ، وآهات أشجانه ، وعبرات هوانه ، وذل استكانته ، ووحشة غربته ،
وكساد بضاعته ، وعسر فاقتة ، فكل عناصر الحيوية مكتملة في التجربة ،
كما يجعل لها قيمة فنية رفيعة .

ونحس وقع هذه الآلام وقسوتها على نفسه في مطلع قصيدته التي قالها في
استرضاء المأمون وملحه إذ يقول ^(٢) :

أجرني فإني قد ظمئت إلى الوعد	متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
أعنيك من خلف الملوكة وقد ترى	تقطع أنفاسي عليك من الوجد

فهو ظائف إلى وعد المأمون بأن يعفو عنه ، بل هو متعجل متلوف . يريد إنجازها ، حتى يجبره مما هو فيه من إذلال ، ويقلبه مما يعانيه من قسوة الوحدة ، وعذاب الحرمان والإبعاد ، ونرى تقطع أنفاسه جريا وراء هذا الأمل . فهو يعطينا في تعبيره صورة صادقة للتجربة التي يعانيها .

ولا تقتصر التجربة الحية على شعره الذي يعبر فيه عن نفسه فحسب ، أو يذكر ما حدث له وما عاناه ، ولكنها تتمثل كذلك في شعره الذي يعبر فيه عن غيره أو يصور الحوادث التي تجري من حوله كحوادث بغداد وقت الحرب بين الأمين وجيوش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين . فيصور أحوال الحرب وما تسببه من خراب ودمار ، ويشجع الأمين بعد انتصار أتباعه في إحدى هذه المعارك ويؤمله في النصر والغلبة . ونذكر مثلا من ذلك قوله حين قطع خزيمة بن خازم جسر دجلة بعد أن أخذ الأمان للناس من طاهر ، فحفظ بذلك الأرواح من الموت والبيوت من الهدم وحى أهل بغداد من بلاء الحرب . فقال الحسين في ذلك ^(١) :

علينا جميعا من خزيمة منّة	بها أحد الرحمن ناثرة الحرب
تولى أمور المسلمين بنفسه	فدب وحامى عنهم أشرف اللب
ولولا أبو العباس ما انفك دهرنا	بيت على عتب ويغلو على عتب
خزيمة لم ينكر له مثل هذه	إذا اضطربت شرق البلاد مع الغرب
أناخ بجسرى دجلة القطع والقنا	شوارع والأرواح في راحة العضب
وأم المنايا بالمنايا مجلبة	تفجع في خطب وتضحك عن خطب
فكانت كنار باكرتها سحابة	فأطقات اللهب الملقف باللهب
وما قتل نفس في نفوس كثيرة؟	إذا صارت الدنيا إلى الأمن والخصب

فهو يعطينا صورة واضحة لتجربة حية من واقع الحوادث التي اضطربت بها بغداد في هذه الحقبة الشديدة ، إذ رأى فيما فعله خزيمة إنقاذا للناس من شرها وإخادا لثائرة الحرب ، وهو عمل عظيم يستحق الشكر بل يستحق أن يسجل

فى الشعر وفى التاريخ . ولعل الذى دفع الحسين إلى تسجيلها هو مشاركته فيها وإحساسه بالواقع الذى كان يعيش فيه الناس ويعانون من أهواله وفظائمه فقد عاش التجربة مثلهم وترجم عنها كفرد منهم ، ومن هنا جاءت حيويتها واكتملت عناصرها .

وفى مديحه للمعتصم يعبر عن شدة لطفته إليه وشوقه إلى لقائه وملحه بعد أن عانى كثيراً من الحرمان والخوف فى أيام المأمون . فهو يكاد ييكنى من شدة فرحته لمودته إلى مكانه فى قصر الخليفة بمدحه ويناديه ، وينعم فى ظله ، هذه المشاعر والانفعالات النفسية تظهر بوضوح فى قوله :

هلا رحمت تلدد المشتاق	ومنت قبل فراقه بتلاق
إن الرقيب ليسترب تنفسي الصـ	حسدا إليك وظاهر الإقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة	عبرى عليك سخينة الآماق
نفسى القضاء لخائف مترقب	جعل الوداع إشارة بمنـاق
إذ لا جواب لمفحم متحيسر	إلا اللعوم تصان بالإطراق

وينتقل إلى المدح فهبته بالخلافة التى وافته خالصة من كل شقاق أو خلاف كما حدث فى خلافة الأمين والمأمون ، فقد سكن الناس إليه وأسلموا أمرهم واثقين به مطيعين له :

خير الوفود مبشر بخلافة	خصت بهجتها أبا إسحاق
وافته فى الشهر الحرام سايمة	من كل مشكلة وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعة	قبل الأكف بأوكد الميثاق
سكن الأنام إلى إمام سلامة	عف الضمير مهلب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونها	وأجار مملقها من الإملاق

فراه يعبر عن تجربة حية فى مديحه . ونحس صدق مشاعره تجاه ممدوحه حتى أن المعتصم قال له بعد أن انتهى من إنشاده : أنت تعلم يا حسين أن هذا أكثر ما مدحنى به مادم فى دولتنا ، وأجازه على مدحه إجازة طيبة كما عرفنا .

وحين يمدح الواثق ويذكر صيده بالقاطول ومجلس الطرب والغناء الذي عقله بعد الصيد ، فإنما يترجم عن تجربة حية عاش فيها مع الواثق وحاشيته واستمتع معهم بالصيد واللهو ، وهنا واضح في قوله ^(١) :

سقى الله بالقاطول مسرح طرفكا	وخص بسقياء مناكب قصركا
تحن للدراج في جنباثه	ولفر آجال قدرن بكفكا
حنوا إذا وجهن قواضبا	عجلا إذا أغريهن بزجركا
أبحت حماما مصعدا ومصوبا	وما رمت في حاليك مجلس هواكا
تصرف فيه بين ناي ومسمع	ومشولة من كف ظبي لسقيكا
قضيت لبانات وأنت مخيم	مربع وإنشأت مسافة عزمكا
وما نال طيب العيش إلا مودع	وما طاب عيش نال مجهود كدكا

واستطرد في مدح الواثق حتى انتهى إلى قوله :

إذا كنت من جلواك في كل نعمــــــــــــــــة

فلا كنت إن لم أفن عمري بشكر كـــــــــــــــــما

فهو في وصف الصيد أو المدح يصدر عن شعوره صادق ، ويعبر عن الواقع الذي حدثت فيه تجربته ، ولهذا كان أشعره وأعم حزن في نفس الواثق فطرب له ، وضرب الأرض بمخصرة كانت في يده وقال : لله درك يا حسن في نفس الواثق فطرب له ، وضرب الأرض بمخصرة كانت في يده وقال : لله درك يا حسين ما أقرب قلبك من لسانيك ^(٢) ، وهذه شهادة لها قيمتها من الناحية الفنية إذ تدل على صدقه الفني الذي ينبع من تجربة حية وجاء ترجمة لشاعره وأحاسيسه في قوة وإبداع .

وإذا راجعنا شعره في الاعتذار أو الاستمتاع وجدنا تجربة الحية متمثلة كذلك تمثلا قويا لا يقل عن تمثيلها في الأغراض الأخرى . ونكتفي بهذه الإشارة تجنباً للتكرار والإطالة . وفيما ذكرناه من شواهد دليل كاف على تميز شعره بهذه الخاصة الفنية التي ترفع من شأنه وتسمو بقيمته الأدبية بين أشعار الشعراء .

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٨ - ١٥٩ . (٢) ناس المصدر والمصنعة .

٢ — وحدة القصيدة :

يختلف مفهوم الوحدة في القصيدة العربية بين النقاد قديما وحديثا ، فالقدماء يجيزون تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة ، ولا يشترطون لهذه الوحدة إلا حسن التنسيق والربط بين أجزاء القصيدة ، كما نرى عند ابن طباطبا العلوى إذ يقول : « فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه صلة لطيفة فيتخلص من الغزل إلى المديح ، ومن المديح إلى الشكوى ومن الشكوى إلى الاستراحة ، ومن وصف الديار والآثار إلى وصف القياقي والنوق ، ومن وصف الرعود والبروق إلى وصف الرياض والرواد ، ومن وصف الظلمان والأعيار إلى وصف الخيل والأسلحة ومن وصف المفاوز والقيافي إلى وصف الطرد والصيد . . . بالطف تخلص وأحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلا به ومتممجا معه »^(١) ، ويقول في موضع آخر مؤكدا رأيه : « وأحسن الشعر ما ينظم القول فيه انتظاما ينسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله ، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب إذا نقص تأليفها ، فإن الشعر إذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها وكلمات الحكمة المستقلة بناتها والأمثال السائرة الموسومة باختصارها لم يحسن نظمها ، بل يجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها ، نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معان ، وصواب تأليف ، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعانى خروجا لطيفا على ما شرطناه . . . حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفرغا لا تناقض في معانيها ولا عى في مبانيها ولا تكلف في نسجها »^(٢).

وقريب من هذا رأى ما يذكره الحصرى القيروانى عن الحاتمى إذ يقول : « مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ففى انفصل واحد عن الآخر وبأية : فى صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتعنى

معامله ، وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال احتراسا يجنبهم شوائب نقصان ، ويقف بهم على محجة الإحسان ، حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال ، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها وانتظام نسبيها بمدحها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة لا يفصل جزء منها عن جزء . وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم واعتمادهم البديع وأفانيته وأشعاره وكأنه مذهب سهلوا حزنه ونهجوا دارسه^(١)

أما النقاد المحدثون فلا يرون تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة ، بل بشرطون وحدة الموضوع أولا ثم تناسق الأبيات وترباطها ثانيا ، كما يقول العقاد : « إن القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل المثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللعن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أدخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته^(٢) » . ويزيد أستاذنا الدكتور شوقي ضيف هذا الرأي توضيحا فيقول : « يقصد النقاد بالوحدة العضوية للقصيدة أن تكون بنية حية تامة الخلق والتكوين ، فليست القصيدة ذريبا من المهارة في صياغة أبيات من الشعر ، وإنما هي بناء بكل ما تحمله كلمة بناء من معنى ، لأنها عمل تام ينقسم إلى وحدات تسمى أبياتا ، ولكن كل بيت خاضع لما قبله ، لا يحجزه عنه خنادق ولا ممرات فهو خيط في النسيج ، يدخل في تكوينه ، ويساعد على تشكيله . ليست القصيدة خواطر مبعثرة تتجمع في إطار موسيقي ، وإنما هي بنية نابضة بالحياة ، بنية تتجمع فيها إحساسات الشاعر وذكرياته لتكون مزيجا لم يسبق إليه من الفكر والشعور . وهو مزيج مركب من حقائق كثيرة وجدانية وعقلية . ومهما تكن الحقائق التي تكونه ، فإنها لا تتباين ، بل تتألف وتتحد في تيار مغناطيسى يجذبها بعضها إلى بعض . إن القصيدة ..

مجموعة من عناصر مترابطة متداخلة، تصوغها بصيرة الشاعر، لتصور خبرته ومعرفته إزاء حدث نفسي أو كوني أو يومي ، حدث لا تزال نفسه تنفعل به ، وتهتز إزاءه في خطوط واتجاهات مختلفة ، حتى تندفق عليه الإحساسات وقد أخذ بعضها برقاب بعض ، إحساسات تصور صلة الشاعر بالحدث في حقيقته الجزئية ، وصلته به من خلال حقائق الكون الشاملة وبذلك تصبح القصيدة عملا شعريا تاما » (١) .

بعد هذا الشرح الواضح لمفهوم الوحدة في القصيدة العربية بين القديم والحديث وما بينهما من خلاف في ناحية الموضوع كما رأينا، نحاول تطبيق هذا المفهوم بصورته الحديثة على شعر الحسين ، وإن كان ذلك سيجعلنا نتخلى عن بعض قصائده في المديح لاتفاقها مع المفهوم القديم . أما شعره في غير ذلك ؛ فنظهر فيه الوحدة الفنية بقوة ، وتماسك أبيات القصيدة الواحدة تماسكا تاما لا يدخله خلل أو اضطراب، والشواهد على ذلك كثيرة نكتفي بذكر بعضها لإثبات هذه الحقيقة أو هذه الميزة الفنية لشعر الحسين . فن ذلك قصيدته في الغزل (٢) :

أى دياجة حـــــــسن	هيجت لوعة حـــــــسن
إذ رماني القمر الـــــــزا	هــــر عن فترة جفـــــــن
بأبي شمس نهـــــــار	برزت في يوم دجـــــــن
فــــربني بالـــــــنى حــــتى	إذا مــــا أخافتـــــــنى
مــــا أرانى لى من الـــــــم	سوة إلا حسن ظـــــــنى
تركنى بين ميمـــــــا	د و خاف ونجـــــــنى
إنمــــا دامت على القـــــــد	رلمـــــــا تعرف مـــــــنى
أستعذ الله من إعـــــــد	راض من أعرض عـــــــنى

(١) في النقد الأدبي ص ١٥٢ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٢ .

فأبيات هذه القصيدة مترابطة ترابطا قويا ، منسقة تنسيقا بديعا ، تتألف فيها المعاني والأحاسيس ويسلم البيت الأول إلى الثاني ، والثاني إلى الثالث ، وهكذا ، بحيث لا نستطيع أن نبذل بيتا بيت آخر ، أو نغاير في ترتيبها فنضع هنا مكان ذلك ، فأى محاولة من هذا النوع تخل بوحدة القصيدة ، وتذهب بحال تنسيقها ونظامها ، فالشاعر يبدوها شاكيا من لوعة الحزن التي سببها له الحال الباهر والحسن الرائع ، وكأنه يريد أن يشد إلتبائها ويستثير عواطفنا لمعاناته من تأثير الحال ولا يتركنا في حيرة وتساؤل ، بل يفصل لنا عناصر تجربته ، فقد رأى فانتته التي تشبه القمر الزاهر ، فسبته عيونها ورماء قنور نظراتها بسهم الهوى ، بل إنها تشبه الشمس المنيرة حين تبرز في يوم دجن كثير المطر مطبق الغيوم فتكون أكثر جمالا وأقرب إلى نفوس الناس ، إذ يشتد شغفهم بنورها ويزداد إحساسهم بجمالها ، وبعد أن يصف جمال محبوبته بهذه المعاني في بيتين يتدرج إلى ترجمة تجربته النفسية معها ، إنها قربته بالمنى وجعلته يتعلق بالأمل في وصلها ، ثم أخلفت ظنه وبددت أمله وتركته حائرا بين انتظار مياعدها وبين إخلافها وعددها وتجنيتها عليه . ثم يستنتج من ذلك أنه لم يبل شيئا من هذا الهوى إلا ما بقى عالقا في قلبه من ميل إليها وحسن ظن بها . وأنها لم تدوم على غلدها به إلا لما تعرفه من غراهه الشديد بها ، وتلهفه البالغ عليها . ثم ينهى قصيدته باستعاذته من إغراضها عنه . وهكذا نرى تداعى المعاني وتتابعها في نسق جميل ، وتداخل المشاعر والأحاسيس بعضها مع بعض في تألف وترباط ، فلا تتافر بينها ولا خلخلة في نظامها ، تجمعها تجربة واحدة وموضوع واحد ، وبهذا اكتملت لها كل عناصر الوحدة الفنية .

ولا نقول إن الوحدة الفنية تتمثل في قصائده القصيرة كذلك القصيدة التي عرضناها أوفى مقطوعاته ، إذ تكون قلة عدد أبياتها عاملا مساعدا على تحقيق هذه الوحدة ، ولكننا نرى هذه الوحدة متمثلة في قصائده الطويلة كذلك ، وبصورة لا تقل دقة وحسن تنسيق عنها في القصيدة . ومن أقوى الشواهد على ذلك قصيدته الحمزية في الخمر التي سبق أن عرضناها بالتفصيل والتحليل ، فأبياتها أربعون تلور حول موضوع واحد وهو الخمر ، وتتابع في نظام

بديع وتناسق جميل ، إذ يتناول حياة الخمر من بدئها بغرس كرمها وتعهدها
بالعناية حتى تنمو وترعرع وتثمر عنها ، ثم يجمع في دلالة الكبيرة وتجري
عليه عملية التخمير ، ثم يؤخذ الخمر الناتج فيخزن بعيدا عن الشمس مدة
طويلة ليتم تعتيقها — وبعد ذلك تقدم لشاربيها وقد اكتملت لها كل صفات
الجودة التي يعددها ويبدع في تنسيقها ، وينتهي بذكر حبه لها وإدمانه عليها
وتفضيله للحياة الالهية في ظلها . وهكذا تتسلسل المعاني والصور وكأنه يحكي
قصة طريفة ، وهو في الواقع يحكي قصة حياة الخمر ، فعناصر الوحدة
الفنية مكتملة في تلك القصيدة ^(١) ويمكن التحقق من ذلك بمراجعتها في الفصل
السابق ، إذ لا مجال لإعادة كتابتها تجنباً للتكرار والإطالة .

ونذكر قصيدة أخرى من قصائده الطويلة للتأكد من وجود الوحدة
الفنية وتمثلها في شعره . وهي قصيدة يضمها ذكرياته مع « يسر » ذلك الغلام
الذي كان يتعشقه ، كما يذكر أياما مضت له بالبهرة حسبا يقول راويها ،
وفيها يقول ^(٢) :

تيسرى لنام من أمم	ولا تراعى همامة الحرم
قد غاب — لأب — من يراقبنا	ونام — لأقام — ساهر الخدم
فاستصحبني مُسعداً يفأوضنا	إذا خاونا في كل مكتم
تبلى بذلة تقربها إلـ	عين ولا تحصرى وتحتشمي
ليت نجوم السماء راكدة	على دجى ليلنا فلم تـسـرـم
ما لسرورى بالشك ممتزجا	حتى كأنى أراه في حلم
فروحت حتى استخفى فرحى	وشببت عين اليقين بالهم
أمسح عيني مستتبنا نظرى	إنخالى نائما ولم أنـم

(١) انظر القصيدة في مقدمة ديوان أبي نواس رواية حنزة الأصمهاش ص ١٩ ط أصاف

و تناورات البارودي ج ٤ ص ٨٢ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ٢١٨ — ٢١٩ .

سقىا الليل أفنيت مدنته يبارد الريق طيب التسم
أبيض مرتجة روادفسه ما عيب من قرنه إلى القدم
إذ قصبات العريش تجمعنا حتى تجلت أواخر الظلم
وليلة بنا محسنة محفوفة بالظنون والهم
أبت عبراته على غصص يرد أنفاسه إلى الكظم
سقىا لقيطونها ومخدعها كم من به ليل ومن لسم
لا أكفر السليحين أزمنة مطبوعة بالنعم والتعم
وليلة القفص إن سألت بها كانت شفاء لعة القم
بات أنيس صريع خروته وتلك إحدى مصارع الكرم
وبت عن موعد سبقت به أثم درا مقلجا بفسم
وا بأني من بنا بروعة لا وعاد من بعدها إلى نعم
أباحني نفسه ووسلني ينمي يديه وبات ملتزمي
حتى إذا احتاجت النواقص في سحرة أحوى أحمر كالحمم
وقلت هيا يا صاحبي ونب هت أبانا فهب كالزلسم
فاستنها كالشهاب ضاحكة عن يارق في الإناء مبسم
صفراء زينة موشحة بأرجوان ملمع ضرم
أخذت ريحانة أراح لها دب سرورى بها ديب دمي
فراجع العنبر إن بنا لك في العنبر وإن عدت لأنما فلم

فالقصيد مع جمعها لذكريات متباعدة وتجارب عديدة لم تفقد وحدتها
لأن هذه الذكريات والتجارب من اون واحد هو المحزون ، فعانها متجانسة
وخواطرها متألفة يبدوها بمخاطبة معشوقه الذى يرمز إليه بحمامة الحرم ،
فيطمئنه ويذهب الروع عن نفسه ويشجعه على الإكثار من زيارته ، ما دام
الأمان والكتمان موفورين ، فالرقيب غائب والخدم تأنمون وقد خلا المكان لهما

تماما فلا مانع من أن يتبدل معشوقه كما يجاوله ، وأن يجتنب الاحتشام والحياء ،
وينتقل من ذلك إلى التعبير عن فرحه وسروره ، فيتمنى أن يقف الزمان عند
هذه اللحظات الممتعة ، وألا ترح نجوم المساء مكانها ، وهو لشدة سروره
لا يكاد يصدق أنه في حقيقة واقعة ، بل يشك في أمره نفسه ويحسب أنه
في حلم جميل لا يقين معه ، ويدلل على هذا الشك بأنه أخذ يسمح عينيه ليتحقق
بما يراه ، وليتأكد أنه صاح وليس نائما ، وينتقل من ذلك إلى مدح ليله الجميل
هذا الذي أنفاه في متعة مع معشوقه ، الذي يصفه بأنه بارد الريق طيب النسم ،
وأنه أبيض اللون ممتلئ الأرداف لا عيب فيه من رأسه إلى قدمه ، وقد ظل معه
حتى آخر الليل لا هيا مستمتعا ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن ذكرى ليلة
أخرى يقول إنها كانت محفوفة بالظنون والهم لما كان فيها من مجون وهو ، بل
يصفها بأنها كانت عسدة لما استمتع به فيها من تلك الملهيات ، وأن معشوقه
كان في غيظ وحق شديد منه ، حتى أنه ليبكى وتلاحق أنفاسه مما يعانيه ،
وبمدح البيت والمخدع الذي تمت به المتعة وارتكب فيه الإثم ، وإنه ليدكر
بالخسر تلك الأوقات الممتعة التي قضها في السيلحين قرب الحبرة
والتي نعم فيها بكل ما أمكنه من ألوان النعيم . ثم ينتقل إلى ذكرى ليلة أخرى
من لياليه المأجنة كذلك هي ليلة القفص ، التي يصفها بأنها كانت شفاء له مما
يعانيه من سقم الموى والحرمان ، إذ بات فيها مع أنيسه ومعشوقه الذي
أسكرته الخمر سكرًا شديدا وهذا من حسناتها التي يحمدها لها ، لأنها تسهل
له أن ينال من معشوقه ما يريد وتجعله يلين له ويستجيب لرغباته بعد أن كان
متنعما عليه ، وظل في متعته ولهوه حتى جاء وقت السحر ودقت النواقيس
كأنها محمومة ، فتأدى صاحبيه ليقوما من نومهما ونبه ساقيه « أبانا » فهب
من نومه كالسهم ، وصب له كئوسا من الخمر التي بدت في إنائها لامة
مضينة كالشهاب ، بل إنها لتبدو في نظره ضاحكة مبتسمة ، وهي صفراء
في لون الزيت توشحها حمرة كالأرجوان ، فشرب منها مستمتعا ببلتها ، وشعر
بسروره يدب في نفسه ، ويسرى في جسده كسريان دمه . وأخيرا ينهى
قصيدته طالبا أن تلتبس له العنبر فيما فعل إذا كان للعنبر مكان :

وإذا لم يقبل له علم فليوجه إليه اللوم ، فإنه لا يهتم لذلك وليلم من أراد أن يalom .

من ذلك نرى أن القصيدة مترابطة المعاني بمجموع واحد ، فهي تدور حول ذكريات ليا لاله الماجة وتجاربه فيها ، وفي انتقال الشاعر من تجربة إلى أخرى نكاد نحس ببعض الخلل في وحدة القصيدة ، ولكن هذا الإحساس يزول حين نجد في التجربة التالية من المعاني والخواطر ما يشابه تلك التي قرأناها في السابقة ، ونشعر بالتجانس والتآلف بينها جميعا ويشند الترابط بين الأبيات في كل تجربة ، إذ تتوالى معانيها وأحداثها في تناسق وترتيب يزيد من قوة الوحدة الفنية فيها ويحفظ سلامة بنائها من الخلل .

وهذه القصيدة هي أطول ما وصل إلينا من قصائد الحسين في المحجون ، وقد عرفنا أن سبب طولها هو أنه ضمنها ذكرياته أو بعض ذكرياته الماجة ، والغالب على قصائده في المحجون والغزل والخمر أن تكون قصيرة ، فلا يتعدى عدد أبياتها أربعة عشر أو خمسة عشر بيتا على الأكثر ، وهو في كل قصيدة منها يترجم عن إحدى تجاربه ، كما رأينا في قصيدته الغزلية التي عرضناها أولا وأبياتها ثمانية ، ولكي نؤكد هذه الحقيقة نعرض قصيدة أخرى تزيد أبياتها على هذه الأولى بخمسة أبيات وفيها يعاتب معشوقه يسرا على صده له ، ويذكر بأيام الوصال الجميلة فيقول ^(١) :

أيا التفات في العقسد	أنا مطوى على الكسد
إنما زخرفت لي خُطعا	قلحت في الروح والجسد
هات يا خُداع واحدة	من كثير قلته وقسدى
ليت شعري بعد حلفك لي	بوفاء العهد بعد غد
ما الذى بالله صيرَه	بعد قرب في مدى الأبد
ما لأنسى كان مبتذلا	منك لي بالأمس لم يعد
إيه قل لي غير محشم	هل دهاني فيك من أحد ؟

حبذا - والكأس دائرة - لهونا والصيد بالطرد
وحديث في القلوب له أخذ يصعدن في الكبد
يوم تعطى وتأخذها دون ندماني يبدأ يبد
فإذا ألويت هيج - - - تلح من ظيعة البلد
وإذا أصغيت ذكرنسى نشر كافور على برد
ذاك يوم كان حاسدا فيه معلورا على الحسد

فهو يقارن بين حاله مع معشوقه حال الصدد والحفاء الذى يعانى منه ،
وحال الأنس والوصال الذى استمتع به معه من قبل ، ويتعجب من تحول
معشوقه عن حاله الأولى بأنسا إلى حاله الثانية بجفائها، وهو يبدأ بوصف
ما يعانى منه عذاب وكبد، وما يسببه له خداعه من الآن تفوح نارها فى روحه
وجسده، ويتمنى لو أن معشوقه يصلقه مرة واحدة من هذه المرات التى يخذعه
فيها، أو أن يوفى بعهده ويحلفه له على لقائه. هذه الانفعالات والحواطر يعبر عنها
فى الأبيات الأربعة، ثم ينتقل إلى التعبير عن عجبه ودهشته للتغير الذى طرأ
على معشوقه فى الأبيات الثلاثة التالية، ويتساءل عن السبب الذى جعله يتباعد
عنه بعد أن كان قريبا منه . وعن أنسه الذى كان مبتدلا منه بالأمس ، لماذا
قطعه عنه ؟ فهل يا ترى هناك أحد دخل بينهما بالوشاية والوقية حتى جعله
هكذا مخادعا متجافيا ؟ بعد ذلك ينتقل إلى استعادة ذكرى أيام الوصال
الجميلة ، فيترجم عنها فى ستة أبيات محاولا إغراءه بالعودة إلى مثل هذه
الأيام التى تتمتع فيها باللهو والصيد والشراب والموانسة والأحاديث الحلو
التي تأخذ بالقلوب وتفتن الألباب، وتعاطيهما كنوس الخمر فى المجلس وفى
ود وألفة دون غيرهما من الندمان ، اذ يميل عليه معشوقه كالظبي فى رشاقته
ويفوح منه عير طيب الرائحة، فيثيره ويجذبه إليه . وإن الحسود لمعلور على
حسده لهما وهما فى هذه الحال من السرور والاستمتاع .

ونرى أن الشاعر يوازن بين عناصر القصيدة موازنة عادلة فيعطى كل
عنصر ما يناسبه من قوة الانفعال والدفع الشعورى فلا يطنى اهتمامه أو إحساسه

بمعصر على الآخر ، كما يربط بينها ربطا قويا محكما وينسق معانيه وخواطره وأحاسيسه تنسيقا بديعا لا خلل فيه ، فلا نستطيع تقديم عنصر على آخر ولا أن نضع بيتا مكان غيره ، وإلا اضطربت وحدة القصيدة واختل ترتيبها وفقدت مبرتها الفنية الأساسية ، أو على أقل تقدير إننا لو حاولنا إجراء بعض التبديل بين الأبيات ، فلن نصل إلى مثل ما وصل إليه الشاعر من حسن التنسيق وجمال العرض وقوة الربط .

وقصائد الحسين التي عرضناها كشواهد على الوحدة الفنية ، هي من شعره في الغزل والمجون والخمر ، ولعل ذلك لأن معظم شعره الذي وصل إلينا يمثل هذه الأغراض ، كما أن الوحدة الفنية تتمثل في هذا الجانب من شعره بصورة أقوى وأوضح من تمثلها في الجوانب الأخرى . وليس معنى ذلك أن شعره في الأغراض الأخرى يفترق إلى الوحدة الفنية أو يفترقها ، لأننا نجد هذه الوحدة متمثلة كذلك في شعره في الرثاء والاعتذار والاستمناح والمجاء . وإن كنا لا نجدها بمفهومها الحديث في شعره في المديح ، لأن قصيدة المديح سارت على تقليدها القديم المعروف في الشعر العربي ، والذي اعتبره النقاد القداى غير نخل بوحدة القصيدة ما دام الشاعر يحسن الربط والانتقال بين أغراضها المتعددة كما رأينا . فإذا أخذنا بالمفهوم القديم بالنسبة لشعر المديح أمكننا أن نعتبر قصائده فيه ذات وحدة تربط بين أجزائها ، وتجمع أبياتها في ترتيب منسق .

ولطبيعة الموضوع أو التجربة التي تدور حولها القصيدة أثرها في وحدتها ، فقصائده في الرثاء تختلف طبيعة الوحدة فيها عنها في المجون ، لأنه في المجون يعتمد كثيرا إلى ذكر الحدث أو رواية التجربة التي مر بها وتتبع تفصيلاتها ، وهذا من شأنه أن يجعل توالى الأبيات وتداعى المعاني مسائرا لتفصيلات الحدث مطابقا لمنطق التجربة ، فيأتى تنسيقها حسنا بديعا ، ويكون ترتيب أبياتها منتظما دقيقا ، بحيث يصعب تقديم بيت أو تأخيرها عن مكانه الذي

وضع فيه . وبذلك تكون وحدتها الفنية مكتملة العناصر تامة التكوين على أفضل صورة يمكن تحقيقها . أما في الرثاء فالشاعر يعتمد إلى تسجيل خواطره الحزينة وآلامه النفسية ، وانفعالاته المتأججة التي أثارها في نفسه موت من يرثيه ، ومع وجود الحدث الذي يثير في النفس كل هذه المشاعر ، فإن الشاعر لا يجعل منه أساسا يبنى عليه قصيدته ، وإن كان يذكره فيها ذكرا مجملا ، فاهتمامه الأول هو في الآثار التي سببها الحدث في نفسه وفي نفوس الآخرين ، هذا هو مانحله في مرأى الحسين للأمين . ومن شأن هذه الانفعالات الحزينة أن تتشابه معانيها وتتقارب لإرهاصاتها ، وتتداخل صورها ؛ وذلك يجعل ترتيب أبياتها غير نهائي أو جازم ، فيمكن تغييرها أو تبديلها دون أن تختل بوحدة القصيدة ، من ذلك مثلا أنه يمكن تغيير مكان البيت الخامس عشر في قصيدته الفاتية . والذي يقول فيه ^(١) :

هيهات بعدك أن يلوم لنا عز وأن يبق لنا شرف
هذا البيت يمكن وضعه بعد البيت الرابع الذي يقول فيه ^(٢) :

هلا بقيت لسد فافتنا أبدا وكان لغرك التلف

وكذلك البيت العشرون الذي يقول فيه ^(٣) :

قد كنت لي أملا غنيت به ففضى وحل عليه الأسف

يمكن وضعه قبل البيت الرابع الذي ذكرناه ، ودون أن يحدث أى تغيير من ذلك شيئا من الخلل أو الاضطراب في ترتيب أبياتها أنوليس معنى ذلك أن الوحدة مفقودة في القصيدة ، بل لأنها موجودة ومكتملة العناصر ومتجانسة الأفكار والمشاعر ، ولكن طبيعة الموضوع هي التي تسمح بالتغيير ولا تحول دونه ، ويؤيد هذا الرأي مايقوله الدكتور غنيمى هلال إن القصيدة يمكن أن تتغير . وواضح الأبيات فيها مكان الأخرى ، فلو فعلنا ذلك لم تختل وحدة القصيدة ، ولأحدثت القصيدة نفس الأثر ، وهذا ما يسلم .

به دعاة الوحدة أنفسهم^(١) ، وهو يطبق قوله لهذا على قصيدة للعقاد الذي يعتبر من دعاة الوحدة البارزين .

ولا حاجة بنا إلى ذكر شواهد أخرى من قصائده في الرثاء أو غيره من الأغراض لإثبات الوحدة فيها ، فيكفي مراجعتها إذا أردنا أن نتحقق من ذلك . والذي لا شك فيه أن وحدة القصيدة من المميزات الفنية الهامة التي تميز بها شعر الحسين كما رأينا ، وأنها تمثلت في معظم شعره تمثلا يتفق مع مفهومها الحديث .

٣ — انتمتع في المعاني والأخيلة :

كان للثقافة الأجنبية التي تتصف بها شعراء العصر العباسي من يونانية وفارسية وهندية أثرها الواضح في عقولهم وأذهانهم ، وكانت الثقافة اليونانية أقوىها تأثيرا ، لأنها اقتصرت على فلسفتهم دون غيرها من علومهم وآدابهم ، وكانت نتيجة هذا التأثير أن صبغت عقلية الفنانين من الأدباء والشعراء بأصباغ خاصة من 'العمق' والدقة والتحليل وطرافة التقسيم والبعد في التفكير والخيال ، وظهرت هذه الصفات الجديدة في شعر الحسين كما ظهرت في أشعار غيره ، حتى إنها تعد من المميزات الفنية الهامة التي تميز بها شعره .

وإذا تناولنا شعره بالبحث والتحليل وجدنا هذه الظاهرة أو هذه الميزة تنبئ عن نفسها في كثير من قصائده ومقطوعاته ، ونذكر منها الشواهد والأمثلة التي تكني لإثباتها وتدل عليها : من ذلك قوله في الغزل^(٢) :

صل بخدي خديك تلق عجبيا من معان يحار فيها الضمير
فيخديك للربيع رياض وبخدي للدموع غدير

فراه يرسم صورة رائعة وينسق خطوطها في براعة ودقة ، تجمع بين عمق المعنى وبعد الخيال وحنن التقسيم ، إذ يقابل بين صورتين فئيتين ،

(١) انظر المدخل إلى النقد الأدبي ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٢) انظر شفرات الذهب ج ٢ ص ١٢٤ ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٩٢ .

إحداها صورة خلعشوقه، الذى يرى فى جماله ونضارته جبال الربيع برياضه
الزهره وأزهاره المتفتحة ، وما إلى ذلك من ألوان الجمال التى تنضافر
فى خيالنا ، والى توحى بها عبارته المطلقة دون تحديد ، فهو يحس بشاعريته
المرهفة ما يوحىه إطلاقها من رؤية جميلة ، وصورة رائعة يطبعها الربيع على
صفحة الكون . أما الصورة الثانية فهى صورة خلد الذى تقمره دموعه فكانه
غدير ماء ، وهى دموع بكائه من قسوة هذا الحبيب بطبيعة الحال .
وصورة الغدير هى فى الواقع مكمله لصورة الرياض ، ترسم معها منظرا جميلا
من مناظر الربيع ، ولكن تألف الصورتين لا يعكس الصلة الحقيقية بين
الحبيين ، فإ بينهما هو الجفاء والمجر الذى يبكيه ، وهذا هو ما يحيره ويشير
عجبه . وهنا يتضح لنا عمق المعنى الذى يقصده ، ودقة الفكرة التى تفتق
عنها ذهنه ، وبعد خياله فى تصوير معناه .

ويظهر أثر المنطق فى دقة الفكرة وفى المقابلة بين معنيين متضادين ،
كما نرى فى البيتين المذكورين ، ويتضح هذا الأثر فى كثير من معانيه ، كما
نرى فى قوله ^(١) :

لشنان إشفاقى عليك وقسوة أطلت بها شجو القواد على العمد
وما حلت للهجران عن حال صبوة إليك ولكن حال جسمى عن العهد

فهو فى البيت الأول يقابل بين إشفاقه على حبيبه، وبين قسوة هذا الحبيب
الذى تعذب فؤاده . وفى البيت الثانى أيضا يقابل بين بقاءه على صبوته
وحفظه لعهد حبه ، الذى لم يتغير ولم يتحول نتيجة لهجرانه وقسوته ، وبين
تحول جسمه عن طبيعته ، إذ أضناه الهجران وأسقمته القسوة فصار ضعيفا
هزيلا . إنه يجمع بين هذه المقابلات ويربطها ربطا قويا دقيقا فيكسبها
طرافة وعمقا ، ومع ذلك لا يشعرنا بجفاف المنطق ، لأنه يصبغها بصيغة فنية
شاعرة ، وترجم عن معاناته النفسية .

ومن ذلك أيضا أن يعكس بين المشبه والمشبه به في تشبيهين، كما في قوله^(١) .

لأراح تفاح جرى ذائبا كذلك التفاح راح جـ
فاشرب على جامله ذوبه ولا تدع لنة يوم لغـ

فهو يشبه الخمر بالتفاح المذاب ، ثم يعكس الصورة فيشبه التفاح بالخمر المتجمد، وشرب هذا مع ذاك على أية صورة يختارها الشارب من هاتين صورتين فيه لهذه ومتعة . إن هذا التلاعب بالمعنى بكسه طلاقة فنية ، ويضئ عليه رونقا جميلا ، مع ما فيه من دقة وعمق .

ويجمع في تشبيهه بين صفتين لشخصين متباعدين، أو علوين معروفين لنا في القرآن الكريم ، ليصف بهما شخص معشوقه فيقول^(٢) :

يوسف الجمال وفـر عون في تعديـه

فيأخذ من يوسف صفة الجمال ، ومن فرعون صفة التعدي ، ليجعلهما من صفات معشوقه ، كأنه يريد أن يشردهشتنا لهذا الذي يجمع بين صفتين متناقضتين : أو بين صفتين متناقضتين . كما يقابل في بيت آخر بين رغبته في هذا المعشوق وبين زهد هذا فيه ، فيقول :

تائبـه ترهبـه في رغبتي فيه

ونراه يربط بين المعنيين فيجعل رغبته سببا في زهد معشوقه ، وبهذه اللمسة البسيطة يضيف إلى المعنى جمالا وطرافة فيرفع من قيمته الفنية .

ومن مقابلاته بين المعاني المتنافرة في تقسيم منطقي حسن ما نراه في قوله^(٣) :

هويتكم جهدي وزدت على الجهد ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فإن أمس فيكم زاهدا بعد رغبة فبعد اختيار كان في وصلكم زهدى

(١) انظر معاهد التنصيص ج ١ ص ١٥٤ وحلقة الكميت ص ١١٢ .

(٢) أغاني النار ج ٧ ص ١٨٥ .

(٣) انظر الموشى ص ١١٤ .

تَأْتِيَكُمْ بَقِيَا الصَّدِيقِ لَتَقْصِلُوا وَتَأْبُونَ إِلَّا أَنْ تَجُورُوا عَنِ الْقَصْدِ
أَرَى الْغُلَّارَ ضَرْبًا لَوَفَاءٍ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الضُّدَّ يَنْبُو عَنِ الضُّدِّ
إِذَا خْتَمَ بِالْغَيْبِ عَهْدِي فَمَا لَكُمْ تَدُلُّونَ إِدْلَالَ الْمُقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ
صَلُّوا وَافْعَلُوا فَعَلَ الْمَدْلُ بَوَصْلِهِ وَالْأَفْصَلُ وَافْعَلُوا وَافْعَلُوا ذِي الضُّدِّ

فَرَى فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ مُقَابَلَةً طَرِيفَةً بَيْنَ مَعْنَيْنِ لَا تَوَافِقُ
بَيْنَهُمَا ، فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ يُقَابَلُ بَيْنَ وَفَائِهِ لِعَهْدِ الذُّوَى وَمَا بِذَلِكَ مِنْ جَهْدٍ فِي
سَبِيلِ الْإِبْقَاءِ عَلَيْهِ ، وَبَيْنَ غُلَّارٍ مَعْشُوقَةٍ وَنَقْضِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ . وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي
يُشْرَحُ تَحْوِيلُ رَغْبَتِهِ وَمِيلُهُ لِمَعْشُوقَةٍ إِلَى زَهْدٍ فِيهِ وَجَافَاةٍ لَهُ ، لِقَوْلِهِ إِنَّ زَهْدَهُ لَمْ
يُجِئْ إِلَّا بِمَحْضِ اخْتِيَارِهِ وَبِاقْتِنَاعِهِ الشَّخْصِيَّ بَعْدَ مَا لَاقَاهُ مِنْ عُنْتٍ وَبَلَاءٍ .
وَالْمُقَابَلَةُ وَاضِحَةٌ بَيْنَ الزَّهْدِ وَالرَّغْبَةِ . وَفِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ يُقَابَلُ بَيْنَ تَأْنِيهِ وَصَبْرِهِ
عَلَى فِعْلِ مَعْشُوقَةٍ إِبْقَاءَ مِنْهُ عَلَى صِلَةِ الْمَحَبَّةِ ، وَحَثًا لِمَعْشُوقٍ عَلَى تَعْدِيلِ مَسْلَكِهِ
وَتَحْسِينِ مَعَامَلَتِهِ . وَبَيْنَ جُورِ هَذَا الْمَعْشُوقِ عَنْ كُلِّ قَصْدٍ وَإِصْرَارِهِ عَلَى
الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ . وَفِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ يَقَرَّرُ هَذَا التَّنَافُرُ الْوَاضِحُ وَالتَّضَادُّ الشَّدِيدُ بَيْنَ
الْغُلَّارِ وَالْوَفَاءِ تَقْرِيرًا مَنْطَقِيًّا حَادًا . وَفِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ يَنْقُشُ مَعْشُوقُهُ فِيمَا
يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ أَعْمَالٍ مُتَنَاقِضَةٍ تَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ مِنْ أَمْرِهِ ، إِذْ يَدُلُّ عَلَيْهِ إِدْلَالُ
الْمُقِيمِ عَلَى عَهْدِ الْمَحَبَّةِ الْخَافِظِ لَصِلَةِ الْوَدَادِ ، بَيْنَمَا هُوَ الْخَائِنُ لِهَذَا الْعَهْدِ الْغَادِرِ
بِهِ فَعَلًا وَيَقِينَا ، وَيَكْمُلُ مَنَاقَشَتُهُ الْقَضِيَّةَ فِي الْبَيْتِ السَّادِسِ فَيُطْلَبُ مِنْهُ أَنْ يَخْتَارَ
بَيْنَ سَبِيلَيْنِ ، سَبِيلِ الْوَصَالِ وَالْمُودَةِ لِيَكُونَ دَلَالَةً مَقْبُولًا ، وَلِيَفْعَلَ مَا يَشَاءُ
مَدْلًا بَوَصْلِهِ ، أَوْ سَبِيلِ الضُّدِّ وَالْخِفَاءِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ خِصَامٍ وَتَبَاعُدٍ ،
فَلَا يَبْدَى هَذَا الْإِدْلَالُ الْمَقْشُورَ الَّذِي لَا يَتْلَامُ مَعَ طَبِيعَةِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا .
وَهَكَذَا تَبَسَّرَ رُوحُ الْمُنَاطِقِ فِي الْأَيَّاتِ ، فَتَغْلَفُ الْمَعَانِي بِثُوبٍ مِنَ التَّقْسِمِ
الْمُطَبَّقِ وَتَنْسَقِحُهَا تَنْسِقًا بَدِيعًا فِيهِ عَمَقٌ وَبِرَاعَةٌ .

ومما يعطى المعانى عمقا ودقة فى شعر الحسين براعته فى تحليلها كما نرى
فى وصفه للخمر إذ يحلل صفة تعيقها تحليلا مفصلا فيقول (١) :

صيفت عن الشمس فى قيطون محتك
من اليهود لأم الراح غداء
ما زال يهلها كالمتخف بها
عصر الشباب كناس غير نساء
يطرى سواها إذا سيمت مداقة
عنها ويوسعها من كل إزراء
يسومها البيع أحيانا فيمنعه
أن قد يؤملها يوما لإثراء
حتى إذا الدهر أبى من سلاتها
جزء الحياة وقد أوى بأجزاء
دبت إليه من الأحداث بأسلة
أبكت عوايد من أحبار تيماء
فمات والقلب مشغول بحظوتها : لم يشف من شجنه عملة السداء

فهو لا يقول إنها معتقة أو اخترنت زمنا طويلا ، كما تعود الشعراء أن
يقولوا ذلك فى بيت أو بيتين ، وإنما يحلل هذا المعنى ويدور حوله مفصلا
ظروف اخترانها ، والدوافع النفسية والمادية التى جعلت صاحبها أو صانعها
يقوم بذلك ، والآمال التى يعقدها على تعيقها ، وتراجعها عن المساومة
فى بيعها إلى إصالتها وتناسبها ، وإلى إطرء غيرها ليصرف المشتري عنها ،
والتغير الذى أحدثه فيها الزمن ، وليريد صفة التعيق قوة أو قلما لا يجعل
صاحبها الذى اخترنتها يحقق أمنيته ، بل يقول إن الموت يقضى عليه قبل أن
يبيعها ، ويأتى ورثته من بعده فيبيعونها لبعض رواد حانته ، ويحظى هؤلاء
بها ويستمتعون بما اكتسبته من تعيق وجودة . هكذا يحلق الشاعر بخياله
ليولد المعانى ويفتح الأفكار ، فيصل إلى ما يشبه أن يكون قصة اخترانها .
ويأتى بما لم يكن يحظر على بال شاعر قبله من شعراء الخمر .

(١) انظر القصيدة فى مقدمة ديوان أبي نواس ط أصاف ص ١٩ وتحقيق فاخر ص ٣٦
ومخطوطات البارودى ج ٤ ص ٨٢ .

ونرى تعمقه في معانيه وإغراقه في تخيله حين يعمد إلى الوهم والتجريد أحيانا ، ويفترض صورا معنوية بعيدة عن الحس المادى كما في قوله (١) :

إن من لا أرى وليس يرانى نصب عيني ممثل بالأمانى
يأبى من ضميره وضميرى أبدا بالغييب ينتجيان
نحن شخصان إن نظرت ورو حان إذا ما اخترت عترجان
فإذا ما هممت بالأمر أو هم بشيء بدأته وبلى
كان وفقا ما كان منه ومنى فكأنى حكيمه وحكائى
خطرات الجفون منا سواء وسواء تحرك الأبدان

فهو يتخيل معشوقه من خلال أمانيه ، دون أن يكون أمامه فراه . وهو لا يتنزل في جماله وأوصافه الحسية كما يفعل شاعر الغزل ، بل يتصور ضميره يناجى ضمير حبيبته ، وروحه تمازج روحه ، فيحدث نتيجة لهذا الامتزاج والوفاق أن تصدر منهما أفعال واحدة وحركات متشابهة ، وكأن أحدهما يحاكي الآخر مع ما بينهما من بعد المكان . هذا الخيال البعيد والوهم العميق « وكأنى بالشاعر يتأثر بعناصر أفلاطونية في تفكيره » (٢) كما يقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف .

ويبدع الشاعر في تخيله في رسم صورا فنية غريبة ، ولكن غرابتها لا تفصل بها إلى درجة الغدوض ، بل تظل واضحة المعنى قريبة إلى الأذهان ، كما نرى في قوله (٣) :

أدر الكأس علينا أيها الساقى لنطرب
ما ترى الليل تسوى وضياء الشمس يقرب
والثريا شبه كأس حين تبسلو ثم تقرب
وكان الشرق يسقى وكان الغرب يشرب

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٧ .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١٠٦ ط الثالثة .

(٣) نثار الأثرار ص ١١٢ .

فهو يرى ضوء الشمس حين يلوح في الأفق قبل شروقها، في
ذهبي تشويه حرة خفيفة، فيستدعي ذلك في ذهنه لون الخمر التي يشربها والتي
كثيرا ما يشبهونها بالضياء والنور، ويرى الثريا في السماء وقد مالت نحو
الغرب فيشبهها بكأس الخمر، وتكتمل في ذهنه عناصر الصورة كلها إذ يرى
الشرق يصب من خر ضيائه في كأس الثريا ليشرّب منها الغرب الذي تنجّه
إليه بمسيرتها . وبراعة الشاعر تتمثل في مزج بين الصورة الطبيعية للشروق
والثريا وبين الصورة الخيالية التي يخلقها للشراب والكأس ليخرج لنا صورة
فنية جميلة دون أن يقع في غياهب الغموض والإبهام .

ومن ذلك أيضا صورة الشارب حين تنعكس على خر الكأس بين الحب
المتصاعد منها، إذ يشبهها بالقمر يكرع في نجوم السماء، وقد عرضناها بالتفصيل
في بحث شعره الخمرى، وهى صورة فنية تمثل تعمقه في تخيله ولا مانع من
أن نعيد النظر إليها في قوله (١) :

كأنما نصب كأسه قمر يكرع في بعض أنجم القللك

ومنه تشبيه ممازجة الخمر لروح شاربها بممازجة الأنوار والأضواء
في قوله (٢) :

تمازج الروح في أنفى مداخله كما تمازج أنوار بأضواء

ومن مظاهر عمق المعنى عند الشاعر أن يعتمد على توليده بكل وسيلة متاح
له، أو يأخذ بالقرينة ليخرج ويبتكر فيه كما نرى في قوله (٣) :

ويلي على شادن توعلى يسلى سكينه وخنجره

أما كفاه ما حز في كبلى بسحر أجفانه وعجبره

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٥ .

(٢) دم الحنّ وفواس ص ٢٢ ط أساف .

(٣) أغاني الدار ج ٧ ص ١٩١ .

فهو يعتمد على قرينة من الواقع هي أن معشوقه هدده بنجس جره ، ليولد معنى جديدا يعبر فيه عن آلام نفسه ، ويأخذ حز السكين من المعنى الأول فيضيفه إلى بحر الأجنان ، ليقول إنها حزت في كبده وآلمته ، فلا داعي لأن يسلم معشوقه سكينه عليه وكفاه ما حدث له وهذا يعطى المعنى طرافة فنية ،

ويأخذ اسم معشوقه فيولد منه المعنى المناسب في تغزله به ، و اسم « يسر » وهو يريد أن يكون سهلا معه وألا يتمنع عليه ، إذن فالعلاقة بين معنى اسمه وبين ما يريد منه قريبة ، وتولد المعنى من هذا الاسم فيه طرافة وذكاء وهو ما يسميه البلاغيون بالجناس الاشتقائي ، فيقول (١) :

ولو شئت تسرت ~~ك~~ كما سميت يا يسر
وكن كاسمك لا تمنعك النخوة والكبر

ويأخذ اسم الخليفة المعتصم فيولد منه معنى اعتصامه به ولحوته الله فيقول (٢) :

أصبحت معتصما بمعتصم أبني الإله عليه في كتب
و كذلك اسم الخليفة الواثق ، يأخذ منه معنى الثقة ليمسحه قائلا (٣) :

وثقت بمن سماك بالغيث واثقا وثبت بالتأكد أركان ملككا

وفي تأملات الحسين نجد الفكرة الدقيقة التي تدل على خبرة بالحياة وسبر لأغوارها ، فالمشتاق مثلا يمر بحالات مختلفة من السعادة والشقاء ، ولكل حالة دواعيها ، فترقبه زيارة شائقه أو محبوبه يجعله في أسعد حالاته وأكثرها سرورا ، هذا المعنى يتأمله فيعبر عنه في قوله (٤) :

وجدت ألد العيش فيها بلوته ترقب مشتاق زيارة شائق

وقد ذكر القاضي الجرجاني أن المتنبي لاحظ معنى هذا البيت حين ذكر معنى قريبا منه في قوله (٥) :

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ر - في المهجر فهو الدهر يرجو ويتو

(١) أغاني الدار ج ٢ ص ١٩٠ . (٢) أغاني الدار ج ٢ ص ١٦٧ .

(٣) أغاني الدار ج ٢ ص ١٥٩ .

(٤) انظر الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٢٩٤ .

ويفسر هذا التقارب بأن المشتاق في بيت الحسين يرجو ويتقن ويخاف ويأمل ، أى أنه في شك من الوصل والمهجر كصاحب الهوى في بيت المتنبي .

وفى معنى آخر يرى المشتاق معذبا بهواه ، يقضى ليله في سهد وأرق ، لأنه يكتم هواه في نفسه ولا ييوح به فيخفف عن نفسه بعض آلامه ، وهذه حقيقة يؤكدها علماء النفس في أمثالهم ، ويتأملها الحسين في قوله (١) :

إن من أطول ليل أمدًا ليل مشتاق تصابي فكتم
رب فظ القلب لا لين له لو رأى ما بك منه لرحم

ويرى ما للمال من أثر في نفوس الناس فيجعله مقياسا لكشف أخلاقهم ومعرفة حقيقة جودهم أو بخلهم ، دون اعتبار لحسبهم أو شهرة أجدادهم في الكرم فيقول (٢) :

إذا شئت أن تلقى خليلا معبسا وجداء في الماضين كعب وحاتم
فحاوله عما في يديه فإنما تكشف أخلاق الرجال الدراهم

ويشير قضية فكرية عميقة حول معنى من المعاني التي يقولها في ممدوحه ، نراها في قوله (٣) :

أغيت من هوسائل لك ثم قد أصبحت تسأل أين من لم يسأل
إن قيل مات هواه لم يجمل به أو قيل مات من الهوى لم يجمل

فهو يمدح صاحبه بأنه قد أغنى سائله بعطائه الكثير وجوده العميم ، وبعد ذلك أصبح يسأل عن الذين لم يسألوه العطاء ليعطيهم ، فكان الكرم هواية عنده متمكنة في نفسه لا يستطيع أن يعيش بدون ممارستها ، وشأنه في ذلك شأن الحب الذي يعيش مخلصا لهواه متحملا كل آلامه ، فلا يجمل به أن يقال عنه إن هواه مات ، أو أنه مات من الهوى ، لأن في القول الأول معنى عدم الإخلاص وفي القول الثاني معنى عدم القدرة ، وكلاهما يدل على

(١) قزهره ص ٤٠ . (٢) المولف والحدف ص ١١٢ .

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي ص ٢١٦ ط سنة ١٩٦١ .

نقص في الإنسانية وفي كرم الخلال، كذلك الكريم لا يموت كرمه ولا يمته كرمه ، لأنه أصيل في نفسه ولأن نفسه تقوى على البذل والافتاق دون أن يصيبها فقر أو كلاله . من هنا نرى عمق المعنى وتشابك عناصر القضية ، وبعد الفكرة التي يتناولها .

وقد لاحظ أبو سعيد العميدى أن المتنبي أخذ هذا المعنى في قوله (١) :

إذا سألوا شكرتهم عليه وإن سكتوا سألتهم السؤال

ولكن المعنى الذى عبر عنه الحسين يبدو أكثر عمقا وأدق فكرة من معنى المتنبي برغم تأخره عنه وأخذه منه :

وهكذا نرى هذه الظاهرة الفنية متمثلة في شعر الحسين تمثلا واضحا ، وينبغى أن ننبه إلى ملاحظة هامة قبل أن ننتهى من بحثها ، وهى أن تعمقه في معانيه وأخيلته لم يكن يصل إلى درجة بعيدة حتى ينقسم بالغموض والإبهام كشأن الشعراء الذين يجعون جل همهم في الغوص على المعاني إظهارا لقدرةهم وبراعتهم . ولكنه تعمق الشاعر المطبوع الذى تأتبه المعاني طائفة مختارة غير مكروه ولا متكلفة ، تنبع من وجدانه وتبلور في ذهنه ، فيخرجها لنا صافية راققة جامعة بين العمق والشاعرية ، فلا يتحكم عقله فيها تحكما يجعلها أفكارا جافة عويصة ، وإنما تتصافر قدراته الفنية في بلورتها ، ونضجها في صورة غنية بديعة :

٤ — رصانة اللفظ ونصاعته

كانت الحياة في ذلك العصر قد وصلت إلى درجة رفيعة من الرف والأيمة . وعاش الناس عيشة مدنية زاخرة بألوان الزخرف والزيتون والبذخ ، نجد أوصافها متصلة في كتب التاريخ والحضارة ، وما نريده من ذكر هذه الحقيقة الهامة هو تأثير هذه الحياة في الشعراء وانعكاس مظاهرها على شعرهم ،

(١) الإيابة من سرقات المتنبي ص ٢١٦ .

غيرى أستاذنا الدكتور شوقي ضيف أن « هذا الذوق ذوق التصنيع والزخرف قد انتقل من الحياة العباسية العامة إلى الحياة الفنية الخاصة ، فاعتمدت على لأناقة في تعبيرها الفني كما اعتمدت الحياة العامة عليها في تعبيرها الاجتماعي ، وقد ساعد على ذلك أن الشعراء عاشوا في ترف ونعيم ، فقد أغدق الملوك والأمراء والوزراء عليهم أموالا وعطايا جزيلة ^(١) .

وكان شاعرنا الحسين بن الضحاك من هؤلاء الشعراء الذين نالوا قسطا كبيرا من ترف الحياة ونعيمها ، بحكم اتصاله الوثيق بهذه الطبقة الاستقرابية في الدولة ، فكان كما يقول أستاذنا الدكتور طه حسين « مضطرا إلى أن يصطنع هذه اللغة المختارة النقية التي تصلح للأرستقراطية ، قفل الفحش جدا في شعره ، وغلبت المثانة والرصانة على ألفاظه وأساليبه ^(٢) » ويقول عنه أبو الفرج إنه « مطبوع حسن التصرف في الشعر حاو المذهب ، لشعره قبول وروث صاف ^(٣) » ، بل إن ابن المعتز ليفضله على أبي نواس إذ يصفه بأنه « أنقى شعرا وأقل تحليطا منه ^(٤) » .

هناك إذن إجماع من النقاد والدارسين على تميز أساويه الشعرى بالرصانة والنصاعة ، والنقاء والروث الصافي ، فلم يكن يميل إلى التكلف والتعقيد ، لو لم يكن من أصحاب مذهب التصنيع ، الذين عملوا إلى تزيين أشعارهم بألوان البديع والمحسنات اللفظية ، وبلغوا في ذلك درجة كبيرة من الخلق والمهارة من أمثال ابن هرمة ومسلم وأبي تمام ، وإنما يمكن أن نعهده من أتباع مذهب « الصنعة والصانين » الذي يعد امتدادا للمذهب القديم . « وهم الذين كانوا يفهمون حرفتهم في الخلود التي رشحها زهير ، فهم يعنون بالفاظهم وأساليبهم وصورهم البيانية في الدائرة التي كان يتصورها زهير لهذه العناية ، ولا يحتاجون إلى جهد فني واسع في صناعة الأساليب وما ينطوى فيها من

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ١١٠ ط الثالثة .

(٢) حديث الأريفاء .

(٣) أغاني الدار ج ٧ ص ١٤٦ . (٤) طبقات الشعراء ص ٢٧١ .

صور وبيان وبديع^(١) . ومثله في ذلك مثل أبي نواس « يستخدم وسائل التصنيع من حين إلى حين ولكنه استخدام طبيعي وفي حدود أقرب إلى البساطة^(٢) » كما يذكر أستاذنا الدكتور شوقي ، إذ أنه كان « من المطبوعين الذين تحاو أشعارهم ومذايبهم حجة من التكلف^(٣) » على قول أبي الفرج ، أو « الذين أغناهم عفو قرائحهم عن التكلف^(٤) » على قول ياقوت .
 روى ابن رشيق أن أبا نواس وأبا العتاهية والحسين بن الضحاك اجتمعوا يوما فقال أبو نواس : لينشد كل واحد قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء فأنشد أبو العتاهية :

يا لائحوني إن المدوى قاتلي فيسروا الأكفان على عاجلي
 ولا تلوخوا في اتباع الموى فلأني في شغل شاغلي
 عيني على عتبة مهلة بدمعها المنسكب السائل
 فلم له أبو نواس والحسين بن الضحاك وقالاه : « أما مع سهولة هذه الألفاظ وملاحظة هذا القصد وحسن هذه الإشارات فلا تنشده شيئا^(٥) » وهذا الخبر يدل على أنهم كانوا يؤثرون السهولة والوضوح ونصاعة البيان ، ولا يميلون إلى التكلف والتصنع والإغراب .

وفي شعر الحسين يبين لنا بوضوح رصانة ألفاظه ونصاعته . ويمكننا التثبت من هذه الخاصية الفنية في النماذج الكثيرة التي سبق أن عرضناها ، والتي سنعرضها زيادة في التأكيد والتوضيح من ذلك قوله مخاطبا معشوقه^(٦) :

مقيا ليوم سرورى إذ تنازعنى صفو المدامة بين الأتس والخفسر
 وفضل كأسك يأتينى فأشربه جهرا وتشرب كأسى غير مستر
 وكيف أشمله لشيء وأزمله نحرى وترفعه كنى إلى بصرى

(١) الفن ومذايبه ص ١١١ - ١١٢ . (٢) قصه ص ١١٣ .

(٣) أغاني الدار ج ٧ ص ١٤٦ . (٤) مجمع الأدباء ج ١٠ ص ٥ .

(٥) السبعة ج ١ ص ١٠٦ .

(٦) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٨ .

فرصاة ألفاظه ومثانة نسجها ، وإشراق ديباجتها ونصاعتها ، وجمال
تنسيقها وروعة موسيقاها واضحة كل الوضوح . ونرى ذروة البراعة
الفنية في البيت الثالث إذ تتوالى منه ثلاث جمل على نسق واحد تقريبا ،
فيها ثلاثة أفعال يتصل بكل فعل منها ضمير الغائب (الماء) وثلاثة أسماء
يتصل بكل منها ضمير المتكلم (البياء) فنحس لها وقعا موسيقيا رائعا ،
وتهزنا وحدة النغم التي تربط بينها . ويزيد من روعتها أننا لا نجد فيها لفظة
جافية أو غريبة^(١) :

ومن ذلك أيضا قوله في الغزل :

غزال ما اجتلاه الطرف إلا تحيرني ملاحه وجنتيه
خطوا بدى محاسنه وخصوا مقبله وبرد نيتيه
وقوله^(٢) :

يا مدير الكأس حيث على الكأس مسديا
سأقول الدهر أحسنت وإن كنت مسيا
لست أستغفك من حيفك في السقي عليا
قد حلت الدهر طورين خلييا وشجيا
فأرى من علم الصبوة والكأس شقيا :

وقوله^(٣) :

من لصب لا يرعى لسلام نضو كأسين من هوى ومدام
عاد من لوعة الصباية بالكأ من وغلى الملام للوأم
يا نديمي لا تنسأما عن الرا ح ولا ترقبا سفور الظلام

(١) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٦ .

(٢) أدب التليم ص ٢٨ .

(٣) صون التواريخ (مخطوط) حوادث سنة ٢٥٠٠ ص ٧١٢ .

هاجنى للصبح نقر النواقيس ونجوى حمامة وحمام
فاصبحانى قبل الصباح مداما قهوة مزة بماء غمام
وألمأ على المنازل بالقفص صر فنوحا نباحه المستهام

ففى هذه النماذج يتبين لنا ما تتميز به ألفاظه من قوة ورصانة مع الوضوح والنصاعة ، فلا تكاد تشعر بكلمة غريبة أو لفظ حوشى فى سياق شعره ، وإنما نراها تنساب فى سهولة ويسر كأنسياب الماء فى جداوله . فلا تعقيد فى الأسلوب ولا تكلف فى صنع المحسنات البديعية ، بل إننا لا نكاد نحس بوجودها لأنها قليلة ، ولأنها تأتي بطبيعتها غير مصطنعة ولا منحوتة . فليس فى هذه الأبيات كلها إلا استعارة فى قوله « قد جلبت الدرر » واستعارة أخرى فى قوله « نضو كأسين من هوى ودمام » غير تشبيه للمعشوق بالغزال ، ومع ذلك فإنها قد بلغت درجة رفيعة من الجودة الفنية فى أسلوبها .

وهذه الميزة الفنية لا تقتصر على شعره فى الغزل أو فى الخمر فحسب بل يتميز بها شعره فى غير ذلك من الموضوعات كذلك . فهذا قوله فى مدح الواصل^(١) :

يضيق القضاء به إن غدا بطاودى أعاريه والعجم
ترى النصر يقدم راياته إذا ما خفقت أمام العلم
وفى الله دوخ أعداءه وجرى فيهم سيوف النقم
وفى الله يكظم من غيظه وفى الله يصفح عن جرم
رأى شيم الجود محمودة وما شيم الجود إلا قسم
فراح على « نعم » واغتلى كأن ليس يحسن إلا « نعم »

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٩٦ ومجمع الأدباء ج ١٠ ص ٨ .

أو قوله في عمرو بن مسعدة^(١) :

انت طودی من بین هذی المضاب وشهابی من دون کل شهاب
أنت یا عمرو قوتی وحياتی ولسانی وأنت ظفیری ونابی
أنرانی أنسی أیادیک الیـــــض إذا اسود نائل الأصحاب

ونراه يعتمد أحيانا إلى الألفاظ الجزلة القوية وخاصة في المديح ، ولعل اهتمامه بأن يبلغ في مديحه أعلى درجة ممكنة من الإبداع والبراعة الفنية هو الذي يدفعه إلى إعداد قصيدته إعدادا كافيا ، وترصيعها ببعض الألفاظ الرصينة الجزلة ليثبت قدرته الفائقة على النظم ، وتمكنه القوى من اللغة . فهذه الاعتبارات لها أهميتها عند الممدوح وعند جلسائه من العلماء والأدباء ، ولها أثرها في تقدير الشاعر وتقييم شعره : هذه الجزالة والقضامة اللفظية .
ظهر في مديحه للمعتصم حين يقول :^(٢)

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسفین تعسف المسراف
إلى أحلركم بواذر ضيغم درب بحطم موائل الأعناق
متأهب لا يستفز جنانه زجل الرعود ولامع الإبراف
لم يبق من متعزمين توثبوا بالشام غير جاجم أفلاق
من بين منجلد تمج عروقه علق الأخادع أو أسير وثاق
فلاحظ استخدامه لعدد من الألفاظ الجزلة القوية التي تعطى شعره قوة في السبك ومتانة في النسج ، ولكنه مع ذلك لا يصل إلى درجة الإغراب أو الغوص على الألفاظ الحوشية ، إذ أن سهولة طبعه تغلب عليه وتحول دون وقوعه في غموض الألفاظ الغريبة وصعوبة مأتاها . ومع ما في ألفاظه من جزالة وقوة نراها تنسم بالنصاعة والوضوح ،

ونستطيع أن نقول إن شعره في الغزل والمجون أقرب إلى الرقة والسلاسة من شعره في المديح والثناء ، فاختلاف الموضوعات له أثره في اختياره .

(١) أغاني القار ج ٧ ص ١٦٦ .

(٢) قسه ج ٧ ص ١٩٥ .

الألفاظ ، ولكل موضوع ما يناسبه من ألفاظ . وقدرة الشاعر ومهارة
إنما تظهر في توفيقه في ، الملازمة بينهما ؟ وقد وفق الحسين إلى درجة كبيرة
في هذه الناحية ؟

وتظهر براعة الشاعر في ترجمته لما يلور بينه وبين معشوقه من حديث ،
فيسجل ألفاظه الجارية دون أن تضعف نسج البيت أو يهبط بمستوى لغته
وقيمة الفنية ، من ذلك قوله^١

[فتأني وتثنى خجلا
لج في «لولا» وفي «سوف ترى»
وبنفسى نفس من قال وقد
وذر الدمع فتونا ونشج
وكنا كضكف عني وخلج
كان ما كان : حرام وحر ج

وقوله^٢ :

وابأبى من يسلا بروعة «لا»
وعاد من بعدلها إلى «نعم»
وقوله^٣ :

فدبت من قال لي على خضره
وخص من جفنه على حور
سمع بي شعرك المليح فسا
يفك شاد به على وتره
حسبك بعض الذي أذعت ولا
حسب لصب لم يقض من وطره
فقلت يا مستعير صالفة الخش
ف وحسن الفتور من نظره
لا تتكرن الحنين من طرب
عاود فيك الصبا على كبره

فهو يجمع بين حرصه على رصانة ألفاظه ومتانتها ، وبين حرصه على
أن يعطينا صورة واقعية لما يلور من حديث ، وغالبا ما يكون في الأحاديث
الجارية ركافة وضعف ، فلا تكون في مستوى لغة الشعر ، ولا يغيب عن
ذهنتنا ما دخل العربية في ذلك العصر من اللحن والعمجة بحكم اختلاط

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨١ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ٢١٩ . (٣) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٧ .

العرب بغيرهم من الأمم الأخرى : ولكن الحسين يلبس لغة الحديث هذه ثوباً فصيحاً رصيناً ، ويدخلها في الإطار الفني الشاعري على النحو الذي رأيناه .

أما وسائل التصنيع التي عرفنا أنها كانت شائعة بين شعراء ذلك المذهب (مذهب التصنيع) والتي كان الحسين لا يستعملها مثلهم كما ذكرنا ، وإنما كان يستعملها من حين إلى حين ، وفي حدود أقرب إلى البساطة شأن صاحبه أبي نواس ، فإننا نذكر منها بعض النماذج لتسبين مذهبه فيها على حقيقته . من ذلك قوله ^(١) :

فالأس لا شك آس من تشوفنا شاف وآس لنا يبقى على الزمن

فيه هذه التورية اللطيفة بين لفظي «آس» وهي تورية واضحة لا نغوض فيها ولا إبهام ، فسرعان ما يكشفها القارئ دون أدنى جهد .

ومما ذكره النقاد للحسين في حسن الرديد «وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسم منه» ^(٢) :

لقد ملأت عيني بحسن محاسن ملآن قوادي لوعة وهوما

فقد استعمل فيه لفظ «ملأ» مرتين ، وفي كل منها نراه متعللاً بمعنى يختلف عن الآخر أولها أن محبوبته «ملأت عينه بحسن محاسنها» ، وثانيها أن هذه المحاسن ملآن قواده باللوعة والمهوم التي نتجت عن تعلقه بها وعشقه لها .

ومنه أيضاً قوله ^(٣) :

بحسبك كان أول حسن ظني أما يهاك حسنك عن قبيح

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ٧٠

(٢) اللبدة ج ١ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ وشرح المقامات ج ١ ص ٤١٩ .

(٣) الديارات ص ٣٨ .

ففى الشطر الأول نراه استعمال لفظ «حسن» مرتين ، فى الأولى يتعلق معناه بمعشوقه وهو معنى حسى ، وفى الثانية يتعلق بظنه وهو معنى ، والاختلاف بين الاستعمالين واضح ، وفى الشطر الثانى نراه يطابق بين الحسن والقيبح . وبرغم استعمال لفظ الحسن ثلاث مرات فى البيت لا نشعر بضعف فى نسجه أو ركاقة . وبرغم وجود نوعين من البديع فيه لانحس بأنه متكلف فى صنعها ، بل يبلو لنا وكأنها جاءا طواعية وفى بساطة طبيعية . ولهذا نجد المعنى واضحاً لانغوص فيه فتصاغة الألفاظ مع متانة نسجها مع نوعين من البديع اليسير ، كلها عناصر متكلفة فى جودة البناء الفنى للبيت .

ويبدو لنا أنه لا يستعمل البديع لذاته أو لإظهار براعته فى صياغة محسناته ، وإنما يستعمله ليضفى على شعره لونا من النغم الموسيقى الجميل ، وهذا واضح فى قوله ^(١) :

قد غاب لا آب ممن يراقبنا ونام لا قام سامر الخدم

فقد زاوج فى الشطر الأول بين غاب وآب ، كما زاوج فى الشطر الثانى بين نام وقام . وكأنه ينسق النغم الموسيقى بين شطرى البيت . هذا النغم الذى يحدثه الخناس بين كل لفظين بالاضافة الى ما بينها من طباق ، ثم هذه الوحدة الموسيقية بين الأفعال الأربعة التى اختارها على وزن ثلاثى واحد معتل الوسط بالألف ، ومع كل ذلك نحس سلاسة الألفاظ ونصاعتها وقد بداعليها الروتق الحلو الصافى ، فيطغى إعجابنا بحلاوة موسيقاها وتألف نغماتها على ما فيها من بديع . ونرى الشاعر وقد ذلل هذا البديع وجعل منه وسيلة لبلوغ هذه المرتبة الفنية الرفيعة . ولم يجعل منه غاية يتفياها كشأن الآخرين من أصحاب مذهب التصنيع .

ولعل هذه الميزة الموسيقية التى تميزت بها ألفاظه قد اكتسبها بكثرة المران والممارسة ، إذ أن مجالس اللهو والشراب والغناء التى كانت

تجمعه بمن يناديهم من عليه القوم ، والتي كان يطلب منه فيها أن يصنع المقطعات ليغنى بها المغنون في المجلس ، أو يختار أبياتاً من قصائده الأخرى ليصنع فيها لحن يطربون به ، فجعله ذلك يعني باختيار ألفاظه ، ويتبني أنصتها وأحلاها مخرجاً ، ليكون مناسباً للمقام صالحاً للفناء ، ويسهل تأمينه ، ويتحقق به طرب المستمعين .

وهكذا تضافرت ظروف حياته مع جودة طبعه وقوة شاعريته ، لتخرج لنا شعراً يتميز بألفاظه الرصية ، وكلماته الناصعة ، ونسجه المني ، وموسيقاه الحلوة ، ولتكون هذه الميزة الفنية من أهم الخصائص التي تميز بها شعره .

٥ — العناية بالأوزان القصيرة :

كان لشيوخ الفناء وارتقائه في العصر العباسي أثر كبير في موسيقى الشعر وقد بدأ هذا التأثير منذ وجد الفناء في الحجاز في العصر الأموي ، ثم انتقله إلى الشام في أواخر العصر ، حتى استقر أخيراً في العراق حيث استقرت الخلافة ، فقد تلى المغنون في بداية الأمر كثيراً من الفناء في إحكام أصواتهم ونفثاتهم حتى يشاكلوا بينها وبين الأشعار التي يغنونها ، وحتى لا يخرجوا بهذه لأشعار التي يلحنونها عن إيقاعاتها الموسيقية الخاصة . وقد أقبل الشعراء يحاولون التخفيف عنهم باقتراح أوزان لم تكن شائعة في الشعر القديم ، أو كانت شائعة ولكنهم رأوا أن يعدلوا فيها حتى تتلاءم وهذا الفناء الذي كانت تلخل فيه نغمات أجنبية كثيرة^(١) ، كما ذكر أبو الفرج عن ابن مسجح^(٢) وابن عمرز^(٣)

(١) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص ٢٠ ط الثالثة .

(٢) يذكر أنه رحل إلى الشام وأخذ الحان الروم ، وانقلب إلى فارس فأخذ منها غناء كثيراً وتعلم الضرب ، ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم ، وألقى منها ما استعجبه من التبريات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وفضي هل هذا المنصب ، (انظر أغاني الدار ج ٣ ص ٢٧٦) .

(٣) يذكر أنه شخص إلى فارس فتعلم الحان الفرس وأخذ غنائهم ، ثم صار إلى الشام فتعلم الحان الروم وأخذ غنائهم فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين وأخذ محاسن فزوج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب . (انظر أغاني الدار ج ١ ص ٣٧٨) .

وهما من مغنى الحجاز . واستمر هذا التطوير مع انتقال الغناء الى الشام ودخول
مع الرقص والطرب قصور الخلفاء في عهد يزيد بن عبد الملك ^(١) ، وما كان
من صنع ابنه الوليد الشاعر الذى أكثر من النظم على الأوزان القصيرة ^(٢)
التي أشاعها الغناء في هذه العصور . وبلغ هذا التطوير غايته في عهد العباسيين ،
إذ شارك الفرس في الحياة العامة وفي الحكم مشاركة فعلية ، وهم قوم
مشغوفون بالملاهى والطرب ^(٣) . وبلغ الخلفاء في الاهتمام بالغناء والمغنين ،
فعهد الرشيد إلى ثلاثة منهم باختيار الأصوات المائة التي أدار عليها أبو الفرج
كتابه « الأغاني » . وانتشر الغناء انتشاراً واسعاً ، ليس في قصور الخلفاء
والأمراء فحسب ، ولكن بين جميع طبقات الشعب ، واشتهر من المغنين
والمغنيات عدد كثير ، وأحسنوا في صناعتهم إحساناً بالغاً ، كإبراهيم الموصلي
وابنه اسحق ، وإسماعيل بن جامع ومخارق وعلوية وعمرو بن بانه ، ومن
المغنيات عريب ودنانير وفريدة وبذل ، وغير هؤلاء وهؤلاء كثيرون .
وشارك الرقص والغناء في نموه وارتفاعه ، وكان لكل ذلك أثره البالغ في
موسيقى الشعر الغنائي ^(٤) ، إذ أن المغنين أدخلوا يحرفون في الغناء القديم ،
ويدخلون فيه ألحاناً فارسية ورومية ^(٥) ، كما فعل أسلافهم ، واضطر الشعراء
أن يجاروهم بالتجديد في أوزانهم ، لأن الصلة بين الغناء وبين عروض الشعر
العربي وثيقة منذ القدم ، حتى أن العروضيين سموها بعض بحور الشعر
بأسماء الألحان في الغناء كالرمل والمزج وخفيف الرمل ^(٦) :

وكان أول مظاهر هذا التأثير أن الشعراء تجنبوا الأوزان الطويلة في كثير
من الأحيان واستخدموا الأوزان القصيرة أو الخفيفة ، كالرمل والمزج والخفيف

(١) انظر أغاني الدار ج ١ ص ٦٩ .

(٢) انظر أغاني الدار ج ٧ ص ١٧ .

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٧ .

(٤) درس استاذنا الدكتور شوقي ضيف هذا الموضوع دراسة قيمة في كتابه « الفن ومذاهبه
في الشعر العربي » انظر فصل الموسيقى والصنعة من ص ٤٠ إلى ص ٨٣ ط الثالثة .

(٥) أغاني الدار ج ٥ ص ٢٧٩ . (٦) الفصول والغايات ص ٨٨ .

والمقارب ، كما لجئوا الى مجزومات البحور كمجزوء الكامل ومجزوء الوافر ومجزوء الخفيف وما الى ذلك ، بل إنهم استحدثوا أوزانا جديدة كالمقتضب والمضارع ، وقد سجلها الخليل وليس لها أصل في الشعر القديم على قول أبي العلاء^(١) :

هذه الحركة الضخمة في موسيقى الشعر وعروضه ، عاصرها الحسين بن الضحاك وعاش فيها ، بل إنه يعتبر من أشد الشعراء تأثرا بها ، لأنه قضى جل حياته في متاعمة الخلفاء والأمراء والكبراء ومشاركتهم في مجالس اللهو والفناء والطرب مشاركة إيجابية ، بمعنى أنه كان شاعر هذه المجالس الذي ينظم المقطوعات ليغنى فيها المغنون كما عرفنا ، وقد ذكره ابن رشيق في مقدمة المشهورين بجودة القطع من المولدين^(٢) . ولا شك أن كثرة اختلاطه بالمغنين ، وإسهامه معهم بشعره في صنع ألحانهم جعله أكثر استجابة لهم ، وطواعية لوسيقاهم ، فلم يجد مشقة في الملازمة بينها وبين الأوزان التي ينظم عليها ، أو في تطويع هذه الأوزان لتنمائها ، ولهذا كثرت الأوزان القصيرة والبحور المجزوءة في شعره كثرة ظاهرة ، فمن ذلك قوله في الغزل والمجون على وزن المقارب^(٣) :

تألفت ظلي غزال الحرم . فواصلني بعد ما قد صرم

عليه أيضا قوله^(٤) :

ألست ترى الصبح قد أسفرا ومبتكر النيث قد أمطرا

ومن ذلك قوله على وزن المنسرح ، وهي قصيدة طويلة في الغزل والمجون^(٥) :

تيسرى للمسام من أمسم ولا تراعى حماسة الحرم

(١) الفصول والفتايات ص ١٢٢ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٢ .

(٣) القصة ص ١٨٨ .

(٤) قصه ج ٧ ص ٢١٨ .

(٥) قصه ج ٧ ص ١٩٧ .

وعليه أيضا قوله ^(١) :

وشاطرى اللسان مختلق التسكرية شاب المحبون بالنسك

ومن ذلك قوله على وزن الخفيف ^(٢) :

إن من لا أرى وليس يرانى نصب عيني ممثل بالأمانى

وعليه أيضا قوله ^(٣) :

وصف البلر حسن وجهك حتى خلت أنى لما أراه أراكا

ومن ذلك قوله على وزن الرمل ^(٤) :

وبديع الدل قصرى الفنجج مره العين كجبل بالدعج

وعليه أيضا قوله ^(٥) :

ليت عين الدهر عنا غفلت ورقب الليل عنا رقنا

ومن ذلك قوله على وزن المزج ^(٦) :

أيا من طرفه محسر ومن ريقته خمسر

وعليه أيضا قوله ^(٧) :

تجاسرت على الفلر كماداتك فى المجسر

ومن ذلك قوله على وزن السريع ^(٨) :

زائرة زارت على غفلة يا جبلا الزورة والزائره

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٥ وطبقات الشعراء ص ٢٧٠ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٧ .

(٣) قسه ج ٧ ص ١٦٩ . (٤) قسه ج ٧ ص ١٨١ .

(٥) قسه ج ٧ ص ١٦٢ . (٦) قسه ج ٧ ص ١٨٩ .

(٧) قسه ج ٧ ص ٢١٧ . (٨) قسه ج ٧ ص ٢٢١ .

وعليه أيضا قوله^(١) :

وا بآبى أبيض فى صفرة
ومن ذلك قوله على وزن الوافر

عجب نال مكتما مناه وأسعده الحبيب على هواه
وعليه أيضا قوله^(٢) :

أما نأجك بالنظر الصحيح وأن اليك من قلب قسريح
ومن ذلك قوله على وزن المقتضب^(٣) :

عالم بحبيبه مطرق من التيه

وقد عرفنا أن هذا البحر من الأوزان الجديدة المستحدثة التى محلها
لتحليل وليس لها أصل فى الشعر القديم .

هذه أمثلة من الأوزان القصيرة التى استخدمها الحسين بكثرة فى شعره
وتلاحظ أنه لم يستخدمها فى موضوعات الغزل والمجون فحسب ، وهى التى
تعد موضوعات الفناء المفضلة ، بل إنه استخدمها كذلك فى الموضوعات
الأخرى كالمديح والثناء والاعتذار والاستمناح وما إلى ذلك . فهذه قصيدته
التي مدح بها الواثق ، والتي هى أطول ما وصل إلينا من قصائده فى المديح ،
نجدته ينظمها على وزن المقارب^(٤) :

أكاتم وجدى فإ ينكم بمن لو شكوت اليه رحم
وكذلك قصيدته فى مدح الحسن بن سهل ، نجدتها على وزن الوافر^(٥) :

أرى الآمال غير معرجات على أحد سوى الحسن بن سهل

(٢) طيقات الشعراء ص ٢٧١ .

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٠ .

(٤) أغاني الدار ج ٧ ص ١٨٥ .

(٣) الديارات ص ٣٨ .

(٦) أغاني الدار ج ٧ ص ١٧٧ .

(٥) أغاني الدار ج ٧ ص ١٩٥ .

وقصيدته في رثاء الأمين التي يقول في مطلعها^(١) :

إذا ذكر الأمين نعى لأميننا وأن رقد الخلى حى الجفونا
نجدها على وزن الوافر أيضا . وقصيدته الأخرى في رثائه ، والتي مطلعها^(٢) :

يا خير أسرته وأن زعموا أنى عليك لثبت أسف

لأننا نجدها على وزن الكامل المعلوم الذى حذف من تفعيلته الثالثة متحر كان
وساكن فتصير « متعا » أو « فعلن » بعد أن كانت « متفاعلن » :

وقصيدته في الاعتذار إلى المتوكل التي مطلعها^(٣) .

أما في ثمانين وفيها عذير وأن أنا لم أعتذر
نجدها على وزن المقارب .

ومقطوعته في الامتنان التي يطلب فيها من المعتصم أن يقطعه دارا بمدبنته-
الجديدة « سر من رأى » ومطلعها^(٤) .

يا أمين الله لا خطبة لى ولقد أفردت محبي بخطب
نجدها على وزن الرمل .

وقصيدته في نصره الأمين وهنته بظفر جيشه ، ومطلعها^(٥) :

أمين الله ثق بالله تعط العز والنصرة
نجدها على وزن الخرج .

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٩٤٢ .

(٢) نفسه ج ٣ ص ٩٤١ . (٣) أغاني الدار ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٤) نفسه ج ٧ ص ٢١٠ .

(٥) أغاني الدار ج ٧ ص ٢٠٧ وتاريخ الطبرى ج ٣ ص ٨٨٢ .

أما مجزورات البحور فقد استخلمها أيضا بكثرة ، وهي بطيعة الحال
أكثر قصرا وأخف موسيقى وأقرب شبا بتوقعات الرقص ومنها قوله على
وزن مجزور الرمل^(١) :

أى دىـاجـة حـن هـبـت لوعـة حـزنى
وقوله على نفس الوزن^(٢) :

ظـنـن من لا كان ظـنـا بـحـبـى فـحـمـاه
ومنها قوله على وزن مجزوء الخفيف^(٣) :

لا تـلـمـنى على فـتن لـنـها كاسـمـها فـتن
وقوله على نفس الوزن^(٤) :

اسـقـيانى وصـرفـا بـنت حـولـين قـرقـصـا
ومنها قوله على وزن مجزوء الكامل^(٥) :

إنى أتـيـك شافـعا بولى عـهـد المـلـيـنا
وقوله أيضا على نفس الوزن^(٦) :

خـل اللـعين وما اكـتب لا زال مـنـقـطـع السـبـب
ومنها قوله على مجزوء المديد^(٧) :

أـيـها النـفـات فى العـقد أنا مـطـوى على الكـد
وقوله على مجزوء المتقارب^(٨) :

إذا كـنت فى عـصـبـة من المـعـشـر الأـخـيـب

(٢) قه ج ٧ ص ٢٢٠ .

(٤) قه ج ٧ ص ١٨٠ .

(٦) قه ج ٧ ص ١٦٨ .

(٨) قه ج ٧ ص ٢١٢ .

(١) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٢ .

(٣) قه ج ٧ ص ١٧٦ .

(٥) قه ج ٧ ص ٢٢٣ .

(٧) قه ج ٧ ص ١٩٢ .

وقوله على مجزوء المنسرح^(١) :

أتبعت سكرًا سكرًا وابتعت خمرا بعمر مجتث

وقوله على مجزوء الوافر^(٢) :

إذا ما المساء أمكننى وصفو سلافة العنب

هذه الشواهد العديدة تدل دلالة واضحة على كثرة الأوزان القصيرة فى شعره ، فواء كل شاهد منها قصيدة أو مقطوعة ، بل نجد على هذه الأوزان قصائد أخرى ومقطوعات لم نشر إليها اكتفاء بما ذكرناه كدليل لإثبات هذه الميزة الفنية وشيوعها فى شعره . وليس معنى ذلك أنه لم ينظم شعرا على الأوزان الأخرى الطويلة كالطويل والبسيط والمديد والكامل وما إليها ، فله شعر على بحورها ، ولكنه قليل بالنسبة لشعره القصير الأوزان حتى أنه يمكننا أن نعد هذه الظاهرة من أهم الخصائص الفنية التى تميز بها شعره .

(١) ديوان المعاني ج ١ ص ٢٠٢ ومغاضرات الأدباء ج ١ ص ٤٢٠ .

(٢) أغاني الدار ج ٧ ص ١٥٤ .

الخاتمة

تناولت في هذا البحث شعر الحسين بن الضحاك وحياته بالدراسة والتحليل، فبدأت بسيرة حياته مستعرضاً مصادرهما التي ترجمت له بحسب ترتيبها التاريخي . ويعمد الأغاني أهمها ، إذ قدم له ترجمة واسعة من حوالى ثمانين صفحة ، وتأتى بعده مصادر أخرى لها أهميتها وإن قلت عنه كطبقات الشعراء ومعجم الأدباء والديارات وتاريخ ابن عساكر وتاريخ الطبري ومسالك الأبصار -

وانتقلت إلى بحث نسبته ونشأته وثقافته ، فتحققت من أنه كان فارسي الأصل ومولى لولده سليمان بن ربيعة الباهلي الصحابي ، وأنه ولد بالبصرة ونشأ بها . وتبين لي أن تاريخ مولده الذي ذكرته المصادر وهو سنة ١٦٢ هـ غير صحيح ، لأنه لا يتفق مع كثير من الشواهد في حياته وشعره . وانتهيت من ذلك إلى تحديد تاريخ تقريبي لمولده بين سنتي ١٥٢ أو ١٥٣ هـ . وكان في نشأته بالبصرة ثرباً لأبي نواس يحضران معاً مجالس العلم والأدب ؛ وفي هذه المجالس تلقى ثقافته العربية على يد علمائها البارزين كالأصمعي وخلفه الأحمر وأبي عبيدة ، كما تتلمذ في المحون على والبة بن الحباب الذي كان أستاذاً لأبي نواس ، وتمعق بشعر الحمر والغزل والمحون لشعراء معاصرين وسابقين كطبيع بن إياس وأبي الهندي والوليد بن يزيد وغيرهم ، وأخذ بنصيب من الثقافة الأجنبية في عصره .

وبتحليل شخصيته تبين لي أن سماتها الأساسية تتركز في ظرفه وخلاعته حتى إنه لقب بالخليع والأشقر ، وقد جعلته هذه الصفات أهلاً للمنادمة على القوم من الخلفاء وكبار رجال الدولة ، وبلغ ذلك درجة لم يبلغها سواه ، وإلى جانب ذلك كانت في شخصيته صفات طيبة من الرجولة والوفاء ، ظهرت في موقفه مع الأمين وبعد مقتله .

وإذا تتبعنا علاقته مع الخلفاء وجدناها تبدأ باتصاله بالأميين في خلافة أبيه سنة ١٨٨ هـ ، وقد ظل في صحبته مدة خلافته حتى مقتله ، إذ كان نديمه المقرب الذي يملأ مجالس لوه ظرفا وأنسا . ولم يتخل عنه في أيام محنته ، بل وقف بجانبه يناديه ، ولما قتل رثاه رثاء بالغ الأسى ، واشتط في ذلك حتى عرض المأمون وهجاءه :

ولما قدم المأمون إلى بغداد لم يعاقبه إلا بالامتناع عن استخدامه وقطع أرزاقه : فضاقت به الدنيا ، وحاول استرضاء المأمون مرات مستشفع ببعض المقربين إليه حتى نجح أخيرا في نيل عفوه بعد أن أنشده قصيدته مدحه والاعتذار إليه ، فرد عليه أرزاقه ، ولكنه ظل على رأيه في عدم استخدامه .

وتولى المعتصم الخلافة فاستقدمه من البصرة حيث كان مقبيا في عهد المأمون ، ودخل الحسين عليه فأنشده قصيدة في مدحه نالت إعجابه ، فأمر له بجائزة سنية : وبقي الحسين في صحبته يناديه ويرافقه في حملاته إلى الشام وعمورية ، ويشيد بانتصاراته وبطولته :

واتصلت علاقته بابنه الواثق من بعده ، فكان نديمه المقرب وظريفه الموثق وشاعره المفضل ، في أوقات لوه وفي مجالس شرايه :

ولما تولى المتوكل الخلافة ، طلبه لمناذمته ، ولكنه كان قد كبر وضعف واعتذر إليه ولم ينادمه إلا مرة واحدة خبرها مشهور . ومع ذلك فإن المتوكل كان معجبا بشعره ، ويراه أظرف شعراء عصره :

وبعد مقتل المتوكل وتولية ابنه المتتصر ، دخل عليه وأنشده مدحه ، فأظهر لإكرامه ، وطلب منه ألا يتعب نفسه بالحجاء إليه ، وأن يكتبه بحاجته وكان هذا آخر عهده بالخلفاء .

أما علاقته بمعاصريه من الأمراء وعلية القوم والشعراء والعلماء والحواري وعامة الناس ، فقد كانت أكثر حرية وانطلاقا منها مع الخلفاء : وفي مقالة

الأمراء الذين نادهم صالح بن الرشيد ، الذى كان أول من اتصل به من من بنى العباس ، ولأزم صحبه زمنا طويلا ، وكان عنده محبوبا مقربا مطلعا على أسرار مجونه . واتصل كذلك بأبى عيسى وأبى أحمد ابنى الرشيد ، كما تادم إبراهيم بن المهدي وابن شغوف الهاشمي . وتادم من رجال الدولة الحسن بن سهل والفتح بن خاقان والحسن بن رجاء وغيرهم ، وقد رأينا كيف كانوا يتنافسون في جذبته إلى مجالسهم :

وتعد علاقاته بالعلماء والجواري على جانب كبير من الأهمية في دراسة حياته وشعره . وقد اشتهر عشقه ليسر غلام أبى عيسى بن الرشيد ، الذى عرفنا الكثير من أخباره معه وشعره فيه . ومن العلماء الذين عشقهم كذلك رزق غلام علوية المثنى وغلام الحسن بن سهل الذى وهبه إليه ، وغيرهم :

وتأتى علاقته بالجواري في الدرجة الثانية ، ومنهن جارية مغنية كان يألفها يسمى « فن » وجارية أم جعفر التى وسط في أمرها عاصما القسائى ، وغيرها جواري أخريات لم يصرح بأسمائهن في شعره المأجنى :

وكثيرا ما جمعت الحسن بشعراء عصره مجالس اللهو والشراب ومجالس شعر والأدب كما رأينا ، وكانوا يخرجون مصطحبين إلى المتنزهات والديارات حيث يقعدون مجالس لهم . ويعد أبو نواس أقرب هؤلاء الشعراء إلى الحسن ، إذ بدأت الصلة بينهما منذ أيام نشأتهما بالبصرة ، واستمرت بعد انتقالهما إلى بغداد ، وقد روت المصادر كثيرا من أخبارهما وأهمها تنافسهما في شعر الخمر ، وإغارة أبى نواس على معانيه فيها ، ومع ذلك فقد ظلت للعلاقة بينهما طيبة لم يشبها تباغض أو عداوة . واتسمت علاقته بأبى العتاهية بالود وحسن الصحبة ، فهو الذى نصحه بالكف عن هجاء المأمون فأقنعه من شر قنمته ، وقد رأينا كيف فضل أبا العتاهية على أبى نواس حين احتكم إليه في ذلك . وكذلك ربطت الصحبة بينه وبين مسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف وابن منافر وغيرهم :

وفى صلته بعامة الناس رأية بعض القصص والتودار التي تعطينا صورة واضحة لظرفه وخفة روحه ، من ذلك نادرته التي أوقع فيها بين أحدنا الشام وحييته « بصيص » أو هجائه بلجازه الطيب الخشن ، وما إلى ذلك من أخبار طريفه .

واختتمت سيرة حياته بوفاته التي تتفق أغلب الروايات على أنها كانت سنة ٢٥٠ هـ بمدينة بغداد بعد أن بلغ سنا عالية وقارب المائة عام .

بعد ذلك تناولت بحث شعره وأغراضه ، فبدأت بعرض مصادره التي جمعتها منها ، إذ لم يصل إلينا ديوانه ، وهي مصادر كثيرة أهمها الأغاني التي روى فيه ما يزيد على خمسمائة بيت ، وتأتي بعده مصادر أخرى لما أهميتها من حيث إضافتها جديدا من شعره ، كتاريخ الطبري والزهرة وديوان أبي نواس وتاريخ ابن عساكر والموشى ومعجم الأدياء والديارات ومعجم البلدان وغيرها :

وانتقلت من ذلك إلى بحث مشكلة هامة تعرض لها شعره ، وهي اختلاط بأشعار معاصريه ، إذ كان قد ديوانه من أهم أسبابها ، وقد حدث الاختلاط كثيرا بينه وبين أبي نواس الذي نسب إليه كثير من شعره ، كما حدث أيضا بينه وبين شعراء آخرين كالعباس بن الأحنف والفضل الرقاشي واسحاق الموصلي وغيرهم : وقد حاولت جاهدا أن أثبت من صحة نسبة الشعراء إليه أو إلى غيره .

ومضيت بعد ذلك أدرس أغراض شعره من تقليدية وتجديدية . فبين لي أنه في مدح لا يلتزم دائما بالنهج التقليدي للقصيدة العربية وإنما تحرر منها كأي نواس ، وإن كان تحررا غير كامل ، فإذا كان قد ترك بكاء الديار والآثار في مقدمات قصائده ، فإنه لم يخفل النزل والنسيب ، وإن كان قد ترك وصف الصحراء والإبل والخيل في رحلته إلى المملوح ، فإنه استبدل بها وصف السفينة ميتة على تنليد وصف الرحلة : ونراه في بعض قصائده يتحرر تماما من هذا النهج التقليدي كما في قصيدته التي مدح بها الواثق ووصف صيده وجلس لهوه ، ومدحه جيد يضعه في مرتبة شعراء البارزين .

ونراه في رثائه يصلح عن شعور صادق ، فعظم رثائه في الأمين
اللى حزن لمقتله أشد الحزن . وأغاب معانيه فيه مستوحاة من واقع الأحداث
اللى لا يست مقلته ، أو ذكريات أيامه الطيبة اللى قضاهها معه ، ولهذا جاء
رثاؤه جيداً أقوى التأثير •

وهجاؤه جيد وإن كان ما وصل إلينا منه قليلا ، وأغلبه قاله بدافع التضكها
أو المازحة ، ومع ذلك نحس في بعضه إقذاعا شديدا .

وشعره في الاعتذار تتمثل فيه اتجاهات ثلاثة : أولا اعتذاره عن أخطاء
يأسية كما حدث مع المأمون ، وثانيا : اعتذاره عن أخطائه في مجالس
لشرب ، كما حدث مع الأمين أو مع صالح بن الرشيد . وثالثا اعتذاره
عن عدم قدرته على المداومة لكبر سنه ، كما حدث مع المتوكل . وهو في كل
لك يبلغ ما يريد من استرضائهم وإقناعهم ، بما أوتيته من لباقة وفطنة وظرف .

وإذا كان شعره في الاستمناح قريبا من المديح ، فإنه يتميز عنه بفارق
: واضح وهو أن الطلب فيه يبدو بصورة مباشرة واضحة كما يتنا ، وعلى أية
، فشعره فيه قليل لا يقاس بالأغراض الأخرى .

أما الأغراض التجديدية فتتمثل في خمرياته وغزله ومجونه وشعره في
سيارات وأماكن اللهو ، وقد عرضنا كثيرا من الشواهد اللى تدل على
لجديده في شعر الخمر وخاصة قصيدته الطويلة اللى بلغت أربعين بيتا تناول
فيها حياة الخمر منذ بدئها بغرس شجرة الكرم ، وتتبع مراحل تصنيعها وتعتيقها
لم تقدمها للشاربين ووصفها بأوصاف عديدة وفصل المعاني في ذلك تفصيلا
ديما . وقد شهد له النقاد بتفوقه في شعر الخمر فوضعه بين شعرائها المجددين •

وشعر المجون والنزل بالذكر من الأغراض الجديدة اللى نشأت في ذلك
كعصر ، واللى يعد الحسين من أبرز شعرائه ، فله فيه شعر كثير جيد ، يسجل
حيته ومجونه وعشقه للغلمان وتنزله بهم ، كما يسجل غزله بالجواري ووصف
لجاليه الماجنة معهن . وهو مع ذلك لم يكن يصرح في شعره بالفحش تصريحاً
لفصحا أو يستخدم الألفاظ المنكرة في تعبيره ، كما شهد له النقاد .

ولم يقتصر غزله على هذا اللون المألوف ، فله غزل بعيد عن المألوف أجاد فيه وأبدع ، وشهد له بتفوقه فيه شعراء وعلماء كأبي نواس وابن الرومي والرياثي :

أما شعره في الديارات وأماكن اللهو ، فكان يدور كذلك حول المجون والخمر ، ووصف مجالس الشراب واللهو ، وإلى جانب ذلك نرى فيه وصف الطبيعة وأحوال الرهبان في أديرتهم ، وما إلى ذلك من معان جديدة في الشعر العربي :

ويبحث الناحية الفنية في شعره وجدت أنه يتميز بخصائص هامة ، أولها أن فيه تجربة حية ، إذ أنه كثيراً ما يترجم عن أحداث جرت له أو شارك فيها وعانها ، أو كان لها في نفسه رد فعل قوى ، كما رأينا في علاقاته بالغلمان والجوارى ووصفه لما كان يجري بينه وبينهم ، وفي وصفه لمجالس اللهو والشراب التي كان ينادم فيها القوم ، أو في رثائه الذي عبر فيه عن حزنه وفجيعة لمقتل الأمين ، أو في مدحيه الذي يعبر فيه عن شكره وامتنانه لما كان يلقاه من التكريم ، أو في اعتذاره الذي يحاول فيه تبرير خطئه وتخفيفه . كل هذه تجارب حية تمثلت في شعره ، فكان ترجمة شعرية لحياته وصورة حية لتجاربه :

والخاصة الثانية هي وحدة القصيدة ، التي تمثلت بمفهومها الحديث في معظم شعره ، إذ ترابط معاني القصيدة وتندسق كأعضاء الجسم في تكاملها ، وتكون وحدة الموضوع والتجربة عاملاً هاماً في إيجادها . أما مفهومها القديم الذي يبيح تعدد الموضوعات في القصيدة على أساس أن يحسن الشاعر الربط بينها ، هذا المفهوم نجده متمثلاً في شعر المديح عنده فمحب .

والخاصة الثالثة هي تعمقه في المعاني والأخيلة تعمقاً لا يصل إلى درجة الغموض ، وإنما يجمع فيه بين البقة والوضوح ، كما في تشبيه صورة شارب الخمر بالمنعكس على صفحة الكأس وسط الحبيب بصورة القمر الذي يكرع في بعض نجوم السماء ، أو في غزله الذي يتخيل فيه مناجاة العاشقين على البعد وتوافق فعلهما نتيجة لتوافق ميولهما ، هذه المعاني وغيرها مما عرضناه دليل على مثل هذه الخاصة الفنية في شعره :

والخاصة الراجعة نراها في رصانة لفظه ونصاعته ، إذ لم يكن يميل إلى الإغراب والتكلف وإنما كان يتخير ألفاظه ، ويحرص على أن تكون سلسلة ناصعة صافية الروتق ، ولهذا وضعت مع أصحاب مذهب الصنعة والصانعين الذين لا يتكلفون البديع وإنما يأتي في شعرهم بصورة طبيعية بسيطة ، وإذا كانت ألفاظه أكثر رقة وسلاسة في غزله ومجونه وخرياته ، فإنها في مدبجه ، وروثاته أكثر قوة وجزالة ، ومع ذلك فالرصانة ومثانة النسيج والنصاعة والوضوح هي الخاصة الفنية التي تتمثل ، في أسلوب شعره عامة .

وفي ختام خصائصه الفنية نجد عنايته بالأوزان القصيرة ، وذلك لانتشار الفناء وتأثيره في أوزان الشعر عامة ، ولأنه كان شاعرا نديما يغنى بشعره في مجالس منادته ، فكان اهتمامه بالنظم على البحور القصيرة كالرمل والمزج والخفيف ، أو بالنظم على مجزومات البحور كمجزوء الكامل ومجزوء الخفيف ومجزوء الرمل ، وما إلى ذلك من أوزان قصيرة تتميز بخفة موسيقاها وسرعة توقيعاتها ، كما رأينا في الشواهد الكثيرة التي عرضناها ، مما يؤكد تمثل هذه الخاصة الفنية في أغلب شعره .

وأرجو أن أكون بذلك قد وفيت هذا الموضوع حقه من البحث ، وأن يكون جهدي المتواضع قد أتى ثماره المرجوة ، ، ،

واقه ولي التوفيق ،

المصادر والمراجع

- ١ - الإبانة عن سرقات المتنبي - لأبي سعيد العميدى - ط دار المعارف سنة ١٩٦١ ء
- ٢ - ابن الروى - حياته من شعره - للعقاد - ط سنة ١٩٣٨
- ٣ - أحسن ما سمعت - للثعالبي - ط سنة ١٣٢٤ د
- ٤ - أخبار أبي تمام - للصولى - تحقيق عساكر وآخرين ط سنة ١٩٢٧ د
- ٥ - أخبار أبي نواس - لابن منظور - ط سنة ١٩٢٤ .
- ٦ - أخبار أبي نواس - لأبي هفان - تحقيق عبد الستار فراج - ط سنة ١٩٥٣ .
- ٧ - الأدب والإنشاء - لأبي حيان التوحيدي - ط الجواثب سنة ١٣٠١ د
- ٨ - أدب الكتاب - للصولى - ط السلفية سنة ١٩٤١
- ٩ - أدب النديم - لكشاجم - ط بولاق سنة ١٢٩٨ د
- ١٠ - الأشربة - لابن قية (مخطوط رقم ١٦٦ م مجاميع) د
- ١١ - أشعار أولاد الخلفاء - للصولى - ط هيورث سنة ١٩٣٦ ء
- ١٢ - أشعار الخليلج - جمع وتحقيق عبد الستار فراج - ط دار الثقافة ببيروت د
- ١٣ - إعجام الأعلام - لمحمود مصطفى - ط سنة ١٩٣٥ د
- ١٤ - الأعلام - للزركلى .
- ١٥ - الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني - ط دار الكتب وبولاق ودار الثقافة .
- ١٦ - الأمانى - لأبي على القالى - ط دار الكتب سنة ١٩٢٦
- ١٧ - آمالى المرتضى - للشريف المرتضى - ط أولى سنة ١٩٠٧ .

- ١٨- الأتيس والحليس - للمعانى بن زكريا التهرافى (مخطوط رقم ٥٧٤ أدب) .
- ١٩- بدائع البداهة - لعل بن ظافر الأزدي - ط سنة ١٢٢٨ .
- ٢٠- تاريخ آداب اللغة العربية - لجورجى زيدان - ط سنة ١٩٣٦ .
- ٢١- تاريخ الأدب العربى - لبروكلان - ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ط دار المعارف سنة ١٩٦١ .
- ٢٢- تاريخ الإسلام - للذهبي - (مخطوط رقم ٤٢) .
- ٢٣- تاريخ ابن الأثير ط أولى سنة ١٣٠١ ، ط لندن .
- ٢٤- تاريخ ابن عساكر ط دمشق سنة ١٣٣٢ .
- ٢٥- تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - ط سنة ١٩٣١
- ٢٦- تاريخ الخلفاء - للسيوطى - ط سنة ١٣٠٥ .
- ٢٧- تاريخ الطبرى - ط لندن ، ط الحسينية .
- ٢٨- تاريخ الشعر العربى - للدكتور نجيب البهيتى - ط سنة ١٩٥٠
- ٢٩- تاريخ الكافى - ط بولاق سنة ١٣١٥ .
- ٣٠- التبيان فى شرح الديوان - للعكبرى - ط سنة ١٩٣٦ .
- ٣١- التحف والأنوار - لأحد أفاضل الأدباء - ط سنة ١٣١٧ .
- ٣٢- التذكرة (مخطوط) .
- ٣٣- تزين الأسواق - للداود الأنطاكي - انتهى من تأليفه سنة ١٨٧٢
- ٣٤- تطور الحمريات فى الشعر العربى - للدكتور جميل سعي - ط سنة ١٩٤٥ .
- ٣٥- التنبيه والإشراف - للسعودى ط سنة ١٩٣٨ .
- ٣٦- حديث الأربعة - للدكتور طه حسين - ط دار المعارف سنة ١٩٦٠ .
- ٣٧- حلبة الكريت - للنواجى - ط سنة ١٢٩٩ .
- ٣٨- حياصة الخالدين - لأحد أفاضل القرن الرابع - (مخطوط رقم ٥٣٧) .

- ٣٩ — الحياة الأدبية في البصرة — رسالة الدكتوراه للدكتور أحمد كمال زكي .
- ٤٠ — حياة الشعر في الكوفة — رسالة الدكتوراه للدكتور يوسف خليل .
- ٤١ — الحيوان المجاحظ — تحقيق هارون — ط الحلبي .
- ٤٢ — خزانة الأدب — لابن حجة الحموي — ط بولاق .
- ٤٣ — دائرة المعارف الإسلامية — الترجمة العربية .
- ٤٤ — الديارات — للشابشي — ط بغداد سنة ١٩٥١ .
- ٤٥ — ديوان أبي نواس — ط آصاف — ط فاغر — تحقيق الغزالي .
- ٤٦ — ديوان أبي نواس — رواية الصولي — (مخطوط) .
- ٤٧ — ديوان أبي الوليد مسلم بن الوليد — ط ليدن سنة ١٨٧٥ .
- ٤٨ — ديوان العباس بن الأخنف — ط القسطنطينية سنة ١٢٩٨ .
- ٤٩ — الديوان في النقد والأدب — للعقاد والمازني — ط سنة ١٩٢١ .
- ٥٠ — ديوان المعاني — لابن هلال العسكري — ط القدس سنة ١٣٥٢ .
- ٥١ — رسائل مستحبة — للثعالبي — ط القسطنطينية سنة ١٣٠١ .
- ٥٢ — رفع الإصر (مخطوط) .
- ٥٣ — زهر الآداب — للحصري القيرواني — ط التجارية سنة ١٩٢٥ .
- ٥٤ — الزهرة — لأبي بكر محمد بن سليمان الأصفهاني — ط بيروت سنة ١٩٣٢ .
- ٥٥ — سمط اللآلئ — لأبي عبيد البكري — تحقيق الميمى — ط لجنة التأليف سنة ١٩٣٦ .
- ٥٦ — شلوات الذهب — لابن العماد الحنبلي — ط القدس سنة ١٣٥٠ .
- ٥٧ — شرح ديوان أبي الطيب — لأواحدى — ط برلين سنة ١٨٨١ .
- ٥٨ — شرح المضمون — لعبد الله بن عبد الكافي — ط السعادة سنة ١٩١٥ .
- ٥٩ — شرح المقامات — للشريشي — ط سنة ١٢٨٤ .
- ٦٠ — شرح نهج البلاغة — لابن أبي الحديد الملائكي — ط الحلبي سنة ١٣٢٩ خ.

- ٦١- شعراء عباسيون - جمع وتحقيق المستشرق غرباوم وترجمة الدكتور محمد يوسف نجم .
- ٦٢- الشعر والشعراء - لابن قتيبة - تحقيق أحمد شاكر - ط الحاي سنة ١٩٥٢هـ .
- ٦٣- الصناعتين - لأبي هلال العسكري - تحقيق البجاوي وأبو الفضل - ط سنة ١٩٥٢ .
- ٦٤- ضحى الإسلام - لأحمد أمين - ط لجنة التأليف سنة ١٩٣٨ .
- ٦٥- طبقات الشعراء - لابن المعتز - تحقيق عبد الستار فراج - ط دار المعارف سنة ١٩٥٦ .
- ٦٦- طراز المجالس - لشهاب الدين الخفاجي - ط الوهية سنة ١٢٨٤ .
- ٦٧- عقد الجمان - للعيني - (مخطوط) .
- ٦٨- العقد الفريد - لابن عبد ربه - تحقيق الريان ط سنة ١٩٥٣ .
- ٦٩- العملة - لابن رشيقي - تحقيق محي الدين عبد الحميد - ط سنة ١٩٦٣ .
- ٧٠- عنوان المرقصات - لنور الدين علي بن موسى بن الوزير - ط سنة ١٢٨٦ .
- ٧١- عيون التواريخ - لابن شاكر الكتبي - (مخطوط) .
- ٧٢- الفرر والعرر - لجمال الدين محمد بن إبراهيم الأنصاري - ط بولاق سنة ١٢٨٤ .
- ٧٣- القاضل - للمبرد - تحقيق الميمني - ط دار الكتب سنة ١٩٥٦ هـ .
- ٧٤- القرج بعد الشلة - للتتوخي - ط سنة ١٩٠٣ .
- ٧٥- فصول البائيل - لابن المعتز - ط العربية سنة ١٩٢٥ .
- ٧٦- القرن ومذاهبه في الشعر العربي - للدكتور شوقي ضيف - ط الثالثة سنة ١٩٥٦ .
- ٧٧- الفهرست - لابن النديم .
- ٧٨- في النقد الأدبي - للدكتور شوقي ضيف - ط دار المعارف

- ٧٩- الكامل - للمبرد - ط ليرج سنة ١٨٦٤ .
٨٠- كتاب بغداد - لابن أبي طاهر طيفور - ط ليرج سنة ١٩٠٨ .
٨١- مجالس ابن خنابلة (مخطوط رقم ٧٧ أدب ش) .
٨٢- مجالس ثعلب - لأبي العباس ثعلب - تحقيق هارون - ط دار المعارف .
٨٣- مجاني الأدب - للأب أويش شيعو - ط سنة ١٩٠١ .
٨٤- مجموع لطيف (مخطوط رقم ١٢٧٨) .
٨٥- الحاسن والأضداد - الجاحظ - ط ليدن سنة ١٨٨٩ .
٨٦- الحاسن والمساوي - للبيهقي - ط السعادة سنة ١٩٠٦ .
٨٧- محاضرات الأدباء - لأراشب الأصفهاني - ط سنة ١٩٢٦ و ط أخرى .
٨٨- مختارات البارودي ط سنة ١٣٢٩ .
٨٩- مختصر تاريخ البصرة - للأفغاني - ط بغداد سنة ١٩٢٧ .
٩٠- المدخل إلى النقد الأدبي - للدكتور غنيمي هلال - ط ثانية .
٩١- مرآة الجنان - لليافعي - ط حيدر أباد سنة ١٣٣٨ .
٩٢- مرآة الزمان - لسبط بن الجوزي التركي - (مخطوط رقم ١ لسنة ٥٥١)
٩٣- مروج الذهب - للمسعودي - ط سنة ١٢٨٣ .
٩٤- مسالك الأبصار - لابن فضل الله العمري - ط دار الكتب سنة ١٩٢٤ .
٩٥- مسالك الأبصار - لابن فضل الله العمري (مخطوط) .
٩٦- المستطرف - للابشيبي - ط بولاق سنة ١٢٦٨ .
٩٧- مصارع العشاق - للسراج - ط الجوائب سنة ١٣٠١ .
٩٨- معاهد التنصيص - لعبد الرحيم العباسي ط مصر سنة ١٣١٦ .
٩٩- معجم الأدباء - لياقوت الحدي - ط وزارة المعارف .

- ١٠٠ - معجم الأنساب والأمراء الحاكمة - للمستشرق زامباور - ترجمه
 زكى حسن وحسن محمود ط سنة ١٩٥١ .
- ١٠١ - معجم البلدان - لياقوت الحموى - ط بيروت وليبزج .
- ١٠٢ - معجم ما استعجم - لأبى عبيد البكرى - تحقيق السقا - ط سنة ١٩٤٧ .
- ١٠٣ - المتنخل - للثعالبي - ط التجارية سنة ١٩٠١ .
- ١٠٤ - من غاب عنه المطرب - للثعالبي - ط بيروت سنة ١٣٠٩ ،
- ١٠٥ - إوازنة - للآمدى - ط سنة ١٩٤٤ .
- ١٠٦ - المؤلف والمختلف - للآمدى - ط القدس سنة ١٩٥٤ .
- ١٠٧ - الوشى - لابن اسحق الوشاء - ط بريل سنة ١٣٠٢ .
- ١٠٨ - نثار الأزهار - لابن منظور - ط الجوائب سنة ١٢٩٨ .
- ١٠٩ - النجوم الزاهرة - لابن تغرى بردى - ط دار الكتب سنة ١٩٣٠ ،
- ١١٠ - نديم الخلفاء - لعبد الستار فراج - ط دار المعارف (سلسلة افر
 فبراير سنة ١٩٥٢ ؟
- ١١١ - نهاية الأرب - لآزيرى - ط دار الكتب سنة ١٩٣٠
- ١١٢ - الوساطة - للجرجانى - ط ثانية سنة ١٩٥١ .
- ١١٣ - وفيات الأعيان - لابن خلكان - ط بولاق والوطن سنة ١٢٩٩ .

معجم اللغة

- ١١٤ - تاج العروس فى شرح القاموس - للزبيدى .
- ١١٥ - الصحاح - للجوهري .
- ١١٦ - القاموس المحيط - للفيروزباده .
- ١١٧ - لسان العرب - لابن منظور .

المحتوى

صفحة	المقدمة
٨
١١٨ - ١	الفصل الأول : سيرة حياته
١	(١) مصادر حياته
١٥	(٢) نسبه ونشأته وثقافته
٣١	(٣) شخصيته
٤٦	(٤) مع الخلفاء
٨٦	(٥) مع معاصريه
١١٦	(٦) وفاته
٢٤٢ - ١١٩	الفصل الثاني : شعره وأغراضه
١١٩	(١) مصادر شعره
١٥٩	(٢) اختلاط شعره بأشعار معاصريه
١٩٢	(٣) الأغراض التقليدية
٢٠٨	(٤) الأغراض التجديدية
٢٤٣ - ١٩٣	الفصل الثالث : خصائصه الفنية
٢٤٣	(١) تجربة حية
٢٥٧	(٢) وحدة القصيدة
٢٦٨	(٣) التمتع بالمعاني والأغنية
٢٧٧	(٤) رصانة اللفظ ونصاعته
٢٨٦	(٥) العناية بالأوزان القصيرة
٢٩٤	الخاتمة :
٣٠١	المصادر والمراجع :

جمهورية مصر العربية

مطبوعات

الجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

— ١٤٨ —

القاهرة

١٣٩٢م - ١٩٧٢م

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الإدارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ٧١/٦٣٢٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٠٠-١٩٧٥/٦٣٤٦

Bibliotheca Alexandrina



0360413